دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير "الجواهر" للشيخ طنطاوي جوهري

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

قدمها

ناصر.ك

تحت إشراف

الدكتور محمد حنيفة. بي

مرشد البحوث، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت

جامعة كاليكوت

كيرلا، الهند

2025

المحتويات

المقدمة 5

تحليل العنوان 6

أسباب اختيار الموضوع 7

الدراسات السابقة 7

مشكلة البحث 9

منهج البحث 9

خطة البحث 9

الصعوبات التي واجهت الباحث: 12

الشكر والتقدير 13

الباب الأول : 15

ترجمة الشيخ طنطاوي جوهري وإسهاماته العلمية 15

تمهيد 16

الفصل الأول : سيرة الشيخ طنطاوي جوهري 17

الفصل الثاني : جهود الشيخ طنطاوي جوهري في الإنتاج العلمي والفكري 26

الباب الثاني: 31

أهمية الآيات الكونية في القرآن الكريم..... 31

الفصل الأول :مفهوم الآيات الكونية 33

الفصل الثاني: استعمال القسم في الآيات الكونية..... 37

الفصل الثالث : استدلال القرآن بالآيات الكونية..... 43

الفصل الرابع: أساليب القرآن في دعوة الإنسان للتفكر..... 52

الفصل الخامس : دور الآيات الكونية في المثل القرآني..... 60

الفصل السادس : الإشارات الكونية في القرآن..... 66

الباب الثالث : 76

المدخل إلى التفسير العلمي 76

تمهيد 77

الفصل الأول : مفاهيم أساسية في التفسير والتأويل والإعجاز..... 78

الفصل الثاني: مفهوم التفسير العلمي للقرآن الكريم..... 83

الباب الرابع: 109

منهج طنطاوي جوهري في تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" 109

تمهيد..... 110

الفصل الأول: مدخل الى تفسير الجواهر..... 112

الفصل الثاني: نقد تفسير "الجواهر في تفسير القرآن " 117

الفصل الثالث: مزايا تفسير الجواهر وحسناته 123

الفصل الرابع: منهجه في تقديم السور..... 126

الفصل الخامس: المناهج التفسيرية التراثية كما رآها طنطاوي جوهري..... 131

الفصل السادس: الأساليب في تفسير الجواهر طنطاوي جوهري..... 146

الباب الخامس: 177

دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير "الجواهر" للشيخ طنطاوي جوهري 177

تمهيد..... 178

الفصل الأول: الآيات الكونية الأرضية 181

الفصل الثاني: السماء وظواهرها الكونية..... 194

الفصل الثالث :الظواهر الطبيعية 206

الفصل الرابع : عالم الأحياء في القرآن الكريم..... 212

الخاتمة 247

نتائج البحث: 247

توصيات البحث: 251

المصادر والمراجع 252

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا شك أنّ علم التفسير يعد من أعظم العلوم مكانة، وذلك لاتصاله الوثيق ببيان كلام الله تعالى، وفهم مقاصده، والتأمل في آياته. ولهذا نال هذا العلم اهتمامًا كبيرًا، فأُلفت فيه مؤلفات كثيرة، وشارك في تدوينه عدد كبير من العلماء على مر العصور، قديمًا وحديثًا. لقد تعددت مناهج التفسير منذ العصور الأولى للإسلام حتى العصر الحديث، ويعدّ التفسير العلمي من أبرز الاتجاهات الحديثة في تفسير الآيات الكونية.

ومن أبرز هذه التفاسير تفسير "الجواهر" للشيخ طنطاوي جوهري، الذي تميّز بجمعه بين التفسير التقليدي والتأملات العلمية، واهتمامه بالآيات الكونية. وقد وسّع نطاق تفسيره ليشمل العلوم الكونية، والتجريبية، والفلسفية، الأمر الذي أضفى على تفسيره طابعًا موسوعيًا يعكس سعيه إلى ربط النص القرآني بمكتشفات العصر الحديث، تحقيقًا لرؤية شاملة تُظهر أن القرآن الكريم لا يعارض العلم، بل يدعو إلى النظر والتفكر والتدبر في الآيات الكونية.

ومن أجل ذلك، فقد جاء هذا البحث **"دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري"** للكشف عن الجانب المنهجي في تفسير الشيخ

طنطاوي جوهري، وتبيين أسلوبه في تناول أبرز القضايا التي تطرّق إليها، لا سيما من خلال دراسته للآيات الكونية في تفسيره، و يتجلّى أسلوبه في ربط الظواهر الطبيعية والكونية للنصوص القرآنية، وإفادته من المعارف العلمية الحديثة في تعزيز وتعميق المعاني الإيمانية، مما يعكس منهجًا تفسيريًا فريدًا يجمع بين المقاربة العقلية والتأمل الإيماني في إطار النص القرآني.

تحليل العنوان

يتضمن عنوان البحث "**دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري**" مجموعة من المحاور الأساسية التي يمكن تحليلها لفهم نطاق الدراسة وأهدافها:

كلمة "**دراسة منهجية**": تعني أن الباحث يتناول الموضوع باستخدام أدوات البحث الأكاديمي كجمع المعلومات من المصادر الموثوقة، وتحليل النصوص، والمقارنة، واستخلاص النتائج.

كلمة "التفسير العلمي": تعني تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالظواهر الكونية بناءً على الحقائق العلمية الحديثة، حيث يتم ربط معاني الآيات بما يتوافق مع الاكتشافات العلمية.

كلمة "الآيات الكونية": تشير إلى الآيات القرآنية التي تتحدث عن الظواهر الطبيعية مثل الكون، السماوات، الأرض، الشمس، القمر، وغيرها من الكائنات الطبيعية التي أودعها الله في كتابه الكريم.

"تفسير الجواهر": يحدد العنوان المرجع الأساسي للدراسة، وهو تفسير "الجواهر" لطنطاوي جوهري، الذي يُعدّ من التفاسير الرائدة في محاولة تقديم تفسير علمي للقرآن. يظهر العنوان اهتمام الباحث بتقييم هذا العمل ضمن سياق منهجي وتحليلي.

"طنطاوي جوهري": الإشارة إلى المؤلف، تبرز أهمية شخصية طنطاوي جوهري كعالم ومفسر.

أسباب اختيار الموضوع

- حرص الباحث على الإسهام ولو بقدر يسير في خدمة القرآن الكريم، من خلال تسليط الضوء على أحد الجوانب التي تُسهم في تدبر آيات الله.
- رغبة الباحث في التعمق في دراسة الآيات الكونية لما لها من أثر في تعزيز الإيمان وربط النص القرآني بالحقائق العلمية.
- التعرف على المنهج الذي تميز به طنطاوي جوهري في تفسير الآيات الكونية، وبيان جوانب التجديد في تفسيره.

الدراسات السابقة

1. بعد مراجعة عدد من الكتب والرسائل العلمية، لم يُعثر على دراسة خاصة تناولت تفسير العلمي في أيات الكونية كما وردت في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن الكريم. وإنما وُجدت بعض الدراسات التي تحدثت عنه بشكل عام.
2. رسالة ماجستير بعنوان "طنطاوي جوهري ومنهجه في التفسير" التي قدّمها أنور يوسف ومراد بعنوان "طنطاوي جوهري ومنهجه في التفسير"، إلى كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام 1988م، تحت إشراف الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني.

3. رسالة ماجستير بعنوان: "آراء طنطاوي جوهري الاعتقادية من خلال كتابه(الجواهر في تفسير القرآن الكريم): عرض ونقد" لعبد اللطيف أبو البشر (2019–جامعة أم القرى)،ركّزت على موقفه من مسائل العقيدة والاعتقاد وبيّنت توافقه مع أهل السنة في بعضها وتأثره بالفلاسفة والمتكلمين في البعض الآخر.
4. كتاب «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي والذي يُعد مرجعًا أساسًا في تتبع المدارس التفسيرية الحديثة وتحليل مناهجها. وقد خصّص المؤلف فصولًا لبيان التفسير العلمي واتجاهاته، وناقش فيه تفسير طنطاوي جوهري ضمن التيار العقلي العلمي.
5. كتاب بعنوان المفسرون:مدارسهم ومناهجهم من تأليف فضل حسن عباس حيث استعرض فيه أبرز المدارس التفسيرية واتجاهاتها، مع تحليل مناهج كبار المفسرين مما يساعد في معرفة منهج تفسير طنطاوي جوهري.

أهداف البحث

1. **التعرف على مفهوم التفسير العلمي**، وأهميته في ربط النص القرآني بالحقائق الكونية والعلمية المعاصرة.
2. **الكشف عن منهج الشيخ طنطاوي جوهري** في تفسير الآيات الكونية من خلال تفسيره"الجواهر في تفسير القرآن الكريم".
3. **تحليل أبرز الملامح التي تميز بها منهج طنطاوي جوهري** عن مناهج المفسرين السابقين والمعاصرين.
4. **تقييم أثر التفسير العلمي في تعزيز الإيمان** وتحفيز العقل المسلم على التأمل في آيات الله الكونية.

مشكلة البحث

وقد ارتكزت الدراسة على إشكالية الرئيسية التالية:

- كيف وظّف المعارف العلمية الحديثة في تفسيره؟
- ما أهمية الآيات الكونية في التفسير العلمي؟
- ما هي الأساليب التي اتبعها طنطاوي في تفسير الجواهر؟
- ما المنهج الذي اتبعه الشيخ طنطاوي جوهري في تناوله للآيات الكونية في تفسيره؟
- ما الذي ميز تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" لطنطاوي جوهري عن غيره من التفاسير؟

منهج البحث

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الوصفي، وذلك من خلال جمع الآيات الكونية من القرآن الكريم، وبيان التفسير العلمي لها كما ورد في تفسير "الجواهر". كما شمل المنهج توثيق الآيات والأحاديث، ودراسة الكتب ذات الصلة بالموضوع، لا سيما تلك التي تناولت تفسير الآيات الكونية والتفسير العلمي.

خطة البحث

تتكوّن هذه الأطروحة من مقدمة، وخمسة أبواب، وخاتمة، وتوصيات.

المقدمة تشتمل على:

الباب الأول : ترجمة الشيخ طنطاوي جوهري وإسهاماته العلمية

الفصل الأول : سيرة الشيخ طنطاوي جوهري

الفصل الثاني :جهود الشيخ طنطاوي جوهري في الإنتاج العلمي والفكري

الباب الثاني : أهمية الآيات الكونية في القرآن الكريم

الفصل الأول: مفهوم الآيات الكونية

الفصل الثاني: استعمال القسم في الآيات الكونية

الفصل الثالث : استدلال القرآن بالآيات الكونية

الفصل الرابع : أساليب القرآن في دعوة الإنسان للتفكر

الفصل الخامس : دور الآيات الكونية في المثل القرآني

الفصل السادس: الإشارات الكونية في القرآن

الباب الثالث : المدخل إلى التفسير العلمي

الفصل الأول : مفاهيم أساسية في التفسير والتأويل والإعجاز

الفصل الثاني : مفهوم التفسير العلمي للقرآن الكريم

الباب الرابع: منهج الشيخ طنطاوي جوهري في تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"

الفصل الأول : مدخل الى تفسير الجواهر

الفصل الثاني : نقد تفسير "الجواهر في تفسير القرآن"

الفصل الثالث : مزايا تفسير الجواهر وحسناته

الفصل الرابع : منهجه في تقديم السور

الفصل الخامس: المناهج التفسيرية التراثية كما رآها طنطاوي جوهري

الفصل السادس: الأساليب في تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري

الباب الخامس : دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري

الفصل الأول : الآيات الكونية الأرضية

الفصل الثاني: السماء وظواهرها الكونية

الفصل الثالث : الظواهر الطبيعية

الفصل الرابع :عالم الأحياء في القرآن الكريم

الخاتمة : فيها ذكر أبرز النتائج

الصعوبات التي واجهها الباحث:

1. كثرة الآيات الكونية: فقد بلغ عدد الآيات الكونية في القرآن الكريم تقريبًا ألف آية، الأمر الذي تطلّب جهدًا في التصنيف والتحليل.
2. ضخامة حجم التفسير وتشعب موضوعاته: حيث يتكوّن تفسير الجواهر من 26 جزءًا، ويمتاز بكثرة الصفحات وتنوع الموضوعات، حيث يتناول قضايا علمية وفلسفية متعددة، مما يجعل تتبع الآيات الكونية واستخراجها من بين هذا الكم الكبير من المادة أمرًا بالغ الصعوبة، ويستنزف وقتًا وجهدًا كبيرين.
3. تداخل الآيات الكونية مع الموضوعات العلمية: جاءت الآيات الكونية في تفسير الجواهر ضمن مناقشات علمية طويلة في مجالات مثل الطب والفلك والفيزياء، مما جعل الوصول إلى تفسير الآية أمرًا صعبًا، إذ لا يظهر التفسير بوضوح، ويحتاج القارئ إلى جهد لفصل التفسير عن المعلومات العلمية المحيطة بها.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي يسَّر طريق العلم لمن طلبه، ووهب من فضله ما لا يُحصى من النعم الظاهرة والباطنة لمن سلك دربه.

يتقدَّم هذا العمل بخالص الشكر والتقدير لسعادة الدكتور محمد حنيفة. بي، لتفضله الكريم بقبول الإشراف على هذه الأطروحة، فجزاه الله خير الجزاء، وبارك الله في علمه وجهده. كما يُسجَّل الباحث عظيم الامتنان والتقدير لسعادة الدكتور عبد المجيد.إي، على توجيهاته القيّمة وملاحظاته القيمة التي أسهمت في إثراء هذا البحث وتعزيز قيمته العلمية.

كما يثمّن الباحث جهود قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت، الذي كان بمثابة البيت الثاني، الذي احتضن الباحث خلال سنوات الدراسة في مرحلتي الماجستير والدكتوراه. ويُخصّ بالذكر سعادة الدكتور عبد المجيد تي أ.، رئيس القسم الحالي، وسعادة الدكتور أ. بي محيي الدين كوتي، رئيس القسم السابق، لما قدّماه من توجيهات سديدة ونصائح ثمينة في مجال البحث العلمي.

كما يُسجَّل بالغ الشكر والتقدير للأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء من جامعة الشارقة، والأستاذة منى من جامعة القاهرة، والدكتور معاذ الدخيل من جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية، والأستاذ نجيب علي ملقاط من جامعة عمران اليمن على جهودهم المشكورة في تقديم النصح والإرشاد، وتوفير الكتب والمراجع القيّمة التي أسهمت بشكل واضح في رفع مستوى هذا البحث.

يتضمَّن هذا التقدير دعاءً بالرحمة للوالد الكريم، الذي كان مصدر إلهام وتوجيه، وامتنانًا كبيرًا وللوالدة الفاضلة على تضحياتها ومحبتها التي لا تُقدَّر بثمن، فقد كان لعطائها ورعايتها الأثر الأكبر في الوصول إلى هذه المرحلة.

كما يُقدَّم تقدير خاص للزوجة الكريمة، التي وقفت بثبات ودعم صادق في جميع مراحل الإنجاز، وفي الختام، يُرفع الشكر لكل من مد يد العون وساهم في إنجاز هذا البحث، سائلين الله أن يبارك في جهود الجميع، وأن يجعل هذا العمل في موازين حسناتهم. جعل الله هذا البحث من البحوث النافعة التي تسهم في خدمة اللغة العربية والتفسير، وأن يكون معينًا للدارسين والباحثين في هذا الميدان. وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ناصر.ك

الباب الأول :

ترجمة الشيخ طنطاوي جوهري وإسهاماته العلمية

تمهيد

أسهم الشيخ طنطاوي جوهري إسهامًا فعّالًا في النهوض بالفكر الإسلامي خلال القرن العشرين، فكان من أبرز رموز النهضة الفكرية الحديثة، وقد تميز بقدرته على الاستجابة لتحديات العصر بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة. ومن أهم جهوده محاولته الربط بين الدين والعلم، حيث سعى إلى تقديم فهم ديني يقوم على أسس عقلية، فدمج بين النصوص النقلية والتفكير العلمي. وفي هذا السياق، يهدف هذا الباب إلى تسليط الضوء على سيرة الشيخ طنطاوي جوهري، واستعراض أبرز إنتاجاته العلمية والفكرية.

الفصل الأول : سيرة الشيخ طنطاوي جوهري

الفصل الثاني : جهود الشيخ طنطاوي جوهري في الإنتاج العلمي والفكري

الفصل الأول : سيرة الشيخ طنطاوي جوهري

ولادته ونشأته

وُلد الشيخ طنطاوي في قرية كفر عوض الله حجازي، التابعة لمحافظة الشرقية في منطقة بوباستس جنوب شرق مدينة الزقازيق عام 1862م، وقد بدأ حياته العملية بمساعدة أسرته في الزراعة. وكانت أسرته على علاقة وثيقة بعلماء الأزهر الشريف الذين اعتادوا زيارة وجهاء الأسرة وكبار أهل بلدة الغار، حيث تقيم عائلة أخوال والدته. وقد أثّرت هذه البيئة العلمية والاجتماعية في والده، فقرر إرساله إلى كُتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم. وكان للشيخ جدة تنتمي إلى أسرة عريقة تُعرف بأسرة الغنائمة، وتمتعت بنفوذ ومكانة بارزة في البلدة. وقد أولته هذه الجدة رعاية خاصة، إذ كانت تحبه حبًا شديدًا ولم تكن تحتمل فراقه ولو للحظة[1]

دور عائلته في تعليمه

بعد أن أتم الشيخ طنطاوي جوهري حفظ القرآن الكريم في الكُتّاب، بدأ يشعر بشغفٍ متزايد نحو العلم، وولعٍ عميق بالدراسة، إذ اجتاحه شعور بالوجد والتعلق بالمعرفة، واشتد هذا الميل في نفسه وهو في الثالثة عشرة من عمره، خاصةً حين رأى أولاد عمّه يواظبون على طلب العلم ويحضرون مجالس الأزهر الشريف.أمّا والده، الشيخ طنطاوي المزارع في قرية كفر عوض الله حجازي، فقد كان يتوق إلى أن يرى ابنه في مصافّ العلماء الذين يطوفون بالبلاد، ويُستقبلون في المجالس بالتكريم والإجلال، وتُضاء لهم الشموع،

[1] عبد العزيز جادو، *الشيخ طنطاوي جوهري: دراسة ونصوص*، ص 11، ط. دار المعارف، القاهرة

وتُزين لهم المجالس، وتُرتل بين أيديهم آيات القرآن الكريم، وتُقبل أيديهم تبركًا، وتنبسط لهم القلوب، كما كان حال كبار علماء الأزهر حينذاك، من أمثال الشيخ الأشموني، والشيخ العشماوي، والشيخ الجوري. ونظرًا لما وُجد في الشيخ طنطاوي من مؤهلات وصفات تنبئ بمستقبل علمي مشرق، استجاب والده لرغبة أخيه الشيخ محمد شلبي، عمّ الشيخ طنطاوي، الذي كان رجلاً صالحًا تقيًّا، مولعًا بالعلم والعلماء ومجالسهم، وقد اقترح على أخيه أن يرسل ابنه إلى الجامع الأزهر ليتلقى علوم الفصاحة والبلاغة والدين. ووجد هذا الاقتراح استحسانًا لدى الأب، إذ راق له أن يرى ولده بين العلماء الكبار الذين نالوا في قلوب الناس منزلة رفيعة بعلمهم ومكانتهم.[2]

طنطاوي جوهري طالبا بين الحقل والأزهر

التحق الشيخ طنطاوي جوهري بالأزهر الشريف عام 1877 مدفوعًا بشغف صادق نحو العلم، حيث دفعته رغبته الشديدة إلى المثابرة على طلب المعرفة وفهم الدروس. وبرغم صعوبة المناهج وكثرة الحواشي والمتون، إضافة إلى الأساليب التعليمية التقليدية السائدة آنذاك، فقد برز ذكاؤه وتفوقه. سرعان ما ذاع صيته في قرى مصر، وأصبح اسمه على كل لسان.وخلال سنوات دراسته في الأزهر، تعلّم علوم اللغة العربية، والفقه الإسلامي، ومذهب الإمام الشافعي، إضافة إلى علوم النحو، والتوحيد، والعروض، والبلاغة وغيرها. لكن إصابته بمرض شديد أجبرته على الانقطاع عن الدراسة، فعاد إلى قريته حيث وجد والده مريضًا أيضًا، مما اضطره للبقاء مع أسرته الفقيرة ومساعدتها رغم حالته الصحية.

[2] المرجع السابق، ص 12

شارك في أعمال الزراعة مع الفلاحين، وعالج نفسه ووالده باستخدام ما كان يقرأ عنه في كتب الطب القديمة.[3]

ساعدت الظروف التي مرّ بها الشيخ طنطاوي جوهري أثناء عمله في الزراعة على تعميق تأمله في مظاهر الطبيعة والكون. فقد قادته تلك اللحظات، التي قضاها في الحقول بين الأشجار والأزهار، إلى بروز نزعة تأملية قوية دفعته للتفكر في وجود الله عز وجل. انفتحت بصيرته على جمال الخلق، وبدأ ينظر إلى الطبيعة من زاويتين: الأولى طبية تتصل ببحثه عن علاج له ولوالده، والثانية روحية تشير إلى دلائل الخالق في كل شيء. لم يجد في الأدلة العقلية وحدها ما يشبع يقينه، فلجأ إلى الصلاة وتلاوة تفسير الجلالين، ومع الوقت، وبتأمل صادق وسط الطبيعة، تخلّص من أزمته النفسية وشعر بالسكينة. وقد عُرف الشيخ طنطاوي منذ أيام دراسته في الأزهر بميله الواضح إلى العلوم الكونية، وكان يعترف بذلك قائلاً: «لما كنت في الأزهر كنت أحس بميلي الشديد إلى الكواكب والنجوم، وكم ليلة قضيتها أحلق فيها معطّبًا بجمالها، وأحسست في نفسي بحزن عميق لجهلي بهذه الأكوان»[4]

كان الشيخ طنطاوي جوهري، خلال فترة انقطاعه عن الدراسة، يتأمل جمال الكون ويعيش في أحضان الطبيعة، يناجي ربه ويدعوه بإخلاص أن يشفي والده ويعيد إليه صحته، وأن يوفقه هو للعودة إلى الأزهر. وقد استجاب الله دعاءه، فعاد إلى الأزهر بعد ثلاث سنوات قضاها في قريته، ازداد خلالها تعلقه بالطبيعة وتأمله في أسرارها.

[3] المرجع السابق، ص 12،13

[4] المرجع السابق، ص 13

وفي تلك الفترة، كان يصاحبه عمه الشيخ محمد شلبي الذي درّسه "الجامع الصغير" في الحديث الشريف، وأعجب بذكائه وتفكيره العميق، حتى صرّح قائلاً: «مالي أسمع من ابن أخي ما لا أسمعه من أساتذة العلماء» وبعد عودته، واصل الشيخ طنطاوي دراسته في الأزهر أربع سنوات أخرى، نشأت خلالها صداقة علمية بينه وبين أستاذه الشيخ علي البولاقي، أستاذ الخطابة، الذي لاحظ شغف طنطاوي بعلم الفلك، فأعار له كتابًا في هذا المجال خلال عطلة نصف السنة. وجد الشيخ طنطاوي في هذا الكتاب ضالته، حيث اطّلع على أسماء الكواكب ومعلومات فلكية أثارت اهتمامه العلمي.[5]

الشيخ طنطاوي جوهري متعلّما في دار العلوم:

التحق الشيخ طنطاوي جوهري بمدرسة دار العلوم في سنة 1889، وتخرج منها سنة 1893 ضمن دفعة ضمت ثمانية من زملائه، كان من أبرزهم أحمد زناتي بك وعبد الرزاق القاضي بك. في هذه المرحلة، تعرّف على مبادئ العلوم الحديثة التي لم تكن مقررة في مناهج الأزهر، مثل الحساب والهندسة والجبر، بالإضافة إلى الفلك، وعلم النبات، والطبيعة، والكيمياء. كما تلقى الفقه الحنفي على يد الشيخ حسونة النواوي، تمهيدًا للالتحاق بسلك القضاء.[6] امتاز الشيخ طنطاوي بميل واضح إلى الطبيعة وتأمل مظاهر الكون، وكان مفتونًا بجمال الأشجار والأزهار وسماع زقزقة الطيور. وقد لاحظ زملاؤه حبه الشديد للرياضيات والعلوم الطبيعية، وكانوا يعجبون من تعلقه بهذه العلوم، التي لم يكونوا يرون لها فائدة.

[5] المرجع السابق، ص 13و14

[6] المرجع السابق، ص14

وقد أحرز درجات عالية في الفلك، والرياضيات، والطبيعة، واللغة العربية. وتحدث طنطاوي عن دراسته في دار العلوم بحفاوة كبيرة، وعبّر عن شعوره هناك كما لو أنه خرج من السجن إلى الحرية، بل شبه وجوده فيها بوجوده بين أهله في الحقول. وقد ذكر في تفسيره أسماء بعض أساتذته، ومنهم أحمد أفندي حمدي الذي درّسه مبادئ الفلك. وكان هدفه في الحياة يتمثل في أمرين أساسيين: أداء واجبه تجاه أسرته وعشيرته، والسعي الحثيث لفهم سرّ الوجود.[7]

الشيخ طنطاوي جوهري مدرسا

بعد تخرجه في دار العلوم، عُيّن الشيخ طنطاوي جوهري مدرسًا بمدرسة دمنهور الابتدائية، إلا أن عمله فيها لم يدم أكثر من ثلاثة أشهر. ثم نُقل إلى المدرسة الناصرية الابتدائية بالجيزة إثر تغيّر الوزارة ومغادرة إبراهيم بك مصطفى لمنصبه. ومع ذلك، لم يستقر به المقام هناك، إذ نشب خلاف بينه وبين ناظر المدرسة، الأمر الذي استدعى نقله إلى مدرسة الجيزة، ثم إلى المدرسة الخديوية بدرب الجماميز، حيث قضى بها عشر سنوات متواصلة (1900–1910)، وخلال تلك الفترة، انصرف إلى تعلم اللغة الإنجليزية بجدّ، حتى أتقنها، واطّلع على مؤلفات كبار الكتّاب الإنجليز، وخاصة أعمال اللورد إفبري، كما ترجم بعض القصائد الشعرية من الأدب الإنجليزي، وقد قام أحد تلاميذه بنشر هذه الترجمات لاحقا. وفي عام 1911، وبعد أن تولى أحمد باشا حشمت نظارة المعارف العمومية، عُيّن الشيخ طنطاوي مدرسًا لمادتي التفسير والحديث في مدرسة دار العلوم، كما اختير ضمن هيئة التدريس في

[7] المرجع السابق، ص 14 و 15

الجامعة المصرية القديمة عند تأسيسها، حيث ألقى على طلابها محاضرات في الفلسفة الإسلامية.[8]

الشيخ طنطاوي جوهري مصلحا اجتماعيّا

امتاز الشيخ طنطاوي جوهري بتفوقه في مختلف الميادين، فقد كان عالمًا دينيًا إسلاميًا وطنيًا، وفكرًا اجتماعيًا عالميًا جمع بين علوم الشريعة الإسلامية والثقافة الحديثة. دمج في كتاباته بين القضايا الدينية والآراء الاجتماعية والسياسية، وجاهد بفكره وقلمه من أجل رفعة الإسلام، مبرزًا أنه دين العقل والتجديد لا الجمود والتقليد.سعى في مؤلفاته إلى التوفيق بين العلم الحديث وتعاليم القرآن الكريم، مؤمنًا بأن العلم، إذا أُحسن فهمه، يمكن أن يكون وسيلة لفهم روح الدين ومقاصده. كان من أوفى المخلصين لقضية استقلال البلاد ونهضتها، ومن أبرز رموز الحركتين السياسية والدينية في عصره. وقد تملّكه يقينٌ راسخ بمستقبل المسلمين، وبقدرتهم على نشر العلم، وبناء السلام، وتحقيق الطمأنينة في العالم، وهي رؤية تتجلّى بوضوح في مؤلفاته، خاصة في كتابه "القرآن والعلوم العصرية" و"الجواهر في تفسير القرآن الكريم". وكانت ثقته بوحدة المسلمين وصلاح أحوال البشرية على أيديهم راسخة في وجدانه، لا يشوبها شك.[9]

شارك الشيخ طنطاوي جوهري في الحركة الوطنية، وألف كتابًا بعنوان «نهضة الأمة وحياتها»، نشره في جريدة اللواء، عبّر فيه عن رفضه الشديد للدول التي تبني وجودها على

[8] المرجع السابق، ص 16

[9] المرجع السابق، ص 16، 17

القوة العسكرية، كالحروب وتدمير الحصون، داعيًا بدلًا من ذلك إلى إقامة الدول على أسس التعاون وتبادل المنافع والمحبة الإنسانية، وهي المبادئ التي رأى فيها توافقًا مع أفكار سقراط، ومع ما تروّج له بعض الدول من شعارات كالديمقراطية والمساواة، وإن كان يعلم أنها كثيرًا ما تُستعمل للتضليل. كان يحلم بتكوين جمعية إنسانية موحدة، لا تفرّقها اللغات أو الأديان، ولا تفصلها الجغرافيا أو الحدود، تسودها العدالة والمساواة. وقد حملت أفكاره نزعة إصلاحية جريئة، حيث هاجم المعتقدات الجامدة، وانتقد التقاليد الموروثة التي رآها معيقة للتقدم، فواجه معارضة شديدة من بعض العلماء والمتفقهين الذين اعتبروه خطيرًا ومارقًا عن التقليد السائد، بل اتهموه بالكفر والزندقة، نتيجةً لتفسيره التجديدي للقرآن، الذي لم يسبق إليه أحد في عصره.[10]

وفي أكتوبر عام 1917، دعي إلى القاهرة للتدريس بالمدرسة الخديوية ثانية، وفي سنة 1919 أثناء المظاهرات التي اندلعت ضد الاحتلال، قامت السلطات البريطانية بتفتيش منزل الشيخ طنطاوي في شارع زين العابدين رقم 8، بسبب ما عُرف عنه من روح وطنية وحماس لقضايا أمته، ولما اشتهرت به مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء عن الأمم المستعبدة والأمم المستضعفة ووسائل الإصلاح.[11]

في ذلك الحين يقول الشيخ طنطاوى: «إنني عاهدت ربي أن أعلم الناس ما علمت وأني إذا وقفت على حقيقة نشرتها بين العالم الإسلامي، وإن لم أنشر ذلك بين الملأ كنت كافرا

[10] المرجع السابق، ص17

[11] المرجع السابق، ص18

بنعمة ربي ناقضا لعهده»[12]، بدأ يحقق ما قال وأخذ يقرن العمل بالقول كرجل كبير النفس، عالي الهمة ،شديد الغيرة على الإسلام والعلم فأبرز للعالم الإسلام بكتابيه: "ميزان الجواهر وجواهر العلوم" ولم يكن يظن أنّ الناس يحبون تلك العلوم ويميلون إليها»[13]

مع إنشاء جريدة اللواء، بدأ الشيخ طنطاوي جوهري بنشر مقالاته فيها، إلى جانب بعض المقالات الأخرى التي ظهرت في جريدة الفلاح. وقد وقعت نسخة من كتابه "جواهر العلوم" بين يدي الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله فلفتت انتباهه كتابات الشيخ، فتعرف عليه وشجّعه بشكل كبير، وأثنى عليه قائلاً: "فلنخرج كتبًا شتى لا كتابين اثنين"، أما الزعيم الوطني الراحل مصطفى كامل، فقد أبدى اهتمامًا خاصًا بشخصية الشيخ طنطاوي، فطلب مقابلته وقال له: "بمثلك ترقى الأمة"، كما دعاه إلى تأليف كتاب في صورة مقالات متسلسلة، فاستجاب الشيخ طنطاوي لتلك الدعوة من رمز الوطنية والمروءة، وكتب أكثر من ستين مقالة أرسلها إلى اللواء. وقد عنون مصطفى كامل تلك السلسلة بخط يده قائلًا: نهضة الأمة وحياتها لحكيم من كبار الحكماء، ويُعد مصطفى كامل أول من أطلق على الشيخ طنطاوي لقب "الحكيم"، تقديرًا لفكره العميق وموقفه الإصلاحي.[14]

وفاته: عاش طنطاوي جوهري ثمانية وسبعين عامًا، متمتعًا بذاكرة قوية ووجه مشرق، بفضل الله ثم بفضل نظام صحي التزم به بعد تقاعده. واصل جهوده في الدعوة إلى وحدة الأمة الإسلامية تحت راية التوحيد، ولم يمنعه مرضه من أداء رسالته حتى أقعده. توفي

[12] المرجع السابق، ص18

[13] المرجع السابق، ص18

[14] https://www.tantawi-jauhari.net/2016/05/18/نبذة-عن-الشيخ-طنطاوى-جوهرى

صباح الجمعة 3 ذو الحجة 1358هـ / 12 يناير 1940م، بعد أن كرّس حياته لخدمة المجتمع.[15]

[15] فضل حسن عباس، *التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث*، الجزء الثاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2016، ص 302.

الفصل الثاني : جهود الشيخ طنطاوي جوهري في الإنتاج العلمي والفكري

مؤلّفات طنطاوي جوهري

يعدّ الشيخ طنطاوي جوهري من أبرز الكتّاب العرب، إذ خلّف أكثر من ثلاثين مؤلفًا تُشكّل بمجموعها موسوعة شاملة في شتى ميادين المعرفة. وقد كتبها بأسلوب بسيط وجذّاب، يُشعر القارئ كأنّه يستمع إلى قصة شيقة، تتنقل به بين العجائب والحقائق بسلاسة ومتعة. ورغم تناوله موضوعات علمية دقيقة ونظريات معقدة، فإنّ القارئ لا يجد صعوبة في فهمها، بفضل عمق اطلاع المؤلف، وقوة بحثه، ورسوخ قدمه في العلم والتحقيق. وقد تُرجِم بعض هذه الكتب إلى لغات عدة، منها الإنجليزية والفرنسية والأمهرية والهندية والإندونيسية وغيرها.

ومن أبرز إسهاماته العلمية ما كتب طنطاوي جوهري: «الزهرة في نظام العالم والأمم، نظام العالم والأمم أو الحكمة الإسلامية العليا، التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم، نهضة الأمة وحياتها، الفرائد الجوهرية في الطريق النحوية، جمال العالم، جمال الطبيعة وعجائب الكون، النظام والإسلام، جواهر العلوم، ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر، رسالة الحكمة والحكماء، جوهر التقوى في الأخلاق، كتاب في علم الأخلاق، مذكرات في أدبيات اللغة العربية، أين الإنسان، الموسيقى العربية، سوانح الجوهري، رسالة الهلال، براءة العباسة، المدخل في الفلسفة، جوهرة الشعر والتعريب، رسالة عين النملة، كتاب التربية للحكم الألماني كانط، الأرواح، جوهر التقوى، أحلام في السياسة، القول الصواب

في مسألة الحجاب، بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية، القرآن والعلوم العصرية، الجواهر في تفسير القرآن»[16].

وكان آخر ما ألّفه طنطاوي جوهري هو تفسيره الشهير «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»،حيث أتمّ تفسيره في خمسة وعشرين مجلداً ضخماً، ثم أضاف مجلداً سادساً وعشرين خصصه لما فاته من استدراكات، بمتوسط 250 صفحة لكل مجلد. وقد كتب هذا العمل الجليل بعد إحالته إلى التقاعد، وذلك في الفترة من عام 1922 إلى 1935 دون انقطاع. ويتميّز هذا التفسير بمحاولته الجمع بين النصوص القرآنية والاكتشافات العلمية الحديثة، حيث سعى إلى تطبيق النظريات العلمية على آيات القرآن الكريم، أو استخراجها منها، فظهر التفسير كعمل موسوعي يجمع بين تراث الأمم القديم والمعرفة الحديثة، مع سعي واضح للتوفيق بين الفكرة الدينية والرؤية العلمية.[17]

نال تفسير "الجواهر" للشيخ طنطاوي جوهري شهرة واسعة، خاصة في منطقة الشرق الأقصى، ولاقى اهتمامًا بالغًا في إيران على وجه الخصوص. وقد أشادت به مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية، ووصفت مؤلّفه بأنّه فيلسوف حكيم بقدر ما هو عالم ديني، وأنّه قدّم تفسيرًا للقرآن يُبرز أنّ الإسلام دين الفطرة، يتوافق مع الطباع البشرية، وينسجم مع الحقائق العلمية والقوانين الطبيعية. وقد تُرجم هذا التفسير إلى اللغة الأوردية، ويتميّز باحتوائه على أكثر من ألف صورة فوتوغرافية توضح عجائب المخلوقات من شمس وقمر ونجوم، إضافة إلى صور متنوعة للنباتات والحيوانات، وكذلك صور بيانية للأعضاء

[16] عبد العزيز جادو، *الشيخ طنطاوي جوهري: دراسة ونصوص*، ص 20 وما بعدها، ط. دار المعارف، القاهرة

[17] https://shamela.ws/book/38014/303

البشرية. فعند تفسيره لقوله تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون"[18]، يعرض صورة للمخ البشري وما فيه من تعقيد وإعجاز. ويزخر التفسير بالعديد من المعجزات القرآنية التي أثبتها العلم الحديث.[19]

وقد أفاد علماء إيران بأنّ هذا الكتاب يُدرَّس من قِبل العلماء لجميع الطلاب، ويعد بمثابة دائرة معارف شاملة، ولقد انتشر انتشارا عاما في السودان وشمال إفريقيا وبلاد جاوة .وقال الشيخ أبو عبد الله الزنجاوي :«إن طلاب العلوم الحديثة في مدارس إيران يقرؤون هذا التفسير وبه وحده زالت عنهم الشكوك والوساوس في الدين، كما أنّ علماء الوعظ يخطبون به على المنابر هناك.وأقبل أهل الهند على هذا التفسير إقبالا عظيما»[20]

الداعي إلى السلام العالمي وترشيحه لجائزة نوبل

يعدّ الشيخ طنطاوي جوهري من أوائل من قدّموا مفهوم السلام العالمي في عصره، حيث تجاوز نشاطه العلمي الحدود المحلية، لينفتح على الفكر والثقافة العالمية، موجّهًا رسالته إلى الإنسان في كل مكان، داعيًا إلى التعايش السلمي والانفتاح على المعارف والعلوم الإنسانية والمدنية، ومناصرًا لقيم الحضارة. وقد أثمرت هذه الرؤية عن تأليفه لكتابيه المهمين: «أين الإنسان؟» و«أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام العام» واللذين يُعدّان بمثابة حلّتين فكريتين لا غنى للأمم المعاصرة عنهما إذا أرادت أن تحقق حلم السلام العالمي. كتب جوهري هذين العملين على شكل رواية فلسفية سياسية، تناول خلالها آراء

[18] سورة الذاريات، الآية 21
[19] جادو، الشيخ طنطاوي جوهري، ص38
[20] المرجع السابق، ص 38،39

عدد من المفكرين مثل الفارابي، وابن طفيل، وتوماس مور، رابطًا تلك الرؤى بمفاهيم القرآن الكريم. وقد كان بذلك أول مصري، بل أول عربي، يُرشّح لنيل جائزة نوبل، في 12 يناير 1940، بفضل إسهامه الفريد في هذا المجال.

استمد جوهري نظريته في السلام من الهدي القرآني، وخصوصًا من قوله تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»[21]، مؤكدًا أنّ السلام الحقيقي لا يتحقق إلا من خلال التعارف والتواصل بين الشعوب. وفي خلاصة رأيه، يرى جوهري أن: "سياسة الأمم إن لم تُبنَ على نظام محكوم ودقيق كما هو الحال في العلوم، فإن البشرية مهددة بالهلاك ولا تستحق البقاء.[22]

أحلامه في السياسة لتحقيق السلام العالمي

في كتابه "أحلام في السياسة"، يصور الشيخ طنطاوي جوهري مشهدًا تخيليًا يصعد فيه إلى عالم الأرواح باحثًا عن السلام الشامل، من خلال حوار رمزي بين الأرواح والأسئلة المطروحة. وقد تناولت هذه الأرواح قضايا علمية متعددة، من أبرزها: علم الأعداد، علم العناصر، التيارات البحرية، أوراق الأشجار، مملكة النحل، مملكة النمل، ومجموعة الشمس وكواكبها، إلى جانب تشريح دماغ الإنسان وأجزائه المرتبطة بالحواس الخمس، وما ينعكس عليه من آثار العلوم المتنوعة .يرى جوهري أنّ النظام السياسي في حياة البشر ينبغي أن يستمدّ أسسه من النظم الطبيعية التي تحيط بالإنسان، لكن أكثر الناس

[21] سورة الحجرات، آية 13

[22] http://www.darululoom-deoband.com/arabic/articles/tmp/1554261126%2005-Dirasat_03_1432_1.htm

يغفلون عن هذه العلاقة. وقد عرض فكرة أنّ تركيب أجسام الكائنات الحية سواء نباتًا أو حيوانًا يخضع لنظام دقيق يمكن تطبيقه على سياسة الأمم، داعيًا البشر إلى الاستفادة من هذا النظام لتحقيق السعادة والسلام. ويضرب مثالاً بشجرة النخيل التي يُوزع فيها الغذاء الممتص من الأرض على مختلف أجزائها بطريقة منظمة، دون صراع أو تفضيل.كما يعقد جوهري مقارنة بين جسد الإنسان ونظام الأعداد، موضحًا أنّ الإنسان يمتلك ثلاث قوى رئيسية:

القوة النباتية: وهي التي تدفعه لحفظ حياته بالغذاء والشراب.

القوة الحيوانية: المسؤولة عن حماية النفس من الأخطار.

القوة الملكية: التي تمنحه العقل والعلم، وترتقي به في مجالات السياسة والأخلاق.

ويؤكد جوهري أنّ الأمم تشبه الجسد الواحد، تتكامل قواها كما تتكامل قوى الإنسان، وإذا تمّ استخدام هذه القوى بانسجام وتنظيم طبيعي، فإنّ ذلك سيؤدي إلى تحقيق الاستقرار والسلام في العالم.[23]

[23] https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/2082

الباب الثاني:

أهمية الآيات الكونية في القرآن الكريم

الباب الثاني : أهمية الآيات الكونية في القرآن الكريم

الفصل الأول: مفهوم الآيات الكونية

الفصل الثاني: استعمال القسم في الآيات الكونية

الفصل الثالث : استدلال القرآن بالآيات الكونية

الفصل الرابع : أساليب القرآن في دعوة الإنسان للتفكر

الفصل الخامس : دور الآيات الكونية في المثل القرآني

الفصل السادس: الإشارات الكونية في القرآن

الفصل الأول :مفهوم الآيات الكونية

أولًا: المفهوم اللغوي

فأمّا لفظ"الآية": «الآية في اللغة تطلق على عدة معانٍ منها:

١- المعجزة: ومنه قوله تعالى: "سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءاتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ"[24].

٢- العلامة: ومنه قوله تعالى: "إِنَّ ءايَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ"[25]

٣- العبرة: ومنه قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[26]

٤- البرهان والدليل: ومنه قوله تعالى: "وَمِنْ ءايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ"[27]

٥- الأمر العجب، تقول العرب: فلان آية في العلم وفي الجمال.

٦- الجماعة، تقول العرب : خرج القوم بآيتهم أي بجماعتهم»[28]

قيل تُفَسَّر الآية بأنّها العلامة، وهذا هو المعنى الشائع في لغة العرب كما عرّفها الراغب الأصفهاني **الآية**: «هي العلامة الظاهرة، وحقيقته لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنّه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته، إذ كان حكمهما سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق

[24] سورة البقرة،الآية 211
[25] سورة البقرة،الآية 248
[26] سورة البقرة،الآية 248
[27] سورة الروم،الآية 22
[28] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي،دراسات في علوم القرآن الكريم،الطبعة الثانية عشرة، 2003م، ص 115

المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئا مصنوعا علم أنّه لا بدّ له من صانع»[29]

وأمّا لفظ الكون:

الكون لغة: «كَوّنه فتكوّن: أحدثه فحدث، والكون: الحدث، والكائنة: الحادثة، والله مكون الأشياء: يخرجها من العدم إلى الوجود كما فى اللسان»[30]

ثانيًا : اصطلاحا

تعددت تعريفات الآية، ومن أبرزها:

الكون :«هو اللفظ المستخدم للدلالة على كل ماحولنا، من النجوم التى نراها ليلا فى السماء، والتى تتجمع فى مجموعات تعرف بالمجرات، إلى الفضاء الواقع بين هذه المجرات، ومايوجد به من غازات وغبار كونى، بالإضافة إلى أشىء يقدر له الوجود وراء حدود مانراه»[31]

وقد عرّف المفسر ابن عاشور "**الآية**": «أصلها العلامة الدالة على شيء، من قول أو فعل، وآيات الله الدلائل التي جعلها دالة على وجوده، أو على صفاته، أو على صدق رسله، ومنه

[29] الراغب الأصفهاني، *المفردات في غريب القرآن*، تحقيق صفوان عدنان الداودي، ط 1، بيروت، دار القلم/الدار الشامية، 1991، ص 101.
[30] *موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة*، إعداد عويسيان التميمي البصري، ط 1، القاهرة، دار الشاملة، 2023، ص 559
[31] المرجع السابق، ص559

آيات القرآن التي جعلها الله دلالة على مراده للناس، لِلتَّعْرِيضِ بِالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ، الَّذِينَ أَنْكَرُوا رِسَالَة محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[32]

قال الشنقيطي رحمه الله: "الآية" تطلق في القرآن على إطلاقين، الأول منهما: «فهو إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية، كقوله تعالى: "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»[33] أي أنها آيات كونية تدل دلالة قدرية على وجود الخالق، ويستدل بها أصحاب العقول السليمة. وأمّا الثاني: إطلاق الآية على الشرعية الدينية، كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله تعالى:«تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين»[34]

وأمّا الكون اصطلاحًا: «جملة الموجودات الكائنة من مختلف صور المادة والطاقة والزمان والمكان وما تتشكل عليه من كافة الجمادات والأحياء»[35]

ثالثًا : معنى الآيات الكونية:

الآيات الكونية هي: «الآيات المنسوبة إلى الكون الذي هو الخلق الذي كونه الله تعالى فكان، وذلك السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من سائر المخلوقات، فكلّ المخلوقات ذواتها، وصفاتها، وأحوالها من الآيات الكونية»[36]، ويشمل هذا الكون السماوات والأرض، وما فيهما من جبال وسهول وأنهار، وما يتخللهما من شمس وقمر، وما ينبض بالحياة من نبات

---

[32] https://shamela.ws/book/9776/3146

[33] سورة آل عمران، الآية 190

[34] سورة البقرة، الآية 252

[35] الكون .. سبع أراض وسبع سماوات." إسلام أون لاين. تاريخ الدخول 1 آب/أغسطس 2025، https://islamonline.net/archive/الكون-سبع-أراض-وسبع-سماوات/.

[36] عبد المجيد بن محمد الوعلان، *الدلالات العقدية للآيات الكونية: دراسة جامعية*، ط. 1،دار ركائز للنشر والتوزيع، 2019م، ص26.

وحيوان، وما هو ساكن من الجمادات، إلى جانب خلق الإنسان، وسائر الآيات المنتشرة في الآفاق، وفيما بين السماوات والأرض.

العلم الذي يهتم بدراسة الآيات الكونية اسم علم الكونيات، وهو فرع من علم الفلك والفيزياء الفلكية يُعنى ببحث تركيب الكون، وتطوّره، وحركته. ويسعى هذا العلم إلى تفسير كيفية نشأة الكون، وما مرّ به من أحداث في الماضي، وما قد يطرأ عليه في المستقبل.[37]

[37] المرجع السابق، ص 27

الفصل الثاني: استعمال القسم في الآيات الكونية

عند التدبر في النص القرآني الكريم، يتبيّن أنّ الله سبحانه وتعالى قد أقسم في مواضع متعددة بآيات كونية متنوعة، منها السماوات والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، وغيرها من مظاهر الخلق التي تحمل في طياتها دلائل واضحة على قدرته وحكمته. تأتي هذه الأقسام بهدف جذب انتباه الإنسان وتحفيزه على التأمل والتفكر في هذه الآيات، لتكون برهانًا ساطعًا على وجود الخالق.

تتكرر في القرآن الكريم آيات القسم التي تستند إلى مظاهر الكون كدليل على عظمة الله وقدرته في الخلق والتدبير. فقد ابتدأ التنزيل الحكيم أقساما متعددة بأسماء من آيات الله الكونية، تحث الإنسان على التفكر والتأمل في هذه الظواهر التي تكشف عن حكمة الخالق جل وعلا.

في سورة الواقعة يقول الله تعالى:«فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ»[38]

في سورة الذاريات يقول الله تعالى:«وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ»[39]

وقوله تعالى: «وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ. النَّجْمُ الثَّاقِبُ. إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ»[40]

[38] سورة الواقعة، الآيتان 75–76

[39] سورة الذاريات، الآيات 20–23.

وقوله تعالى: «وَالْفَجْرِ. وَلَيَالٍ عَشْرٍ. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ. هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ»[41]

وقوله تعالى:«لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ. وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ. وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ. أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ»[42]

يقول الله تعالى: «وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا. وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا. وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا. وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا»[43]

وقوله تعالى :«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى»[44]

وقوله تعالى: «وَٱلضُّحَى. وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى»[45]

وقوله تعالى:«وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ. لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»[46]

أسلوب القسم في القرآن الكريم يعد وسيلة لتأكيد الكلام وتوضيح معانيه وأهدافه بحسب رغبة المتحدث، حيث يُستخدم لإبطال اعتراض المناكرين أو إزالة شكوك المترددين.

تتضح الحكمة من استخدام القسم بالآيات الكونية في النقاط التالية:.

---

[40] سورة الطارق، الآيات 1–6.
[41] سورة الفجر، الآيات 1–5.
[42] سورة البلد، الآيات 1–5.
[43] سورة الشمس، الآيات 1–9
[44] سورة الليل، الآيات 1–4
[45] سورة الضحى، الآيات 1–3
[46] سورة التين، الآيات 1–4

1. أقسم الله تعالى في كتابه الكريم بعدد من مخلوقاته، مثل: النجم، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، والسماء، والأرض، والخيل، والتين، والزيتون، وطور سيناء، والبلد الأمين، وغيرها، لما تحمله من دلائل على قدرته سبحانه، ومظاهر عظمته، ومواضع للعبرة.[47]

2. إنّ إقسام الله تعالى بهذه المظاهر الكونية دليل على رفعتها وعِظم شأنها، وما تنطوي عليه من فوائد دينية ودنيوية؛ فهي براهين واضحة على وحدانية الله،أو دافعًا للحثّ على الشكر.

قال ابن القيم رحمه الله: «وقد تضمن هذا القسم الأقسام بالخالق والمخلوق فأقسم بالسماء وبانيها والأرض وطاحيها والنفس ومسويها، وقد قيل إن مصدرية فيكون الأقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد أقسم بالمصنوع الدال عليه وبصنعته الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده، ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار أمرًا يشهد الناس حدوثه شيئًا فشيئًا ويعلمون أنّ الحادث لا بد له من محدث كان العلم بذلك منزلًا منزلة ذكر المحدث له لفظًا فلم يذكر الفاعل في الأقسام الأربعة»[48]

3. إنّ القسم بالآيات الكونية في القرآن الكريم وسيلة للتأكيد والتعظيم، وكذلك للتنبيه إلى الدروس والعبر الموجودة فيها، بالإضافة إلى ما تحمله من منافع وأضرار.

[47] محمد بكر إسماعيل، *دراسات في علوم القرآن*، ط 2، القاهرة: دار المنار، 1419هـ/1999م، ص 320.

[48] ابن القيم، *التبيان في أقسام القرآن*. تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، ١٣٧٨ هـ، ص. 18-19.

من التأكيد، كما جاء في قوله الله :«وَالصَّافَّاتِ صَفًّا. فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا. فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا. إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ. رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ. إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ»[49]

ومن التعظيم قوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ»[50]

ومن التنبيه: قوله تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى»[51]

وقوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ. وَمَا لَا تُبْصِرُونَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍقَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ»[52]

وقوله تعالى: «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوَارِ الْكُنَّسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ»[53].

4. أقسم الله بمخلوقاته لما فيها من دلائل قدرته ومنافع لعباده، لتنبيههم إلى التأمل فيها وشكر نعمه، إذ أن ما يُقسم به الله يرسخ في القلب ويقوّي دواعي التدبر[54]

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن ذلك قسمه سبحانه وتعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (سورة الليل: الآيات1–3)»

---

[49] سورة الصافات، الآيات 1–6.

[50] سورة الواقعة، الآيتان 75–76

[51] سورة النجم، الآيات 1–3

[52] سورة الحاقة، الآيات 38–41.

[53] سورة التكوير، الآيات 15–20.

[54] وهبة الزحيلي، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، الجزء 30، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٩١ م، ص 261.

أقسم الله بالليل في كل أحواله، لكونه من آياته، فذكره بصيغة المضارع عند غشيانه؛ إشارة إلى استمرارية دلالته عليه ؛ لأنه يغشى شيئًا بعد شيء، أمّا النهار، فإذا أشرقت الشمس انكشف بضيائها وظهر في لحظة واحدة. ولهذا جاء في سورة الشمس «وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيَهَا. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا»[55]، وأقسم الله به في حال جريانه، وأقسم به عند إدباره، كما أقسم به إذا عسعس؛ وقيل في معنى "عسعس" إنّه أدبر، فيكون المعنى موافقًا لقوله تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ. وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ»[56] وقيل معناه أقبل، فيكون كقوله:«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى»[57]، قد أقسم الله على تعاقب الليل والنهار؛ فعلى التفسير الأول يقع القسم على انقضاء الليل وظهور النهار بعده، وكلاهما من دلائل ربوبيته سبحانه وتعالى. ثم جاء القسم بخلق الذكر والأنثى، وهو ما يتضمن الإشارة إلى جميع الكائنات الحية على اختلاف أصنافها، ذكورها وإناثها، في دلالة على عظمة الخلق وتنوعه.[58]

يقول صاحب كتاب دراسات في علوم القرآن «إنّ في الذاريات والحاملات والجاريات والمقسّمات عظات بليغة، وآيات ناطقة بوحدانية الله تعالى وعظيم قدرته في تدبيرها؛ إذ يسخّرها نعمةً لقوم ونقمةً على آخرين، ويجعلها سببًا في حياة الإنسان والحيوان والنبات. وقد صنّفها سبحانه بحكمته إلى أصناف متعدّدة، لكل منها وظيفة كونية خاصة: فمنها ما

[55] سورة الشمس، الآيتان 3–4

[56] سورة المدثر، الآيتان 33–34

[57] سورة الليل، الآيات 1–3

[58] ابن القيم، *التبيان في أقسام القرآن*، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة، 1378هـ، ص 55.

يذرو النبات ويحركه ليزدهر وينمو، ومنها ما يحمل السحب المثقلة بالماء، ومنها ما يجري بهذه السحب بيسر وخفة إلى حيث يشاء، ومنها ما يُنزل المطر من تلك السحب بقدر معلوم وفي أماكن محددة»[59]

[59] محمد بكر إسماعيل، *دراسات في علوم القرآن*، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المنار، 1419هـ/1999م، ص 324–325.

الفصل الثالث : استدلال القرآن بالآيات الكونية

أولًا : توحيد الله

استند القرآن الكريم في إثبات توحيد الله تعالى إلى مشاهد الكون ودلائل الخلق المنتشرة في السماوات والأرض. كما قال تعالى: «وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[60]

تشير هذه الآيات الكونية إلى وحدانية الله تعالى، إذ تعدّ السماء من أعظم الدلالات على ذلك، فهي مرفوعة بغير أعمدة يُرى بها، وهو ما يدل على القدرة الإلهية الفائقة. وكذلك الأرض بما فيها من تضاريس متنوعة كالسُّهول والجبال والبحار، وما تحويه من ثروات معدنية مثل الذهب والفضة والرصاص والحديد، التي يعجز الإنسان عن خلق نظير لها. ومن دلائل التوحيد أيضًا نظام الرياح وتنوع اتجاهاتها، إذ تهبّ تارة من الشمال وأخرى من الجنوب، وأحيانًا من الغرب أو من الشرق، وتأتي محمّلة بوظائف متعددة، كأن تكون مُلقِّحة للسحاب، وكل ذلك يجري وفق نظام محكم يدل على وحدة الخالق وتفرده بالتصريف والتدبير.

وكذلك قوله جلّ شأنه: «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ. وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ

[60] سورة البقرة، الآيتان 163–164.

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ»[61]

والمقصود بالآية إنّ في خلق الله تعالى للناس، وفي خلقه لما انتشر في الأرض من دابّات تتحرك عليها وتختلف عن الإنسان في جنسها، دلائل بيّنة على عظم قدرته. وهذه الآيات تُعدّ براهين واضحة وحججًا دامغة لمن بلغوا مرتبة اليقين؛ أي لمن رسخت في قلوبهم المعرفة، فآمنوا إيمانًا جازمًا بحقائق الأمور، وأقرّوا بصحتها ويقينها.

وقوله تعالى: «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ»[62]

يُعتبر هذا النوع ثالث دليل على توحيد الله تعالى، حيث بدأ بالاستشهاد بأحوال السماء والأرض، ثم بالآثار العليا، ثم انتقل إلى الاستدلال بأحوال الكائنات الحية.[63]

قال الله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ. وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ. وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[64]

---

[61] سورة الجاثية، الآيات 3–6

[62] سورة النور، الآيات 44–46.

[63] https://tafsir.app/alrazi/24/46

[64] سورة الروم، الآيات 25–27.

تأتي جملة «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» مع ما بينها من أساليب الاستدلال على التوحيد والبعث كوسيلة لتحفيز انتباه المستمعين إلى هذه الأدلة الواضحة.[65]

يقول الله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[66]

تتضمّن الآية إلزامًا للكافرين بما أقرّوا به من أنّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق الوحيد للسماوات والأرض، مما يستوجب عليهم أن يخصّوه بالحمد والشكر، وألّا يُشركوا به أحدًا في العبادة.

يقول الإمام الرازي رحمه الله :«الْآيَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَا قَبْلَهَا مِنْ وَجْهَيْنِ أحدهما: أنّه تعالى لما استدل بخلق السموات بِغَيْرِ عَمَدٍ وَبِنِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بَيَّنَ أَنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِذَلِكَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ لَهُ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ الْحَمْدُ كُلُّهُ لِلَّهِ، لِأَنَّ خَالِقَ السموات والأرض يحتاج إليه كل ما في السموات وَالْأَرْضِ، وَكَوْنُ الْحَمْدِ كُلُّهُ لِلَّهِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يُعْبَدَ غَيْرُهُ»[67]

قول الله عز وجل: «وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ. وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ. لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»[68]

[65] https://islamiaat.github.io/pages/tafseer/tanweer/30/46.html

[66] سورة لقمان، الآية 25

[67] فخر الدين الرازي،مفاتيح الغيب، ج 25، ط 3، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ص 126

[68] سورة يس، الآيات 37–40.

قال الإمام الرازي: «لَمَّا اسْتَدَلَّ اللَّهُ بِأَحْوَالِ الْأَرْضِ وَهِيَ الْمَكَانُ الْكُلِّيُّ اسْتَدَلَّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الزَّمَانُ الْكُلِّيُّ فَإِنَّ دَلَالَةَ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ مُنَاسِبَةٌ لِأَنَّ الْمَكَانَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ الْجَوَاهِرُ وَالزَّمَانُ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ الْأَعْرَاضُ، لِأَنَّ كُلَّ عَرَضٍ فَهُوَ فِي زَمَانٍ وَمَثَلُهُ مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ»[69] ثُمَّ قَالَ بَعْدَهُ: «وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ»[70] حَيْثُ اسْتَدَلَّ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ هُنَاكَ أَيْضًا، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ أَوَّلًا هُنَاكَ إِثْبَاتُ الْوَحْدَانِيَّةِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ(سورة فُصِّلَت:الآية 37)»[71]، الآيات الكونية التي ساقها القرآن الكريم دليلاً على تفرد الله تعالى بالوحدانية كثيرةٌ، ويكفي لبيان هذا المقصد التمثيل ببعضٍ منها، إذ يكشف التأمل فيها عن دلائل القدرة والحكمة الإلهية

ثانيا : دليل قدرة الله

أشار الله تعالى في كتابه الكريم إلى عدد من الآيات الكونية، كالمطر، والسحاب، والظلمات، والبرق، والرعد، لما فيها من دلائل على عظيم قدرته ووحدانيته. يقول الله تعالى: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[72] ثم ختم الآية بقوله: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)،ممّا يدلّ على على قدرة الله تعالى. وقد استدلّ

[69] سورة فُصِّلَت، الآية 37

[70] سورة فُصِّلَت، الآية 39.

[71] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،ج. 26،ط. 3،دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ص 275

[72] سورة البقرة، الآيتان 19–20.

القرآن الكريم بتعاقب الليل والنهار، وبما بثّه الله من دابةٍ في الأرض، على كمال قدرته سبحانه، وإحكام صنعه في تدبير شؤون الخلق يقول الله تعالى: «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[73]

حثّ الله تعالى على التدبّر في إحدى الآيات الكونية، وهي آية المطر، لاستظهار قدرته سبحانه. يقول الله تعالى:«فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[74] والمعنى أي: انظروا نظر تأمل واستدلال، لتوقنوا أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها، قادرٌ كذلك على بعث الموتى.

وقوله الله عز وجل: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا»[75]

ثالثا: البعث

أشار القرآن الكريم إلى الآيات الكونية بوصفها دلائل حسيّة وعقلية في سياق إثبات إمكانية البعث والنشور، لتكون شاهداً على قدرة الله تعالى في إعادة الخلق كما بدأه، ومن ثم الحشر إليه يوم القيامة.

---

[73] سورة النور، الآيتان 44–45.

[74] سورة الروم، الآية 50.

[75] سورة الإسراء، الآية 99.

يقول الله تعالى: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»[76]

لقد ذكر الله الآيات الكونية كالسماء والأرض والشجر والقلم، وجعلها أدلة على أن الخلق والبعث عند الله كخلق نفس واحدة. ومن الدلائل الدالة على إمكان الحشر ما يذكره الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره، حيث توضح الآيات الكونية أن الاستدلال بقدرته على السموات دليل على قدرته على الحشر، ويأتي ذلك في آيات من سورة سّبْحان: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ"[77]. وَجاء فِي سورة يس:«أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ»[78] وَقَالَ فِي سورة الْأَحْقَافِ: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتى بَلى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[79] ومنها آيات واردة في سورة ق: «أَإِذا مِتْنا وَكُنَّا تُراباً إِلَى قَوْلِهِ: رِزْقاً لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ»[80] ثُمَّ قَالَ: «أَفَعَيِينا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (سورة ق:15)»[81]

---

[76] سورة لقمان، الآيات 25–28.

[77] سورة الْإِسْرَاءِ، الأية 99

[78] سورة يس، الأية81

[79] سورة الأحقاف، الأية 33

[80] سورة ق، الأية 3-11

[81] الرازي،مفاتيح الغيب، الجزء ٢، صـ 355، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث

هذه الآيات الكونية وردت في القرآن الكريم دليلاً على البعث، بصيغة استفهام تقريري تؤكد أنّ من خلقها قادر على إحياء الخلق وجمعهم يوم القيامة.

خامسًا: إثبات صدق القرآن

القرآن الكريم استدل على صدقه بالآيات الكونية التي تشير إلى عظمة الخلق. يقول الله تعالى: «الم. تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ»[82]

بيّن الله في القرآن المجيد أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق الإنسان من طين، وغيرها من الآيات التي تدل على عظمة الخلق. وتأتي هذه الآيات الكونية كدليل على صدق القرآن، حيث تؤكد أنه "لا ريب فيه"، منزل من رب حكيم،مما يدل على عظمة الله وعلمه ويؤكد صدق كلام القرآن.

أورد الله تعالى الآيات الكونية لتكون دليلًا وبرهانًا على صدق القرآن ،منها قوله تعالى:«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ

[82] سورة السجدة، الأية 1-9

حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ. وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ»[83]

فقد جاء في القرآن المجيد عن مصير الآيات الكونية في يوم القيامة، ومنها فقول الله تعالى:«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» يعني «تذكر يا محمد! واذكر هذا اليوم الذي فيه تكور الشمس، ومعنى (كُوِّرَتْ) لُفَّ بعضها على بعض، ومنه قولهم: كورت العمامة، أي: لفت العمامة، ومن العلماء من قال: {كُوِّرَتْ} : رُمي بها، ومنهم من قال: (كُوِّرَتْ) أي: ذهب ضوءها»[84]

من تفسير هذه الايات في كتاب التفسر الميسر :«إذا الشمس لُفَّت وذهب ضَوْءُها، وإذا النجوم تناثرت، فذهب نورها، وإذا الجبال سيِّرت عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثًّا، وإذا النوق الحوامل تُركت وأهملت، وإذا الحيوانات الوحشية جُمعت واختلطت؛ ليقتصَّ الله من بعضها لبعض، وإذا البحار أوقدت، فصارت على عِظَمها نارًا تتوقد»[85]

هذا البيان عن مصير الآيات الكونية يوم القيامة له أهمية كبيرة، حيث يُبرز أن هذه الآيات ليست مجرد مظاهر خلقية عابرة، بل ستكون شاهدة على صدق القرآن الكريم. من الآيات الكونية التي تُستدل بها على صدق القرآن الكريم، قوله تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»[86]

---

[83] سورة التكوير، الأية 1-11

[84] مصطفى بن العدوي،سلسلة التفسير، دروس صوتية مفروغة، موقع الشبكة الإسلامية، [http://www.islamweb.net](www.islamweb.net). الدرس 110، الجزء 2، الصفحة 2.

[85] نخبة من أساتذة التفسير، *التفسير الميسر*، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1430هـ/2009م، ص 586.

يقول الشعراوي في تفسير هذه الآية: «أي أن الله سبحانه وتعالى سيكشف لعباده بعضا من آياته ليتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق. وكيف يتبين لهم أنه الحق، ذلك أن حقائق الكون التي سيصلون إليها بعد مئات السنين أو آلاف السنين بنشاطات الذهن. سيجدون القرآن قد أشار إليها، وحينئذ يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق لان الذي قال هو الله والذي خلق هو الله»[87]

القرآن يدعوها إلى النظر في هذه الكائنات، والتفكر في عجائب هذه المخلوقات، وأشار إليها إشارات صريحة، من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، فكان ذلك تفسيراً عملياً لقوله تعالى: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"[88]

أثبت العلماء الذين درسوا الآيات الكونية في القرآن تطابقها المدهش مع اكتشافات العلم الحديث في مجالات مثل الفلك والطب والكيمياء، ممّا أكد لهم أنّ القرآن هو كتاب الله الحق.

[87] محمد متولي الشعراوي، *معجزة القرآن*، الطبعة الأولى، 1398هـ/1978م، القاهرة: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 42–43.
[88] سورة فصلت: الأية53

الفصل الرابع: أساليب القرآن في دعوة الإنسان للتفكر

أولًا: النص الواضح

ومن أبرز الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لدعوة الناس إلى التأمل في آيات الكون، حيث تأتي الآيات بصيغ مباشرة وواضحة تحث الإنسان على التأمل في خلق السماوات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، واختلاف الرياح، وغيرها من الظواهر الكونية، لتلفت انتباهه إلى قدرة الخالق وعظمة تدبيره، كما في قوله تعالى:«قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ»[89]

يقول الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله: «يقولُ تعالى قُلْ يا محمدُ لهؤلاء المشركين مِن قومِك،﴿انْظُرُوا﴾ أيُّها القومُ ﴿مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مِن الآياتِ الدالة على حقيقةِ ما أدْعوكم إليه مِن توحيدِ اللهِ مِن شمسِها وقمرِها، واختلافِ ليلِها ونهارِها، ونزولِ الغيثِ بأرزاقِ العبادِ مِن سحابِها، وفي الأرضِ مِن جبالِها، وتَصدُّعِها بنباتِها وأقواتِ أهلِها، وسائرِ صنوفِ عجائبِها، فإن في ذلك لكم إن عَقَلتم وتَدبَّرتم عظةًومعتبرًا، ودلالةً على أن ذلك مِن فعلِ مَن لا يجوز أن يكون له في ملكِه شريكٌ، ولا له على تدبيرِه وحفظِه ظهيرٌ يُغنيكم عما سواه مِن الآياتِ»[90]

---

[89] سورة يونس، الآية 101

[90] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م، ج 12، ص 300–301.

من أقوال الله تعالى:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»[91]

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»[92]

«قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»[93]

«أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا»[94]

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»[95]

«أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»[96]

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[97]

«وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ»[98]

«قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ»[99]

«وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ»[100]

---

[91] سورة آل عمران، الآية 190.
[92] سورة يوسف، الآية 109.
[93] سورة يونس، الآية 101.
[94] سورة الحج، الآية 46.
[95] سورة السجدة، الآية 4.
[96] سورة الأنبياء، الآية 30.
[97] سورة العنكبوت، الآية 20.
[98] سورة الذاريات، الآيتان 20–21.
[99] سورة فصلت، الآية 9.

«فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ»[101]

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا»[102]

«اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»[103]

«فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ»[104]

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا»[105]

وهذه الآيات أمر الله سبحانه وتعالى بالنظر في خلق السماوات والأرض، كالنجوم والشمس والقمر والجبال والشجر، يدل على وحدانية الله وقدرته العظيمة. كما أمر الله بالسير في الأرض للاطلاع على آيات الأمم السابقة. يقول الله تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ • قُلْ لِّمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»[106] أي سيروا في أنحاء الأرض وتأملوا في أحوال الأمم السابقة، وكيف أنّ الله أهلكهم عندما كذّبوا رسله على أوامره.

---

[100] سورة الغاشية، الآية 20.

[101] سورة عبس، الآية 24.

[102] سورة فاطر، الآية 27

[103] سورة الروم، الآية 40.

[104] سورة الطارق، الآيتان 5–6.

[105] سورة يونس، الآية 67.

[106] سورة الأنعام، الآيات11–13.

ثانيًا: اختتام الآيات الكونية بتنبيهات تستنهض العقول

القرآن الكريم يربط الآيات الكونية بتحفيز العقول وتوجيهها للتفكر فيها. قال تعالى:«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[107]

قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»[108]

قال الله تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ»[109]

قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ • فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ • وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ۖ وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ

---

[107] سورة البقرة، الآية 164.

[108] سورة آل عمران، الآيتان 189–190.

[109] سورة يونس، الآيتان 5–6.

أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[110]

قال الله تعالى: «يُنْبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ• وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ• وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ»[111]

قال الله تعالى: «وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ • وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ • وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ • ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[112]

قال الله تعالى:«يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

[110] سورة الأنعام، الآيات 95–99.
[111] سورة النحل، الآيات 11–13.
[112] سورة النحل، الآيات 65–69.

لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ • وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ • وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[113]

قال الله تعالى: «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ • وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ • وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ • تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ»[114]

وفي منتهي هذه الأيات الكريمات يلاحظ أنها تلهب عقول السامعين وتوخز أفكارهم وتنزع ألبابهم وتستحضر عقول القارئين بشحنات الإيمان بالله سبحانه تعالى.

[113] سورة الروم، الآيات 19–24.

[114] سورة الجاثية، الآيات 3–6.

ثالثًا: الخسارة لمن ترك التفكر في الآيات الكونية

القرآن انتقد غفلة الناس عن التفكر في آيات الله في الكون، واعتبرهم غافلين، لا يستخدمون عقولهم لفهم دلائل القدرة الإلهية في الخلق. فأنكر عليهم غفلتهم، ووصمهم بالتكذيب والعناد بهذه الآيات وتهكم عليهم. فقال سبحانه :«أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ • وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ • وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ»[115]

وهذه الآية كقوله تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ»[116]. في هذه الآية تحذير وتنبيه لمن يغفل عن التأمل في الآيات الكونية

كما عاب الله الذين أعرضوا عن التأمل في الآيات الكونية بقوله تعالى: «أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ • وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ • تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ»[117]

يفسر أبو بكر الجزائري هذه الأية: «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم أي أعمي أولئك المنكرون للبعث المكذبون بلقاء ربهم يوم القيامة فلم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم إلى حجم السماء الواسع العالي الرفيع الكائن فوقهم وقد رفع بلا عمد ولا سند. وقد زينه خالقه بكواكب نيرة وأقمار منيرة وشموس مضيئة ولم ير في السماء من تصدع ولا شقوق ولا تفطر

[115] سورة الأنبياء، الآيات 30–32.
[116] سورة يوسف، الآية 105.
[117] سورة ق، الآيات 6–8.

الحياة كلها أليس على خلق السماء قادر على إحياء موتى خلقهم وأماتهم بقدرته أليس القادر على الخلق ابتداء وعلى الإماتة ثانية بقادر على إحياء من خلق وأمات؟»[118]، من لا يتفكر في الآيات الكونية يُعاب عليه في القرآن، لأن تلك الآيات ما وُجدت إلا لتوقظ العقول وتُرشد القلوب إلى قدرة الله على كل شيء.

[118] أبو بكر جابر الجزائري، *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: ومعه حاشية نهر الخير*، ج 5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003م، ص 129–130.

الفصل الخامس : دور الآيات الكونية في المثل القرآني

جعل الله تعالى الظواهر الكونية مثلا ليكون موضعًا للعبرة والتأمل في عظمته، ومن ذلك قوله الله تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ • صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ • أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ۚ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ • يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[119].

وخلاصة معنى الأية :شبّه الله حال المنافقين الذين نطقوا بالشهادتين لكن لم يحققوا بها الهداية بنار أوقدوها في الظلام لينتفعوا بنورها، فإذا بها انطفأت، فظلوا حائرين في ظلمة لا يرون فيها شيئًا بسبب إعراضهم عن الحق وكفرهم المستور.

تتمثل مظاهر الآيات الكونية في الآية بالنار، والظلمات، والصيب وهو المطر، بالإضافة إلى الرعد والبرق والصواعق. جعل الله تعالى هذا المثل تصويرًا لحال المنافقين، إذ أظهروا الإسلام في الظاهر فحقنوا به دماءهم، وتزينوا به خداعًا، فكان تظاهرهم بالإسلام كالنار التي يستضيء بها المستوقد، نورها مؤقت وسرعان ما ينطفئ، فلا يبقى لهم من ذلك إلا الظلمة والضلال، وقوله: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ)معناه،فقد ذهب منهم نور الهدايةوالإسلام.

يذكر الله في القرآن الكريم عن الحشرات لتكون دليلاً على عظم الخلق ودقة الصنعة. فقد ضرب الله مثلًا بالبعوضة، تلك التي قد يستصغرها الإنسان، فيقول الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا

[119] سورة البقرة، الآيات 17–20.

يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ»[120] ليشير إلى أنّ في كل خلقه عبرة، مهما بدا صغيرًا في أعين الناس.

جعل الذباب مثلاً لعجز الخلق فقال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»[121]، كما ذكر العنكبوت وضرب بها مثلاً في الضعف: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[122]

جعل الله في الحشرات التي قد يُجهل قدرها دلائل على قدرته وعلمه، وأن الحكمة ليست في الكِبَر، وأن كل مخلوق له مكانه في هذا الكون، فلك الحمد في الأولى والآخرة، عدد ما في الأرض من نمل، وعدد ما في السماء من طير، وعدد ما لا يُرى من مخلوقات الله.

قال الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره: «لَا ذَرَّةَ فِي عَالَمِ الْمُحْدَثَاتِ إِلَّا وَهِيَ تَدْعُو الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، وَأَمَّا الدُّعَاةُ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ فَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَلَمَّا كَانَ كُلُّ بَقٍّ وَبَعُوضَةٍ دَاعِيًا إِلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، قَالَ الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَما فَوْقَها"[123]، ذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْبَعُوضَةَ بِحَسَبِ حُدُوثِ ذَاتِهَا

[120] سورة البقرة، الآية 26.
[121] سورة الحج، الآية 73.
[122] سورة العنكبوت، الآية 41.
[123] سورة الْبَقَرَة، الاية 26

وَصِفَاتِهَا تَدْعُو إلى قدرة الله بحسب تَرْكِيبِهَا الْعَجِيبِ تَدْعُو إِلَى عِلْمِ اللَّهِ وَبِحَسَبِ تَخْصِيصِ ذَاتِهَا وَصِفَاتِهَا بِقَدْرٍ مُعَيَّنٍ تَدْعُو إِلَى إِرَادَةِ اللَّهِ»[124]

إنّ الله تعالى لا يمتنع عن استخدام البعوضة كمثال، رغم صغرها وحقارتها التي قد تجعل البعض يستحيي أو يتردد في تشبيه شيء بها. فهو سبحانه لا يقلل من شأن أي شيء يضرب به المثل، حتى وإن كان صغيرًا وضعيفًا مثل البعوضة. كما أنه لم يمتنع عن خلقها، فإنه أيضًا لا يمتنع عن استخدامه لها في الأمثال والعبر.كما ضرب الله المثل البليغ بالذباب في قوله تعالى«يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»[125]

تُظهر الآية بطلان اتخاذ غير الله آلهة، حيث يبيّن ضعفها في مثل العنكبوت التي بنت بيتها الضعيف فلم تنفعها عند الحاجة بقوله تعالى:«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ• اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ • وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»[126]

قال أبو إسحاق: «إن بيت العنكبوت لا بيتَ أضعفُ منه فيما يتخذه الهوام، ولا أقل وقاية من حر أو برد؛ والمعنى: أن أولياءهم لا ينفعونهم، ولا يرزقونهم، ولا يدفعون عنهم ضررًا،

[124] فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، ط. 3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ، ج 32، ص 328.
[125] سورة الحج، الآية 73.
[126] سورة العنكبوت، الآيات 41–43.

كما أن بيت العنكبوت غير موقٍ لها. قول الله تعالى: "لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" أي: لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتًا، ليس أنهم لا يعلمون أن بيت العنكبوت ضعيف»[127]

وقد قدّم الله سبحانه مثالًا يبيّن صفات أهل الحق وأتباعه، ومثّل أيضًا للباطل وأصحابه بقوله تعالى: «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ»[128]

يقول ابن القيم رحمه الله: «شَبَّهَ الْوَحْيَ الَّذِي أَنْزَلَهُ لِحَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ بِالْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ لِحَيَاةِ الْأَرْضِ بِالنَّبَاتِ، وَشَبَّهَ الْقُلُوبَ بِالْأَوْدِيَةِ، فَقَلْبٌ كَبِيرٌ يَسَعُ عِلْمًا عَظِيمًا كَوَادٍ كَبِيرٍ يَسَعُ مَاءً كَثِيرًا وَقَلْبٌ صَغِيرٌ إِنَّمَا يَسَعُ بحسبه كَالْوَادِي الصَّغِيرِ، فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا، وَاحْتَمَلَتْ قُلُوبٌ مِنْ الْهُدَى وَالعِلم بِقَدَرِهَا، وَكَمَا أَنَّ السَّيْلَ إذَا خَالَطَ الْأَرْضَ وَمَرَّ عَلَيْهَا احْتَمَلَت غُثَاءً وَزَبَدًا فَكَذَاكَ الْهُدَى وَالْعِلْمُ إذَا خَالَطَ الْقُلُوبَ أَثَارَ مَا فِيهَا مِنْ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ لِيَقْلَعَهَا وَيُذْهِبَهَا، كَمَا يُثِيرُ الدَّوَاءُ وَقْتَ شُرْبِهِ مِنْ الْبَدَنِ أَخْلَاطَهُ فَيَتَكَدَّرُ بِهَا شَارِبُهُ، وَهِيَ مِنْ تَمَامِ نَفْعِ الدَّوَاءِ، فَإِنَّهُ أَثَارَهَا لِيذهَب بِهَا، فَإِنَّهُ لَا يُجَامِعُهَا وَلَا يُساكنها»[129]

[127] أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، *التفسير البسيط*، إعداد لجنة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (وهو في الأصل 15 رسالة دكتوراه بالجامعة)، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430هـ، ج 17، ص 528.

[128] سورة الرعد، الآية 17.

[129] ابن القيم، *الجامع في أمثال القرآن*، تحقيق أبو أويس الكردي، مراجعة مصطفى العدوي، مكتبة ابن تيمية، 2009، صـ 117.

وفي القرآن أمثال عديدة، يقول بعض السلف: «إذا سمعتُ المثل في القرآن فلم أفهمه بكيتُ على نفسي، لأن الله تعالى يقول: وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ»[130]

يضرب الله تعالى مثل الإيمان بالشجرة الطيبة، والكفر بالشجرة الخبيثة، حيث تعد الشجرة من الآيات الكونية، يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ»[131]

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: (مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) شهادة أن لا إله إلا الله، كشجرة طيبة وهو المؤمن، (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) يقول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن، (وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ) يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء، وهكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير واحد: إن ذلك عبارة عن عمل المؤمن، وقوله الطيب، وعمله الصالح، وإن المؤمن كشجرة من النخل لا يزال يرفع له عمل صالح في كل حين ووقت وصباح ومساء»[132]

---

[130] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق مصطفى السيد محمد وآخرون، الجيزة: مؤسسة قرطبة – مكتبة أولاد الشيخ، 1421هـ/2000م، ج 1، ص 328.

[131] سورة إبراهيم 24–26

[132] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق حكمت بن بشير بن ياسين، الرياض: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1431هـ، ج 4، ص 608.

قول الله تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون»[133]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله: «الآية يعذر الله الجبل الأصمّ، ولم يعذر شقيّ ابن آدم، هل رأيتم أحدًا قط تصدّعت جوانحه من خشية الله "وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ"، يقول تعالى ذكره: وهذه الأشياء نشبهها للناس، وذلك تعريفه جلّ ثناؤه إياهم أن الجبال أشدّ تعظيمًا لحقه منهم مع قساوتها وصلابتها. وقوله: (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، يقول: يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكروا فيها، فينيبوا، وينقادوا للحق. أي: أنه لو جعل في الجبل تمييز، وأنزل عليه القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته، حذرًا منأن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن، والكافر يعرض عما فيه من العبر كأن لم يسمعها، يصفه بقساوة القلب، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»[134]. وقد تعددت الآيات الكونية التي جعلها الله تعالى أمثلة للعبرة والتدبر، غير أنّ فيما سبق منها كفاية وغنى لمن تأمل.

[133] سورة الحشر، الأية 21

[134] محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، مكة المكرمة: دار التربية والتراث، ج 23، ص 301،

الفصل السادس : الإشارات الكونية في القرآن

القرآن الكريم اشتمل على إشارات إعجازية تتعلق بالعلوم الكونية في مجالات متنوعة مثل الفيزياء، والجيولوجيا، والكيمياء، والأحياء، ويُبيَّن ذلك عبر المحاور الآتية: إنّ مصطلح "الفيزياء" «هو علم يبحث في خصائص المادة العامة ويضع القوانين التي تتقيَّد بالظواهر الطبيعيّة، ويصنَّف علم الفيزياء إلى مجالات تقليديّة مثل السمعيات والبصريات والميكانيكا والديناميكا الحرارية، ومجالات حديثة تشمل الفيزياء الذريّة والنوويّة وفيزياء الحرارة المنخفضة وفيزياء الجسيمات "الفيزياء العامّة/ النَّوويَّة»[135]

ومن أبرز الآيات التي تضمنت إشارات تتعلق بعلم الفيزياء:

1. قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا»[136]

تتناول الآية أصل تكوين السماوات والأرض، من موضوعات علم الفيزياء الكونية، حيث يوضح القرآن أنهما كانتا كتلة واحدة ثم انفصلتا، فتكوّنت الأرض بقشرتها وغطّاها الماء، ومن ذلك نشأت الأحياء التي خلقها الله تعالىقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ. وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ. وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءايَاتِهَا مُعْرِضُونَ»[137]

---

[135] أحمد مختار عبد الحميد عمر، *معجم اللغة العربية المعاصرة*، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب، 2008م، ج 3، ص 1759.

[136] سورة الأنبياء: الآية 30

[137] سورة الأنبياء، الآيات 30–32

وقد أثبت العلماء اليوم أن أصل الكون كان سديمًا يشبه الدخان، غير أنّ القرآن الكريم سبق إلى الإشارة إلى ذلك قبل أن يدركه العلم الحديث بقول صريح.

يقول الله تعالى عن خلق السماوات والأرض: «قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ. وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ. ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»[138]

أوضح الله تعالى في كتابه أنّ السماء والأرض كانتا في الأصل كتلة من الدخان، وهو ما يُعبّر عنه العلماء اليوم بمادة السديم. وقد اجتهد علماء الفلك والفيزياء في تقديم نظريات متعددة لتفسير كيفية نشوء الكون وتكوّن مكوناته، ومن أبرزها نظرية الانفجار العظيم، غير أنّ الخوض في تفاصيل تلك النظريات، ومنها نظرية الانفجار العظيم، إلاّ أنّ التفصيل في تلك النظريات ليس محلًّا لهذا المقام.

3. قول الله تعالى: «فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ»[139]

[138] سورة فصلت، الآيات 9–12

[139] سورة الأنعام، الآية 125

تشير الآية إلى انخفاض الضغط الجوي مع ارتفاع عن سطح الأرض، حيث وُصف الضيق فيها بلفظ بالغ للمبالغة. فالفعل "يَصعد" أُتي به بمعنى "يتصعّد"، أي يتكلف الصعود مشقةً، فلا يستطيع ذلك بسهولة. ومن المعروف أن الهواء يخف وتقل كثافته ويهبط الضغط الجوي كلما ازداد الارتفاع عن سطح الأرض. فعند ارتفاعٍ يناهز ثلاثة آلاف متر عن مستوى سطح البحر، يبدأ الأوكسجين في الدم بالانخفاض، مما يؤدي إلى صعوبة في التنفس (ضيق النفس) وظهور الزرقة. وإذا تجاوز الارتفاع ستة آلاف متر، فإن الإنسان سرعان ما يفقد وعيه خلال دقائق. وقد أشار القرآن إلى هذه الحالة الدقيقة من ضيق النفس عند الارتفاع الشاهق، في وقت لم يكن فيه علم أو تجربة تدرك هذا المعنى. فقد نزلت هذه الآية قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا، بينما لم يتوصل الإنسان إلى فهمها علميًا وعمليًا إلا قبل نحو ثلاثة وتسعين عامًا، عندما حلق الأخوانرايت بأول طائرة وشعرا بضيق في التنفس، ثم جاء العلم الحديث ليؤكد العلاقة بين الصعود إلى طبقات الجو العليا وانخفاض ضغط الأوكسجين.[140]

4 . يقول الله سبحانه: «وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ»[141]

ذكر عبد العليم خضر: «أن العلم الجغرافي يوسع من مدلول الآيات القرآنية المفسرة ويلتقي مع بعض التفسيرات التي ذكرها المفسرون القدماء، فقد رأينا أن العلم أكد حركة أعضاء الأسرة الشمسية في مدارات غاية في النظام والجمال وكل كوكب يحافظ على سلوك منازل هذه المدارات دون صِدام مع غيره، أما التفسير الذي يعد البروج كواكب

[140] داود سليمان السعدي، *أسرار الكون في القرآن*، ط. 1، القاهرة: دار الحرف العربي، 1997م، ص 110.
[141] سورة الحجر، الآية 16

عظاما، فالعلم لم يرفض ذلك بل خدم المفهوم القرآني في هذه النقطة ووسع مدلول الآية. فالكواكب العظام عند العلم هي المشتري وزحل وأورنوس ونبتون والقرآن لم يفضل كواكب المجموعة الشمسية وإنما أعطاها حقائق مطلقة عنها وترك العقل البشري فرصة الاجتهاد والنظر فالقرآن ليس كتاباً جغرافياً أو هندسة أو فلكاً... الخ إنما هو كتاب هداية»[142]

ثانيًا: الإشارات الكونية تتعلق بالجيولوجيا

نشأ علم طبقات الأرض لدراسة تاريخها ونشأتها وطبقاتها والتغيرات التي طرأت عليها بفعل عوامل جيولوجية وحيوية. وقد كشف علم الجيولوجيا عن مكونات الأرض وما تحت قشرتها، مما يثبت عظمة الخالق وحكمته وقدرته.[143]

اشتمل كلام الله تعالى على آياتٍ تشير إلى علم الجيولوجيا منها ما يأتي:

قول الله تعالى: «وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ»[144]

يثبت علم طبقات الأرض أن تربة القشرة الأرضية، الناتجة عن تحلل الصخور بفعل التعرية من الرياح والأمطار، تختلف في تركيبها وعناصرها من مكان لآخر. كما يؤكد علم

---

[142] هدى هشام إسماعيل الزيدي، *الضوابط اللغوية في التفسير العلمي للقرآن الكريم*، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 1425هـ/2005م، ص 97.

[143] حمود بن عبد الله التويجري، *ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق*، ط. 1، 1390هـ، ص 80.

[144] سورة الرعد، الآية 4

النبات أن جذور النباتات تمتد في التربة لتمتص منها العناصر اللازمة لنموها، مما يجعل كل ثمرة تتميز بشكل وطعم ولون خاص. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة بإيجاز بليغ، إذ توضح أن قطعة الأرض الواحدة، رغم تلاصق أجزائها، قد تحتوي على تربة طينية أو رملية أو كلسية، تختلف في مكوناتها المعدنية أو العضوية أو البكتيرية. وعند ريّ هذه الأرض بماء واحد، فإنها تثمر نباتات متغايرة في الهيئة والمذاق واللون[145]

2. من أقوال الله تعالى:

«أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا. وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا»[146]

«وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ»[147]

«وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ»[148]

تتضمن الآيات إشارات علمية تتعلق بطبيعة الجبال، وهي من الموضوعات الأساسية في علم الجيولوجيا، حيث صُوّرت الجبال كأوتادٍ ورواسي تسهم في تثبيت القشرة الأرضية والحفاظ على توازنها.

[145] محمد إسماعيل إبراهيم، *القرآن وإعجازه العلمي*، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، ص. 150–151.

[146] سورة النبأ، الآيتان 6–7

[147] سورة لقمان، الآية 10

[148] سورة الحجر، الآية 19

الإعجاز القرآني في الكيمياء

من الآيات التي تشير إلى علم الكيمياء، من قول الله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ»[149]، هذه الآية تعتبر من أبلغ ما ورد في القرآن الكريم في بيان حقيقة علمية أدركها العلماء حديثًا؛ حيث أنّ معظم العمليات الكيميائية الضرورية للحياة والنمو تعتمد على الماء، وهو العنصر الأساسي لاستمرارية الحياة لدى جميع الكائنات الحية والنباتات.

يؤكد العلم الحديث أن الماء هو أساس حياة كل جسم حي، إذ يشكل المكون الرئيسي لمادة الخلية، وهي وحدة البناء الأساسية للنباتات والحيوانات. وأثبت علم الكيمياء أن الماء ضروري في جميع التفاعلات والتحولات داخل الأجسام، سواء كوسط أو عامل مساعد أو جزء من التفاعل نفسه. والآيات الكريمة تذكر في قصة خلق آدم عليه السلام أنه خُلق من طين، وهو مزيج من الماء والتراب، مما يدل على أن الماء عنصر أساسي في تكوين الحياة.[150]

وقول الله تعالى: «وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ. ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[151]

تحتوي الآية الكريمة على إشارات إلى علم الكيمياء وجوانب طبية كشفها الطب الحديث، مما يجعلها من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

---

[149] سورة الأنبياء، الآية 30

[150] محمد إسماعيل إبراهيم، *القرآن وإعجازه العلمي*، القاهرة: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، ص 86.

[151] سورة النحل، الآيتان 68–69

أثبتت المختبرات الطبية العالمية أن عسل النحل يحتوي على مواد تعالج العديد من الأمراض، وله تأثير قوي في الشفاء لقدرته على قتل الميكروبات. كما يحتوي على نسبة عالية من الفيتامينات والجلوكوز، ويعمل كمضاد للتسمم الناتج عن أمراض الكلى واضطرابات المعدة والأمعاء، ويُعتبر من أقوى المنشطات للكبد.[152]

[152] محمد المهدي محمود علي،*حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث*، *الجامعة الإسلامية*، المدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الأول، رجب 1392هـ/أغسطس 1972م، ص 29.

الإعجاز القرآني في علم الأحياء

علم الأحياء هو دراسة الكائنات الحية وعملياتها الحيوية. يهتم بجميع الجوانب الفيزيائية والكيميائية للحياة، ويغطي مجالات مثل تركيب الخلية، الوراثة، التطور، علم البيئة، علم وظائف الأعضاء، والتنوع الحيوي[153]

من الآيات التي تشير إلى هذا العلم قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ»[154]، توضح الآيات الكريمة كيف بدأ خلق الإنسان من طين، لقد مرّ الإنسان بمراحل متعددة من الخلق والتكوين حتى بلغ نهايته إلى القبر، كما تتجلى عظمة الخالق في خلقه للكائنات الحية على وجه الأرض، من نباتٍ وحيوان، حيث تحيا الأرض بعد موتها، فتهتز بالنبات وتربو، وتُنبِت من كل نوع بهيج. وتشكل هذه المظاهر الحية مشاهد محسوسة تدل دلالة قطعية على قدرة الخالق جل وعلا، العليم الخبير، مُبدع السماوات والأرض، القادر على كل شيء بما يشاء وكيف يشاء.

2. قول الله تعالى: «فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ. يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ. إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ»[155]، كشفت الدراسات الطبية الحديثة أن "الصلب" يُقصد

[153] OpenStax. (2017). Biology 2e. OpenStax. https://openstax.org/books/biology-2e/pages/1-introduction

[154] سورة الحج، الآية 5

[155] سورة الطارق 5–8

به منطقة العمود الفقري في جسد الرجل، بينما تشير "الترائب" إلى عظام الصدر لدى المرأة. وأوضحت التحاليل الكيميائية أن "الماء الدافق" هو السائل المنوي للرجل، الذي يحتوي على النطف الحية القادرة على التلقيح. وقد وُصف بالدافق بسبب اندفاعه بقوة أثناء الاتصال الجنسي من عضو الذكر فقط، في حين لا يصدر عن الأنثى ماء دافق بالمعنى نفسه، بل تقتصر إفرازاتها على مواد تساعد في ترطيب وتليين الجهاز التناسلي استعدادًا للعملية الجنسية"[156]

3. أقول الله تعالى:

«وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»[157]

"«وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ»[158]

«أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ»[159]

«خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ»[160]

تشير الآيات إلى أن الكائنات الحية تنقسم إلى ذكر وأنثى، سواء في عالم الحيوان أو النبات، حيث قد يجتمعان في نفس الزهرة أو يكونان في نباتات منفصلة، ويتم التلقيح أحيانًا

[156] محمد إسماعيل إبراهيم، *القرآن وإعجازه العلمي*، دار الفكر العربي- دار الثقافة العربية للطباعة، ص94

[157] سورة الذاريات، الآية 49

[158] سورة النجم، الآية 45

[159] سورة الشعراء 7–8

[160] سورة لقمان، الأية 10

بالرياح أو الطيور. هذه الازدواجية سنة كونية تشمل جميع المخلوقات، متساوية في ذلك مع الإنسان في نظام متكامل

يقول الله تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُون»[161]، الله الذي خلق الأزواج في كل شيء من الإنسان والحيوان والنبات بل حتى في الذرة تتزاوج في نظام دقيق، وكل ذلك يدل على عظمة الله.

يتبيّن من خلال المحاور السابقة أنّ الآيات الكونية في القرآن الكريم تحمل دلالات علمية وإيمانية، تُبرز عظمة الخالق وتدعو الإنسان للتفكر والتأمل. وقد تناول القرآن مظاهر كونية ترتبط بعلوم الجيولوجيا والكيمياء والأحياء، مما يعكس سبقا علميا وإعجازا ربانيا لا يزال يدهش العلماء حتى اليوم. وتبقى هذه الآيات دليلا على صدق الرسالة الإلهية، وجسرا بين الإيمان والعلم الحديث. أسلوب الآيات الكونية في القرآن الكريم يتّسم بجمال حيث تمتزج فيه عناصر البيان والتأمل والتوجيه. لقد جاءت هذه الآيات في سياقات متعددة، منها ما أقسم الله تعالى بأيات الكونية لبيان عظمتها، ومنها ما استُدلّ بها لإثبات الحقائق الإيمانية، ومنها ما صيغ بأسلوب بلاغي فريد في الأمثال القرآنية، فالقرآن لا يكتفي بوصف الظواهر الكونية، بل يصوغها بأسلوب يُحرك العقل ويوقظ الفطرة، فيدعو الإنسان إلى النظر والتفكر، لا لمجرد المعرفة، بل للوصول إلى الإيمان بخالق هذا الكون.

[161] سورة يس، الاية 36

الباب الثالث :

المدخل إلى التفسير العلمي

تمهيد

ومع تطور العلوم الحديثة وظهور المنهج العلمي التجريبي، نشأ اتجاه جديد في التفسير يُعرف بـ"التفسير العلمي"، يهدف إلى الكشف عن الإشارات الكونية والعلمية في الآيات القرآنية، وربطها بالمكتشفات الحديثة، وإبراز ما فيها من إعجاز يدل على مصدرها الإلهي. ويتناول هذا الاتجاه من خلال فصلين متكاملين: يتناول الفصل الأول المفاهيم الأساسية المتعلقة بالتفسير والتأويل والإعجاز، من خلال توضيح المصطلحات المركزية والتمييز بين التفسير والتأويل. بينما الفصل الثاني يتناول التفسير العلمي للقرآن الكريم من حيث تعريفه وتاريخه ومناهجه وضوابطه، وبيان أبرز آراء العلماء المؤيدين والمنتقدين له، وتحديد أهم الشروط التي ينبغي مراعاتها في هذا النوع من التفسير.

الفصل الأول : مفاهيم أساسية في التفسير والتأويل والإعجاز

الفصل الثاني : مفهوم التفسير العلمي للقرآن الكريم

الفصل الأول : مفاهيم أساسية في التفسير والتأويل والإعجاز

التفسير لغة واصطلاحا:

التفسير معناه لغة «الإيضاح والتبيين»[162] ومنه قوله تعالى: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تفسيراً»[163]

التفسير اصطلاحاً :

في تعريف التفسير كما يلي: «هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»[164]

التأويل لغة واصطلاحا:

يأتي التأويل من حيث اللغة «مصدر أوّل يؤوّل، وأوّل فعّل -بتشديد أوسطه- ثلاثيه آل يؤول أولا، قال أهل اللغة: الأوْل الرجوع، وهذا تفسير تقريبي، وأغلب ما تستعمل في الرجوع الذي فيه معنى الصيرورة، ومن أمثلة اللغويين: طبخ الشراب؛ فآل إلى قدر كذاو كذا. ولذلك وضع بعض النحاة "آل" في الأفعال التي تجيء بمعنى "صار"، وتعمل عملها. و" آل" قريب من معنى "حال"، أي: تحول من حال إلى حال»[165]

---

[162] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج 2، ص 3.

[163] سورة الفرقان، الآية 33

[164] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج 2، ص 3.

[165] عرفة بن طنطاوي، *المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليلي*، ص 8

التأويل اصطلاحا: من أكثر التعاريف دقةً وانضباطًا لمصطلح التأويل في الاصطلاح، ما ورد في قول الامام الراغب الأصفهاني في المفردات بقوله: «التأويل هو ردّ الشيء إلي الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا»[166]

الفرق بين التأويل والتفسير:

يدل تتبع استخدام العلماء لمصطلحي التفسير والتأويل على وجود نوع من التمايز الدقيق بينهما، رغم ما يبدو من تشابه في المعنى. وقد ذهب بعض العلماء إلى أنهما مترادفان، بينما فرّق آخرون بينهما بناءً على الدقة في المقصد أو السياق الاستعمالي.

قدّم الدكتور محمد مصطفى الزحيلي الفرق بين التفسير والتأويل حيث فقال: «أنّ التفسير بيان للمعنى المراد من الكلام على سبيل القطع، والتأويل بيان للمعنى المراد من الكلام على سبيل الظن، ولهذا يحرم التفسير بالرأي دون التأويل، وهناك فرق آخر أن التأويل أكثر ما يستعمل في المعاني، وأكثره في الجمل، وأن التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ، وأكثره في المفردات»[167]

التأويل الصحيح والباطل

«إنّ التأويل الصحيح المقبول هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له، وبدليل يعضده، أما إذا لم يُبْنَ التأويل على دليل شرعي صحيح، بل بُني على الأهواء والأغراض والانتصار لبعض الآراء كان تأويلًا باطلًا، وكان عبثًا بنصوص الشرع أو القانون،

[166] صلاح عبد الفتاح الخالدي، *التفسير والتأويل في القرآن*، ط. 1،دار النفائس، 1416ه/1996م، ص 33.
[167] محمد مصطفى الزحيلي، *الوجيز في أصول الفقه الإسلامي*، ج 2، ط. 2، دمشق: دار الخير،2006م، ص 100.

وكذلك إذا عارض التأويلُ نصًّا صريحًا، أو كان تأويلًا إلى ما لا يحتمله اللفظ، فهو تأويل باطل مردود، أو تأويل فاسد. ولذلك فإن النصوص الشرعية أو القانونية بعضها يقبل التأويل، وهو النص والظاهر، وبعضها لا يقبل التأويل، وهو النص الصريح الذي لا يحتمل غيره، فإن أوّله شخص فتأويله باطل»[168]

أقسام التفسير:

ينقسم التفسير إلى قسمين حسب النقل والاجتهاد - وهو التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

1. التفسير بالمأثور يشمل التفسير بالمأثور "ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وما نقل عن التابعين"[169]، قد درج نوع من التفسير من آثار التابعين تحت قسم التفسير بالمأثور لأنه عد في هذا القسم عند علماء هذا الفن كتفسير ابن جرير الطبري لأن فيه قدراً من آثار التابعين لتفسير كتابه الكريم.

2. التفسير بالرأي:

«يطلق الرأي على الاعتقاد والاجتهاد وعلى القياس، ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس»[170] وبناءً على ذلك، فإنّ التفسير بالرأي هو اجتهاد في بيان معاني القرآن الكريم، يقوم به المفسّر بعد أن يكون ملمًّا بلغة العرب وأساليبهم في التعبير، وتضلعه في معرفة الألفاظ العربية وما تحمله من دلالات متنوعة، واعتماده في ذلك على الشعر الجاهلي لفهم

---

[168] المرجع السابق، ص 100–101

[169] فهد بن عبد الرحمن الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، مؤسسة الرسالة، ط3، 1997، ج2، ص519.

[170] محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، الجزء 1، مكتبة وهبة، القاهرة،[د.ت]، ص 183

الأساليب اللغوية، واطلاعه على أسباب النزول، وإدراكه للناسخ والمنسوخ من الآيات، وسائر العلوم المعينة التي لا يستغني عنها المفسر.[171]

التفسير بالرأي الذي يتلاءم مع الطبيعة القرآنية محمود وإلا فلا، غير أنّ هناك شروطًا أساسية ينبغي توافرها في المفسّر الذي يسعى إلى كشف المعاني المغلقة في تفسير كتاب الله عز وجل: «الشروط التي يجب توافرها في المفسر كالتالي:

- أن يكون المفسر متسلحا بعلم اللغة
- أن يكون عارفا متقنا لعلم النحو
- أن تكون معرفته عميقة بعلم الصرف واشتقاقاته
- أن يكون علمه وسيعا بعلوم البلاغة بأركانها الثلاثة، المعاني،والبيان والبديع.
- أن يكون مطلعا على علم القراءات
- أن يكون واعيا بعلم أصول الدين .
- أن يكون متعمقا في أصول الفقه
- أن يكون عالما بأسباب النزول للقرآن الكريم .
- أن يكون اطلاعه ملما بعلوم القصص
- أن يكون وعيه شاملاً لعلم الناسخ والمنسوخ .

[171] محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، ج 1، القاهرة: مكتبة وهبة، [د.ت]، ص 183.

- أن يكون مطلعا على الأحاديث النبوية التي تفسر القرآن الكريم»[172]

والشرط الأخير أن يكون متصفاً وحاملاً لعلم الموهبة كما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: «وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ الله»[173]، وبقوله صلى الله عليه وسلم: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[174]

الإعجاز: تعريفه لغة واصطلاحا:

لغة: «إثبات العجز وهو القصور عن فعل الشيء، فالإعجاز ضد القدرة»[175]

وفي الاصطلاح: «إظهار صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم»[176]

وقد تحدى النبي ﷺ العرب بالقرآن الكريم، فعجزوا عن الإتيان بمثله، رغم تمكنهم في الفصاحة والبلاغة، مما يدل بوضوح على إعجازه. وهذا التحدي لا يختص بالعرب وحدهم، بل يشمل سائر الناس من عرب وعجم، لأن القرآن أنزل للناس جميعًا، فيدخل العجم في هذا التحدي دخولًا عامًا.

---

[172] محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ط. 3، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج 2، ص 51.

[173] سورة البقرة، الآية 282

[174] رواه أبو نعيم من حديث أنس. ضعيف.

[175] مناع بن خليل القطان، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة المعارف، ط3، 2000م، ص265

[176] المراجع السابق

الفصل الثاني: مفهوم التفسير العلمي للقرآن الكريم

يعد التفسير العلمي من الاتجاهات المعاصرة في تفسير القرآن الكريم، ويقوم على محاولة الكشف عن أوجه العلاقة بين النص القرآني والمعارف الكونية والعلمية،من خلال ربط دلالات الآيات بما توصّل إليه العلم التجريبي من حقائق.

تعريف التفسير العلمي

وقد عرّف الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي التفسير العلمي بأنه: «اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن»[177]، أمّا الدكتور زغلول النجار قدّم تعريفا أوسع للتفسير العلمي، حيث يرى أنه: «توظيف كل المعارف المتاحة لحسن فهم دلالة الآية القرآنية»[178]

يستفاد من هذا التعريف أن الغاية الأساسية من التفسير العلمي، كما يراها النجار، لا تقتصر على إثبات الإعجاز، بل تمتد إلى استثمار كل ما توصل إليه العلم من أجل تدبّر أعمق للآيات، ولو كانت تلك المعارف في طور الفرض أو البحث.

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي

اختلفت وجهات نظر العلماء والباحثين المعاصرين بشأن التفريق بين مصطلحي "التفسير العلمي" و"الإعجاز العلمي"، حيث يعود ذلك الاختلاف فهم كل باحث لهذين المفهومين. فبعضهم يرى أنهما متطابقان، كما هو الحال مع الدكتور غانم قدوري الحمد، ويتضح هذا

---

[177] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *دراسات في علوم القرآن الكريم*، الطبعة الثانية عشرة، 2003م، ص 290.

[178] https://quranpedia.net/book/24985، تم الدخول إليه بتاريخ 1 يوليو 2025م.

جليًا في تعريفه للإعجاز العلمي، وكذلك الدكتور أحمد عمر أبو حجر في كتابه "التفسير العلمي في الميزان"، حيث اعتبر أن الهدف الأساسي من التفسير العلمي هو إبراز الإعجاز القرآني كدليل على ثبوتية وصدق القرآن الكريم ورفع مكانته الربانية.

يقول الدكتور عادل بن علي الشدي: «من أكثر الأسباب التي أدت إلى تباين المواقف حول التفسير العلمي قبولاً أو ردًّا الخلط بينه وبين الإعجاز العلمي، حتى في أوساط بعض المتخصصين في هذا المجال، بل إن منهم من يراهما شيئًا واحدًا، بل إن بعض الباحثين يتحفظ على مصطلح الإعجاز العلمي، ويرى استبداله منعًا للخلط واللبس بمصطلح دلائل صدق القرآن»[179]

يبدو، والله أعلم، أن من ظن أن التفسير العلمي والإعجاز العلمي نفس الشيء، أو من اعترض على الإعجاز من ناحيتين متعاكستين، لم يفرق بينهما. يقول عادل بن علي الشدي: «فكل إعجاز علمي أنّما يُعرف من خلال التفسير العلمي وليس كل تفسير علمي قابلاً لأن يكون إعجازًا علميًّا تقوم به الحجة على غير المسلمين»[180]

[179] التفسير العلمي للقرآن: جذوره، الموقف منه "*موقع مِداد*. https://midad.com/article/220052/التفسير-العلمي-للقرآن-جذوره-الموقف-منه .تم الدخول في 1 تموز 2025.

[180] المرجع السابق

التفسير العلمي للقرآن الكريم وتاريخه

لقد اعتنى المهتمون من الباحثين بدراسة مدارس التفسير ومناهجهم بهذا اللون من التفسير في مؤلفاتهم، لكثرة التأليف فيه في هذا العصر، وحاولوا أن يعرفوا التفسير العلمي بتعريف جامع مانع، منهم د. محمد حسين الذهبي، فقد عرفه بتعريف فقال فيه: «هو التفسير الذي يحكّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم، والآراء الفلسفية منها»[181]

التعريف الأقرب لأن يكون شاملاً وكافياً هو أن يُقال: «هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القران الكريم الكونية ومكتشفات العلم التحريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان»[182]

فقد تناول العزالي في كتابيه "إحياء علوم الدين"و"جواهر القرآن" عن اشتمال القرآن بأنواع من العلوم، فقال في ذلك نقلاً بأنّ القرآن "يحوي أكثر من سبعين ألف علم وأن لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر، وأن لكل كلمة ظاهر وباطن واحد ومطلع"[183]

تشير المصادر إلى أن الإمام الغزالي المتوفى سنة 505هـ، كان أول من تناول هذا الموضوع بتفصيل، مؤكدًا أن القرآن الكريم يحتوي في طياته على مختلف العلوم، وهو ما يشكل في حد ذاته إعجازًا فريدًا لهذا الكتاب العظيم.

---

[181] عبد القادر محمد منصور، *موسوعة علوم القرآن*، الطبعة الأولى، القاهرة: دار القلم العربي، 2002، ص 188.

[182] فضل حسن عباس، *التفسير والمفسرون: أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث*، الطبعة الأولى، عمّان: دار النفائس، 2016، ج 1، ص 63.

[183] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، ط. 3،بيروت: مؤسسة الرسالة، 1997، ج 2، ص 557.

وقد سار على منهج الإمام أبوحامد الغزالي في هذا الخصوص كثيرون ممن جاءوا بعده وعلى رأسهم فخر الدين الرازي المتوفى سنة 606هـ قديماً، والشيخ طنطاوي جوهري(ت 1359هـ)حديثاً في سياق ما أطلق عليه المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم. ويعد فخر الدين الرازي من كبار العلماء الذين حملوا على عاتقهم مهمة تفسير القرآن الكريم، وتفسيره "مفاتيح الغيب" فهو مؤلف ضخم يقع في مجلدات عديدة، وقد كان الإمام فخر الدين الرازي مولعا بكثرة الاستنباط والاستطرادات. وقد أشار بنفسه إلى ذلك في مقدمة التفسير حين تعرض لتفسير حيث تناول تفسير سورة الفاتحة مبينا أن من فوائدها ونفائسها يمكن استخراج عشرة آلاف مسألة. مع ذلك فقد نقد بعض العلماء مثل أبو حيان في تفسيره "البحر المحيط" قائلا: «إنّه جمع في تفسيره أشياء كثيرة لا حاجة بها في علم التفسير، وقال بعض العلماء إنّ مفاتيح الغيب فيه كل شئ إلا بالتفسير»[184]

أمّا الشيخ طنطاوي جوهري فهو من علماء القرن العشرين الميلادي، وقد كانت لديه ميول علمية واضحة صقلتها دراسته في كلية دار العلوم ثم صقلها هو فيما بعد أثناء عمله مدرسا بتعلم اللغة الإنجليزية وإتقانها لدرجة مكنته من ترجمة بعض المؤلفات الإنجليزية إلى العربية، ولهذا كان يرى أنّ هذا الدين دين العقل والتجديد، وعمد إلى التوفيق بين العلم والقرآن.

[184] غانم بن قدوري الحمد، *محاضرات في علوم القرآن*، ط. 1، الرياض: دار عمار، 2003، ص 186.

تفسير «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»

"الجواهر" يعتبر أشهر مؤلفات الشيخ طنطاوي جوهري، وضع المؤلف في تفسيره ما يحتاجه المسلمين الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وبالتالي لم يكن عجبا أن يتبنى الشيخ طنطاوي جوهري الاتجاه العلمي في تفسيره للقرآن الكريم خاصة وأنّ الحالة العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصره متردية غاية التردي، حيث كان يأمل في أن يوقظ أبناء الأمة الإسلامية ويفتح عيونهم جميعا على منجزات العلم الحديث، ويؤكد لهم أنّ الإقبال على تحصيل العلوم التجريبية لا ينافي أبدا مقتضيات الدين الإسلامي، بل إنّ القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى تحصيل علوم الدين والدنيا معا.

ولكلٍّ من الإمام فخر الدين الرازي والشيخ طنطاوي جوهري منهج وأسلوب وطريقة مميّزة في تفسير كلام الله تعالى، ولكن القدر المشترك بينهما تجلى في اهتمامهما بالآيات الكونية وما جاء في القرآن الكريم من آيات تدعو إلى التفكر والتأمل والتعلم، ومن ثمّ يبرز حضور واضح لفروع شتى من العلوم والمعارف في تفسيري العالِمَين. وبالرغم من أهمية كتاب "مفاتيح الغيب" باعتباره واحدا من التفاسير التي يشار إليها كثير من المسائل العظام، وخاصة فيما يتعلق بتفسير الآيات الكونية التي وردت في القرآن الكريم وتحدثت عن السماء والشمس والقمر والنجوم والكواكب والبحار والأنهار والسحب والأمطار والأودية والجبال والأرض وغيرها، حيث وجه تفسيره لهذه الآيات بما يؤكد قدرة الله تعالى وعظمته مستعينا في ذلك بأسلوبه الفلسفي الذي اشتهر به، وبالرغم من أهمية كتاب "الجواهر في

تفسير القرآن الكريم" بما يضمه من معلومات غزيرة وقضايا مهمة، إلا أنّهما لم يلقيا الاهتمام الذي يستحقانه من الباحثين والمحققين وخاصة فيما يتعلق بالآيات الكونية.

التفسير العلمي للقرآن الكريم هو التفسير الذي يعتمد فيه المفسر أثناء تفسيره للآيات والإشارات الكونية في كلام الله تعالى على ما توصل إليه العلم الحديث إثباتا لإعجاز القرآن الكريم، وهذا هو ما قام به الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب"، تطرق المؤلف باستفاضة إلى المسائل العلمية والفلسفية، خصوصًا ما يتعلق بعلم الهيئة وغيرها من العلوم والفنون المعروفة في عصره. قام طنطاوي جوهري في تفسيره المسمى بالجواهر والذي يعتبر أضخم تفسير يتبع هذا المنهج ويقع في ستة وعشرين جزءا، وقد حاول الشيخ في تفسيره هذا أن يساير روح العصر وما ظهر فيه من علوم حديثة ومعارف إنسانية جديدة، كما حاول فيه أيضا تفسير الآيات الكونية في ضوء دراسات الكون وما خلق الله فيه من أجرام وعوالم مما عرفه البشر حتى الآن أو لم يعرفوه بعد، كما تعرض الشيخ فيه أيضا إلى الظواهر الكونية والسنن الإلهية ليؤكد على أنّ القرآن الكريم أحاط بكل العلوم والفنون،وأحاط بالكون وما فيه. وقد استعان الشيخ في هذا التفسير العديد من صور النباتات والحيوانات والمظاهر الكونية، وكذلك الوسائل التجريبية، واستند أيضًا إلى آراء الفلاسفة من مدارس فكرية متنوعة، كما استعان أيضا بالأرقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف. كما حاول الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره أن يلفت أنظار العلماء والباحثين إلى ضرورة الانتباه إلى الجانب العلمي في القرآن الكريم مؤكدا لهم أنهم قد كتبوا كثيرا في علم الفقه مع أنّ الآيات التي جاءت في هذا العلم لا تزيد على مائة

وخمسين آية، بينما هناك آيات تفوق هذا العدد بكثير تتحدث عن الكون والعلوم والخلق وتدعو الناس إلى دراستها والتفكر فيها ومع هذا قل أن يوجد مؤلفات لعلماء المسلمين تشير إلى هذا رغم أنّه من أول الواجب عليهم[185]

وبالرغم من هذه الاعتراضات فإنّ العلماء في كل عصر حاولوا قدر استطاعتهم فهم كلام الله تعالى وشرحه وتفسيره في ضوء المعطيات العلمية الحديثة، وبطبيعة الحال لاقي هذا الاتجاه رواجا وقبولا بقدر ما لاقى من معارضة واستهجانا.

مناهج التفسير للآيات الكونية في القرآن:

أولا: المنهج التقليدي

هو المنهج الذي اتبعه علماء التفسير قديماً وحديثاً، ويعتمد على المعلومات العلمية العامة في تفسير الآيات.

ومن أمثلة لتفسير الآيات الكونية حسب المنهج التقليدي: قول الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا»[186] أي «أنّ السموات كانت رتقا لا تمطر وكانتا الأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق الله الأرض أهلاً، فتق هذه بالمطر، وفتق هذه بالنبات»[187]

[185] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، ج 1، المجلد الأول، ص 10

[186] سورة الأنبياء، الآية 30

[187] الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، *مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية*، ج 24، ص 171، موقع الجامعة الإسلامية، إعداد أسامة بن الزهراء

قول الله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ»[188]، يُفسر لفظ "منهما" بالإشارة إلى البحرين المذكورين في الآية السابقة "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ"[189]، وقد فسّر بعضهم الآية اعتمادا على معرفتهم بوجود اللؤلؤ في أحد هذين البحرين، وهو بحر الخليج العربي، فاعتبروا أن المقصود بـ"منهما" هو البحر الذي يُستخرج منه اللؤلؤ، وعمّموا المعنى على كليهما، إلا أنهم تجاهلوا احتمال وجود اللؤلؤ أيضًا في الأنهار عند التقاء البحرين، كما ورد في بعض المصادر العلمية الحديثة، والتي تشير إلى وجود اللؤلؤ النهري، وهو أمر لم يكن معروفًا لدى عرب منطقة الخليج. أمّا عبارة "السَّمَاوَاتُ السَّبْع"، فقد فسرها الإمام الرازي بأنها تشير إلى الأفلاك السبعة للكواكب السيارة، بحسب التصور الذي تبناه اليونان[190].

ثانيا: المنهج العلمي

يعتمد هذا النوع من تفسير للآيات الكونية في القرآن على المعرفة العلمية الدقيقة والحقائق التي توصل إليها علماء الكونيات. وقد انتشر هذا المنهج في العصر الحديث، حيث أصبحت دراسة الكون قائمة على التجربة والملاحظة باستخدام أدوات علمية متطورة، وغالبًا ما يقوم به علماء متخصصون في العلوم الكونية ممن لديهم معرفة إسلامية، أو مفسرون يواكبون أحدث الاكتشافات العلمية ويستخدمونها في تفسير الآيات. ويهدف هذا التفسير العلمي إلى الكشف عن معانٍ جديدة في القرآن، وتأكيد صدقه وإعجازه، وتعزيز قدرته على الإقناع. وتبرز أهمية هذا المنهج خاصة في الدعوة المعاصرة، في ظل عصر يهيمن

[188] سورة الرحمن، الآية 22.

[189] سورة الرحمن، الآية 19

[190] الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، *مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية*، ج 24، ص 172، موقع الجامعة الإسلامية، إعداد أسامة بن الزهراء

فيه الفكر العلمي على عقول الناس، مما يجعل ربط التفسير العلمي بالقرآن وسيلة فعّالة للتأثير والإقناع.[191]

أمثلة على التفسير العلمي للآيات الكونية

من ذلك قول الله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ»[192]، تظهر هذه الآية مبدأ الزوجية كقانون كوني شامل لا يقتصر على الذكر والأنثى في الإنسان أو النبات، حين نزول القرآن، كان معروفًا فقط "أزواج النخيل". وقد اتضح لاحقا من خلال الاكتشافات العلمية أنّ مفهوم الزوجية يمتد إلى مكونات المادة الدقيقة، مثل الإلكترون السالب ونقيضه الموجب، والبروتون ونظيره. وتشير العبارة "وممّا لا يعلمون" إلى أزواج أخرى لم تكن معروفة آنذاك، مما يُعد إعجازا علميًا سابقا لعصره.[193]

كما يقول الله عزوجل: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»(سورة يس: الآية 36)، فهم السلف لهذه الآية في ضوء حركة الشمس الظاهرية من الشرق إلى الغرب، لكنّها في الحقيقة ناتجة عن دوران الأرض. ومع تطور علم الفلك، تبيّن أنّ للشمس حركة ذاتية حقيقية في الفضاء، حيث تسير بسرعة تقدر بنحو 12 ميلاً في الثانية، متجهة نحو

[191] المرجع السابق ،ص 172

[192] سورة يس، الآية 36

[193] الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، *مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية*، ج 24، ص 173، موقع الجامعة الإسلامية، إعداد أسامة بن الزهراء.

نجم "فيغا" أو "النسر الواقع". وقد أمكن التحقق من ذلك بفضل أدوات الرصد المتطورة في القرن التاسع عشر، مما يعزز الإعجاز العلمي في استخدام القرآن لعبارة "تجري"[194]

آراء العلماء في التفسير العلمي

تعدد العلماء في موقفهم من التفسير العلمي للقرآن الكريم، فبعضهم أيّده ورأى فيه وسيلة لإبراز إعجاز القرآن، وبعضهم رفضه لما فيه من تكلّف وربط للآيات بنظريات متغيرة، في حين اتخذ فريق ثالث موقفًا وسطا، معتبرا التفسير العلمي مقبولا بشرط الالتزام بالضوابط العلمية والشرعية الدقيقة.

1. المؤيدون

أصحاب هذا الاتجاه يرون أنّ القرآن الكريم يشتمل على جميع العلوم والمعارف، وأنّه لا يوجد علم من العلوم إلاّ وله أصل أو إشارة في القرآن الكريم ولو بشكل غير مباشر، ويستدلون على ذلك بعموم بعض الآيات، كأقوال الله تعالى:

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ»[195]

«وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي مِن شَيْءٍ»[196]

«وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًىوَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»[197]

---

[194] المرجع السابق،ص 173

[195] سورة فصّلت، الآية 53

[196] سورة الأنعام، الآية 38

[197] سورة النحل، الآية 89

ومن أشهر المؤيدين:

الإمام الغزالي والسيوطي، ومن المعاصرين طنطاوي جوهري ،ومحمد فريد وجدي، والشيخ عبد المجيد الزنداني، والدكتور زغلول النجار.

يذكر بدر الدين الزركشي رحمه الله: «ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب "قانون التأويل" إنّ علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تراكيبه وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل»[198]

يقول الشيخ صديق خان القنوجي: «ذكر بعض العلماء أن عدد العلوم المستنبطة من القرآن الكريم يبلغ نحو ثمانين علمًا، وقد أُلِّفَت فيها كتب متخصصة. كما قيل إن العلوم العقلية تشمل خمسة عشر فنًّا، غير أن فروعها تتجاوز الخمسين. وذهب بعضهم إلى أن حصر هذه العلوم غير ممكن لكثرتها، كما رجّح ذلك بعض العلماء، ونُقل عن الإمام الغزالي، نقلاً عن بعضهم، أن القرآن يشتمل على سبعة وسبعين ألف علم ومئتي علم، كما ورد ذلك في الباب الرابع من كتابه "آداب التلاوة" من إحياء علوم الدين»[199]

المعارضون

يؤكّدون أنّ القرآن كتاب هداية والتشريع فقط، وليس كتاب علوم تجريبية أو الكونية. ومن أبرز ممثلي هذا الرأي الإمام الشاطبي، الذي ناقش أصحاب الرأي المخالف في كتابه

---

[198] بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، 1376هـ/1957م، ج 1، ص 16–17

[199] محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي، *أبجد العلوم*، الطبعة الأولى،دار ابن حزم، 1423هـ/2002م، ص 239.

"الموافقات"،مؤكدا أن مقصود الشريعة هو الإفهام، وليس بيان العلوم المختلفة، حيث أشار إلى أنّ بعض الناس قد غَلَوْا في نسب العلوم إلى القرآن، فتجاوزوا الحد في دعواهم، فألحقوا به كل ما عُرف لدى المتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعة، والرياضيات، والمنطق، وعلوم الحروف، وغير ذلك من الفنون، دون تمييز بين ما هو مقصود شرعا، كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم أعلم بالقرآن ومعانيه، ولم يُنقل عن أحد منهم أنَّه تحدث بهذه الادعاءات، سوى ما ورد من تفسير يتعلق بأحكام التكليف وأمور الآخرة وما يتصل بها. ولو كان لهم خوضٌ أو نظرٌ في هذا المجال، لنُقل عنهم ما يدل على أصل المسألة. وبما أنه لم يُنقل شيء من ذلك، دلّ على انتفاء وجود هذا التوجه في تفسيرهم، وهو ما يُعد دليلاً على أن القرآن لم يُقصد به تقرير ما زُعم من علوم خارجة عن مقاصده الشرعية.[200]

يرى الشاطبي أن المعاني التي لم تكن معروفة للعرب عند نزول القرآن لا يصح اعتبارها في التفسير، وقال منتقدًا: «وربما استدلوا على قولهم بآية إنّ ما استدلوا به من الآيات فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد، أو المراد بالكتاب في قوله تعالى: "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ"(سورة الأنعام:الآية 38)، ولم يذكروا فيها ما يقتضي تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية، وما يُنقل عن علي -رضي الله عنه- أو غيره في هذا لا يثبت،

[200] فهد بن عبد الرحمن الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1418 هـ / 1997 م، ج. 2، ص560

فليس بجائز أن يُضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه، كما أنه لا يصح أن يُنكر منه ما يقتضيه»[201]

من المعارضين: الامام الشاطبي رحمه الله، الشيخ الشنقيطي في "أضواء البيان"، الشيخ محمود شلتوت، والدكتور محمد حسين الذهبي وبعض السلفيين المعاصرين.

المعتدلون

بما أنّ الهدف الأساسي من رسالة القرآن هو هداية البشر، وبيان طريق الخير في الدنيا والآخرة وفق منهجه الصحيح، فقد كان من الضروري أن يشتمل على أدلة قوية واضحة قائمة على العلم اليقيني تثبت صدق هذا المنهج. وهم لا يرفضون التفسير العلمي مطلقا، ولا يقبلونه دون ضوابط، يشترطون أن يكون التفسير العلمي مبنيا على حقائق علمية ثابتة، لا مجرد نظريات.

القرآن كتاب علم وإعجاز، أنزله الله بعلمه، متضمنا أسرار الخلق والتكوين، ودلائل كونية وأنفسية تؤكد صدقه. وقد كذّب به المشركون لعدم إحاطتهم بعلمه، لكنه وعد بكشف حقائقه في المستقبل، كما قال تعالى: «وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»[202]

لقد تضمّن القرآن الكريم في حديثه عن السماء والأرض والحياة والمخلوقات إشارات علمية وأسرارا دقيقة لم تفهم تفاصيلها إلا مع تطور العلوم وتقدم الوسائل الحديثة في هذا العصر، وذلك تصديقا لوعد الله تعالى: «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى

[201] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، ط. 3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1418هـ/1997م، ج 2، ص 561.
[202] سورة ص، الآية 88

يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»[203]، فهذه الآيات التي أخبر الله أنه سيظهرها في الآفاق والأنفس كانت معانيها غامضة في زمن نزول الوحي، لكن تفسيرها الكامل سيتجلى مع مرور الزمن ولو بعد قرون.

قال الله تعالى: «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا»[204]، تتضمّن هذه الآية وعد الله بكشف آياته في الكون والأنفس ليتبيّن معناها الحق، فالحمد لله على هذا الوعد والبيان، إضافة إلى ما سبق، يحتوي القرآن الكريم على إشارات إعجازية تتعلق بحقائق علمية كامنة في الأنفس والآفاق، جاءت لتكون دلائل هادية ومصابيح مرشدة تحفّز على البحث والاكتشاف. وهذه الإشارات لا يمكن أن تؤدي إلى التشكيك أو التكذيب، لأن ما يوجه إليه القرآن لا يمكن أن يناقض نفسه أو يتعارض مع الحقيقة، فلا يتحقق ذلك الاتساق إلا إذا طابق وصف القرآن للكون حقيقة خلقه. وقد بيّن القرآن ذلك في قوله تعالى: «أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[205]،وقوله: «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ»[206] وأيضاً: «لَّكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ»[207].

[203] سورة فصلت، الآية 53
[204] سورة النمل، الآية 93.
[205] سورة الملك، الآية 14
[206] سورة الحج، الآية 70
[207] سورة النساء، الآية 166

ابن عاشور يقول في تفسيره: «إن علاقة العلوم بالقرآن على أربع مراتب: الأولى: علوم تضمنها القرآن كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة. الثانية: علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات. الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق. الرابعة: علوم لا علاقة لها به إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي»[208]

هذا الاتجاه هو الأرجح بين الباحثين المعاصرين لقوة أدلة القائلين به بأنّ القرآن الكريم تضمّن العديد من العلوم، إمّا بشكل مباشر أو من خلال الإشارة إليها، لكنّه لم يتناولها تفصيليًا كالمتخصصين، بل عرضها عرضا تمثيليا ضمن سياق دعوته للنظر في آيات الله في الكون والأنفس والحياة. وكان الهدف من ذلك هو دعوة النّاس إلى الإيمان، وهدايتهم، وإقامة الحجّة عليهم بالدليل العقلي والكوني على صدق الدين وصحة الطريق المستقيم، كما يظهر هذا الاتجاه بوضوح في كتابات الغزالي، والإمام الرازي،وغيرهم، الذين سعوا إلى شرح المعاني القرآنية بالاستناد إلى قواعد الفلسفة والعلوم العقلية، وامتلأت مؤلفاتهم بالأمثلة على هذا التوفيق بين العلم والدين.

يعدّ التأمل في الآيات الكونية من الوسائل التي وجّه إليها القرآن الكريم، لما فيها من دلائل تقود الإنسان إلى الإيمان بالله وتوحيده. وقد هيّأ الله تعالى للإنسان ما يعينه على هذا التدبر، ومن أعظم ما مَنَّ به عليه نعمة العقل، تلك الميزة التي اختص بها الإنسان دون

[208] محمد الطاهر ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج 1، ص 45

سائر المخلوقات، ليستخدمها في إدراك بديع صنع الله في الكون، وليقوم بمهمّته في الأرض على أكمل وجه، محققًا بذلك الغاية من وجوده. ومن هنا كانت الدعوة إلى التفكر في خلق الله جزءًا من المنهج الرباني في الهداية والإرشاد.

يقول صاحب كتاب"الدلالات العقدية للآيات الكونية": «وقد ورد الأمر بالتفكر في كتاب الله في آيات عديدة، سواءً التفكر في الآيات المتلوة، أو الآيات المشاهدة، أو آلاء الله، أو سير الأنبياء مع أقوامهم وعاقبة الفريقين، أو التفكر في الدنيا والآخرة أو غير ذلك. ونبَّه سبحانه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم إلى أنّ آياته المتلوة والمشاهدة، وآياته في آلائه ونعمه لا ينتفع بها إلا أولو العقول والألباب والتفكير الصحيح»[209]

من الظواهر الأسلوبية اللافتة في القرآن الكريم كثرة تكرار العبارات التي تحث على إعمال العقل والتفكر، مثل قول الله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"، مما يدل على مركزية التفكير والتدبر في المنهج القرآني.

فمن ذلك أقوال الله تعالى:

«أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ»[210]

«وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[211]

[209] عبد المجيد بن محمد الوعلان، *الدلالات العقدية للآيات الكونية*، ط. 1، الرياض: دار ركائز، 2019م، ص 49 .

[210] سورة الأعراف، الآية 185

«أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ»[212]

القرآن الكريم يدعو الإنسان من خلال هذه الآيات إلى التأمل العميق في عجائب خلق الله، في مظاهر الكون المختلفة كالسماء، والأرض والشمس، والقمر، وتعاقب الليل والنهار، واختلاف أوقات اليوم من ضحى وظهيرة وأصيل وغروب، وكذلك في الأرض وما تحويه من جبال وبحار وأنهار وسهول ونباتات، وما يتصل بها من رياح وأمطار، إضافة إلى خلق الإنسان والحيوان وسائر المخلوقات. ويُقرِّر أن ضبط هذا النظام الدقيق للكون لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى .إنّ تدبر آيات الله في كتابه العزيز لا يكتمل إلا بالنظر العميق في خلقه وآلائه، فالتدبر منهج إيماني يُورث المعرفة والمحبة. وفي هذا السياق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مؤكدا أنّ التأمل في آيات الله الكونية ليس فقط مسلكا معرفيا، بل عبادة قلبية تُنمّي الإيمان وتعمّق البصيرة حيث قال رحمه الله: «النَّظَرُ إلَى الْمَخْلُوقَاتِ الْعُلْوِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ مَأْمُورٌ بِهِ مَنْدُوبٌ إلَيْهِ»"[213]

---

[211] سورة النحل، الآية 12

[212] سورة غافر، الآية 21

[213] ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد، الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2004، مجلد 15، ص 343

أسباب ظهور التفسير العلمي

اهتمّ عدد من المفسرين، إلى جانب بعض الباحثين والكتّاب المسلمين، بهذا النوع من التفسير الذي يتناول الآيات الكونية في القرآن الكريم، مدفوعين بجملة من الأسباب والدوافع. ومن أبرز هذه الدوافع:

الاكتشافات العلمية التي تميز بها العصر الحديث، والتي شملت مختلف جوانب الطبيعة مثل النبات والحيوان والفلك والجغرافيا والفيزياء، إضافة إلى ما يتعلّق بالإنسان في أطواره التكوينية ومكوناته العضوية. ونظرًا لورود إشارات قرآنية تتعلق ببعض هذه الظواهر، فإن الكثير من المفسرين المعاصرين سعوا إلى الاستفادة من هذه المعارف لفهم تلك الآيات أو لتفسيرها في ضوء ما كشفه العلم. وقد ساعدهم على ذلك ملاحظتهم لما ورد في تفاسير بعض العلماء السابقين من آراء إما كانت محدودة الفهم، أو لم تقدّم تفسيرا علميًا دقيقا للظواهر المشار إليها.[214]

محاولة بعض المسلمين إلى مواكبة مسيرة التقدم العلمي، والتأكيد على أن القرآن الكريم والإسلام لا يتعارضان مع العلم الحديث. ورغم أن هذا التأكيد في حدّ ذاته لا يحتاج إلى كثير من الإثبات، فإن التفسير العلمي للآيات الكونية خاصة عند ربطها بالحقائق والنظريات العلمية المعاصرة، غالبًا ما يتضمّن نوعا من النقد أو المراجعة لمواقف المفسّرين القدامى، أو اعتذارًا ضمنيًا عن فهمهم المحدود لهذه الآيات. كما يعكس هذا

[214] عدنان محمد زرزور، *مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه*، ط. 2، دمشق: دار القلم / دار الشامية، 1998م، ص 231.

المنهج رغبة في إثبات أن التعارض المزعوم بين القرآن والعلم لا يعود إلى النص القرآني ذاته،بل إلى بعض التفسيرات البشرية التي قُدمت في عصور سابقة.[215]

خرج المفسر طنطاوي جوهري رحمه الله في كتابه "الجواهر" عن النمط التقليدي المألوف في كتب التفسير في عصره، وهو ما يُعد له ميزة تُذكر، واعتقد أن ملء التفسير بالاقتباسات العلمية ومطابقة الاكتشافات الحديثة بالآيات القرآنية هو الطريق لتحقيق التقدم العلمي، حتى وإن كانت هذه المطابقات في كثير من الأحيان متكلفة. وقد وصف جوهري تفسيره بأنه يضمّ «عجائب بدائع المكونات، وغرائب الآيات الباهرات»، وأضاف أيضًا: «بهذا الكتاب وأمثاله سيستيقظ المسلمون سريعا، وسيجيء جيل لم تشهد الأرض مثله، أيها المسلمون هذا هو علم التوحيد في الحقل والجبل والزرع والشجر والثمر والشمس والقمر، لا في الكتب المصنّفة المشهورة، هي والله مبعدة عن حكمة الله، ومبعدة عن معرفة آياته ومع ذلك، فقد ابتعد رحمه الله عن الغاية المرجوّة، ولم يتحقق له ما كان يأمله»[216]

رأى المسلمون في هذا النوع الحديث من التفسير تأكيدا جديدا لإعجاز القرآن الكريم، واعتبروه مدخلا إضافيا لما يُعرف بالإعجاز العلمي. بل يمكن القول إنّ التفسير العلمي أصبح في نظر كثير من الباحثين مترادفًا مع الإعجاز العلمي، أو وجهًا من وجوهه.[217]

[215] المرجع السابق، ص232.
[216] المرجع السابق، ص233.
[217] المرجع السابق، ص233–234.

شروط التفسير العلمي:

وقد أثار هذا اللون من التفسير نقاشا واسعا بين المؤيدين والمعارضين، نظرا لاتصاله بمجال العلوم التجريبية المتغيرة. ولتجنّب الانزلاق في التأويلات المتكلفة أو الإسقاطات غير المنضبطة، كان لا بد من وضع ضوابط منهجية تضبط هذا النوع من التفسير وتمنحه مشروعيته العلمية والشرعية. وفيما يلي عرض لأبرز الشروط التي ينبغي مراعاتها لتحقيق التفسير العلمي الصحيح .

وقد تناول الدكتور عدنان محمد زرزور هذه الضوابط في كتابه «مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه» مبينًا أبرز الشروط التي ينبغي مراعاتها لتحقيق التفسير العلمي الصحيح:

1- لا يجوز تفسير القرآن إلا استنادا إلى الحقائق العلمية القطعية، أي تلك التي تجاوزت مرحلة الفرضيات والنظريات وأصبحت من اليقينيات أو مما يُعرف بـ"الفعل الواقع القائم" على حد تعبير موريس بوكاي، وهي الحقائق التي لا تحتمل التغيير أو التبديل. ويُقرّ بوكاي بأن العلم بطبيعته قابل للتغير مع الزمن، وأن ما يُعد مقبولًا اليوم قد يُرفض في المستقبل، لكنه يُميز بوضوح بين "النظرية العلمية" وبين "الواقع الموضوعي القائم على الملاحظة.[218]

النظرية العلمية قابلة للتجاوز أو الاستبدال بنظرية أكثر دقة وشمولا لتفسير الظاهرة، أما الواقع القائم على الملاحظة الحسية فيبقى ثابتًا كما هو. فقد تتطور أدوات العلم لتحديد صفاته بشكل أدق، لكنه يظل واقعًا لا يتغير. ويؤكد موريس بوكاي ذلك بقوله إن "دوران

[218] المرجع السابق، ص 243

الأرض حول الشمس، ودوران القمر حول الأرض" حقيقة قائمة لا رجعة عنها، حتى وإن أمكن لاحقا تحديد المدارات بشكل أكثر دقة. وانطلاقًا من هذا التمييز بين الحقائق العلمية الثابتة، المدعومة بالدليل الحسي، وبين النظريات أو الفرضيات،أجرى بوكاي دراسة مقارنة بين القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة، مستعرضًا مواقفها من الحقائق الكونية الثابتة[219]

ومن التطبيقات العملية لهذا المنهج الذي أوضحه موريس بوكاي، تحليله للمعنى الدقيق الذي ورد في أقوال الله تعالى: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ»[220]، «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ»[221]، فقد أشار إلى أنّ الاكتشافات العلمية الحديثة تساعد في فهم هذه الآيات، حيث توضّح كيف يتداخل الليل والنهار بفعل دوران الأرض حول محورها، وحركتها حول الشمس التي تُعد ثابتة نسبيًا. كما ربط بوكاي هذا التداخل بتعدد المشارق والمغارب، في ضوء قوله تعالى: «فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ»[222]، وقوله :«رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ»[223]، مشيرًا إلى أنّ تعدد المشارق والمغارب هو نتيجة طبيعية لحركة الأرض وتغيّر مواقع شروق الشمس وغروبها باختلاف الزمان والمكان.[224]

---

[219] المرجع السابق، ص 243.

[220] سورة لقمان، الآية 29

[221] سورة الزمر ، الآية 5

[222] سورة المعارج، الآية 40

[223] سورة الرحمن ، الآية 17

[224] عدنان محمد زرزور، *مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه*، ط. 2، دمشق: دار القلم / دار الشامية، 1998م، ص 244

بعض العلماء يتفق على جواز تفسير بعض الآيات الكريمة بأنها تشير إلى حقيقة علمية ثابتة مثل كروية الأرض، وكذلك الآيات التي تتحدث عن دحو الأرض وبسطها ونحو ذلك. فقد قال الله تعالى:

«وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها. أَخْرَجَ مِنْها ماءَها وَمَرْعاها»[225]

«وَالسَّماءِ وَما بَناها. وَالْأَرْضِ وَما طَحاها»[226]

ومن الملاحظ أنّ الإشارات إلى كروية الأرض وردت غالبا في سياق الحديث عن خلق الأرض وبنائها، بينما وردت الإشارات إلى بسطها أو تمهيدها في إطار الحديث عن تيسيرها للإنسان وتوفير سبل العيش فيها، كما في قوله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً .لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلًا فِجاجاً»[227]

لاحظ موريس بوكاي أن هناك عددا كبيرا من الآيات القرآنية التي تتوافق مع ما توصّل إليه العلم الحديث، رغم أن بعض استنتاجاته أو تفسيراته بالرغم من وضوح منهجه قد تكون محل نظر ونقاش. ومن بين ملاحظاته اللافتة، ما أشار إليه بشأن لفظ "الفلك" في القرآن الكريم، إذ يرى أن القرآن لا يتبنّى الفكرة القديمة التي كانت ترى الأرض مركزًا للكون وتُرجع حركة الشمس حولها، بل يؤكد أن الشمس والقمر كلٌّ منهما يسير في مداره الخاص، وهو ما أثبته العلم الحديث. كما يشير بوكاي إلى أن القرآن الكريم قدّم تصورًا جديدًا لم يكن معروفًا في زمنه، وهو أن لكل كوكب مدارًا خاصًا يسبح فيه، مستشهدًا

[225] سورة النازعات، الآية 30–31
[226] سورة الشمس، الآية 5-6
[227] سورة نوح، الآية 19-20

بقوله تعالى: "وكلٌّ في فلك يسبحون"[228]، ويعلّل بوكاي اختلاف تفسير العلماء المسلمين القدامى لكلمة "الفلك" بأن هذا المفهوم العلمي الدقيق كان فوق مستوى المعرفة في عصورهم.[229]

2 - إنّ الحقائق العلمية لا يصح أن تُستخدم لتفسير المعجزات والأمور الخارقة للعادة التي وردت في بعض الآيات القرآنية، لأن موضوع هذه الآيات يختلف تماما عن الآيات التي تتحدث عن الكون والطبيعة وتطور الخلق، وهي الآيات التي يمكن أن تُستأنس فيها بالثوابت العلمية لتقريب معناها. بل إنّ الآيات المتعلقة بالمعجزات لا تدخل أصلا في دائرة العلم التجريبي، لأنّها تقوم على خَرق السنن الكونية لا على السير وفقها، فكيف يمكن تفسير ما يُخالف القوانين العلمية اعتمادًا على هذه القوانين نفسها؟

ولهذا، فإن بعض المحاولات المعاصرة لتفسير المعجزات تفسيرا علميا قد وقعت في أخطاء جسيمة؛ فمن جهة استخدمت أسوأ أنواع التأويل، ومن جهة أخرى أخلّت بنظام القرآن الكريم وثوابت الإيمان.

ومن الأمثلة الصارخة على ذلك تفسير ولادة عيسى عليه السلام من مريم بأنّها كانت "خنثى" تحمل أعضاء تناسلية ذكورية وأنثوية معا! وهو تفسير غريب يفرّغ القصة من معناها المعجز،ويطرح تساؤلا: كيف تكون مريم وابنها آية للعالمين مع هذا التفسير المادي؟ وما وجه

[228] سورة يس، الآية 40.

[229] زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ط 2، دار القلم / دار الشامية، 1998، ص 233.

الشبه حينها بين خلق عيسى وآدم كما في قوله تعالى: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل ءادم»[230]، إذا ألغينا جانب الإعجاز والاستثناء؟[231]

لقد حاول تفسير هذه الواقعة ضمن إطار القوانين الطبيعية، وهو اجتهاد يتضمن بعدا علميًا لا يُنكر، إلا أنّ هذا التوجه لا يرقى إلى مستوى تفسير معجزة إلهية خرجت عن السنن الكونية المألوفة، ووقعت بقدرة الله الخارقة. ومن ثمّ، فإنّ حصرها في التحليل المادي وحده يُضعف من دلالتها الإعجازية ويُفرغها من مضمونها الغيبي الاستثنائي.[232]

يقول الدكتور عدنان محمد زرزور: «هذه على أية حال مرحلة تجاوزها الفكر الإسلامي الحديث، وإن كان الإخلال بالمعجزات الحسية، أو تمييع مفهومها، حصل على نطاق واسع في هذه المرحلة حيث مزجت بالعلم، أو فهمت وفسّرت في ضوء معطياته،حتى المعطيات التّي لم تبلغ حد الثبات واليقين، فمعجزة سليمان- عليه السلام- بتسخير الريح، يعلق عليها علي فكري- رحمه الله- بقوله: «من تأمل في هذه الآيات: وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ(سورة سبأ:الآية 12)، يشعر بأنّ سليمان عليه السلام كان له سفر هوائي منظم. ومن ذلك يتضح أنّ اختراع الطائرات في هذا العصر قد سبق إليه العصر السليماني، وهذا من معجزات القرآن. ومن

[230] سورة آل عمران، الآية 59

[231] عدنان محمد زرزور، *مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه*، ط. 2، دمشق: دار القلم / دار الشامية، 1998م، ص 245–246.

[232] المرجع السابق، ص246

العجيب حقا هذا القلب للحقائق تحت عنوان التفسير العلمي، أو في سبيل حض المسلمين على الأخذ بأسباب التقدم العلمي»[233]

ومن اللافت حقًّا هذا التحريف لمضامين المعجزات وتحويل دلالاتها عن مواضعها، تحت مسمى "التفسير العلمي"، أو بدعوى تشجيع المسلمين على مواكبة مسيرة التقدّم العلمي، ممّا يؤدي في كثير من الأحيان إلى إقحام النصوص في تأويلات بعيدة عن مقاصدها الأصلية، وإلى خلط بين الغيب والمعادلات التجريبية دون ضوابط منهجية واضحة.

وتلفت هذه الأمثلة والانتباهات النظر إلى مبدأ ثالث مهم في التفسير، وهو أنه لا يصح تفسير الآيات لمجرد وجود تشابه لغوي بين لفظ قرآني وبين مصطلح علمي حديث، أو لمجرد أن كلمة وردت في القرآن أصبحت لاحقًا عنوانًا لاكتشاف علمي أو اختراع جديد. فهذا لا يكفي وحده لبناء تفسير علمي رصين، إذ إن من أصول التفسير ضرورة الانطلاق من المعنى الصحيح للّفظ في سياقه، لا من مجرد التطابق اللفظي أو التشابه الاصطلاحي.[234]

وقد حدَّد الدكتور فهد الرومي للتفسير العلمي مجموعةً من الضوابط في كتابه "دراسات في علوم القرآن"،وهي:

«1- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن وهو الهداية.

2- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

[233] المرجع السابق، ص247

[234] المرجع السابق، ص247

3- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة العلمية.

4- أن لا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني،ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان. فإذا تحققت هذه الشروط فلا مانع من إيراد الحقائق العلمية في كتب التفسير»[235]

يتبيّن من خلال هذا الباب أنّ التفسير العلمي يمثل اتجاهًا معاصرًا مهمًّا في مناهج التفسير، يجمع بين الاجتهاد العقلي والمعارف العلمية الحديثة لتقريب معاني القرآن الكريم. وقد برز دور هذا المنهج في توسيع دائرة الفهم وتقديم رؤى جديدة للآيات الكونية، بشرط الالتزام بضوابط التفسير.

[235] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *دراسات في علوم القرآن الكريم*، الطبعة الثانية عشرة، 2003م، ص 297.

الباب الرابع:

منهج طنطاوي جوهري في تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"

تمهيد

يأتي هذا الباب لعرض وتحليل ملامح هذا المنهج التفسيري، عبر ستة فصول متكاملة. يبدأ الفصل الأول بتقديم مدخل عام إلى تفسير الجواهر، والدوافع التي أدّت المؤلف إلى تأليفه، إلى جانب الأهداف التي سعى إلى تحقيقها من خلال تفسيره. كما يتناول هذا الفصل مصادر طنطاوي جوهري في التفسير، ومن أبرزها مفاتيح الغيب للإمام الرازي، ومن كتب العلوم الطبيعية والفلسفة.

ينتقل الفصل الثاني من خلال عرض النقد الموجَّه إلى التفسير، حيث يستعرض الآراء المتنوعة التي تناولت هذا العمل، سواء المؤيدة له أو المعارضة، كما يُبرز بعض النماذج التي أثارت ملاحظات نقدية أو جدلًا منهجيًا. ويأتي الفصل الثالث يسلط الضوء على مزايا تفسير الجواهر وحسناته، ثم يربط الفصل الرابع من خلال تحليل منهجه في تقديم السور، ويتابع الفصل الخامس باستعراض موقفه من المناهج التفسيرية التراثية، وأخيرًا، يختم الفصل السادس بتحليل الأساليب التي اعتمدها طنطاوي جوهري في تفسيره، من استخدام اللغة العلمية المبسطة، إلى استحضار المكتشفات الحديثة.

الباب الرابع: منهج طنطاوي جوهري في تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"

الفصل الأول: مدخل الى تفسير الجواهر

الفصل الثاني: نقد تفسير "الجواهر في تفسير القرآن"

الفصل الثالث: مزايا تفسير الجواهر وحسناته

الفصل الرابع: منهجه في تقديم السور

الفصل الخامس: المناهج التفسيرية التراثية كما رآها طنطاوي جوهري

الفصل السادس: الأساليب في تفسير الجواهر طنطاوي جوهري

الفصل الأول: مدخل الى تفسير الجواهر

اسم التفسير

اشتهر التفسير الذي الله ألّف طنطاوي بين الناس باسم "تفسير الجواهر"، أمّا الاسم الكامل له فهو «**الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب وبدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات**» وتلاحظ أن كلمة (الجواهر) وتصريفاتها قد درج الشيخ على استخدامها في عناوين كتبه السابقة ومن ذلك: جواهر العلوم،ميزان الجواهر،جواهر الإنشاء،جوهر التقوى،جوهرة الشعر والتعريب.

وذكر سبب التعبير بالجوهرة في تفسيره - والجواهر جمع جوهرة فقال: «إن الجواهر إنما هي تلك التي تتولد في الصدف الفائض في قاع البحر، وتلك الجواهر أغلى ما في البحار، لأن في البحار حيوانات، وفيها مرجان، وهذه الجواهر أجمل من المرجان وأغلى منه وأغلى من جميع ما في البحار، كذلك هذه المعاني التي تبرزها في هذا الكتاب ينبع بها عقول، وتصبح تلك العقول مشرقة بهيئة نسبتها إلى بقية المقول في الأرض، كنسبة الجوهر في صدفه إلى بقية ما في البحار من العوالم البحرية»[236]. يشير كلامه هذا إلى أن كتابه وما يقدّمه فيه يشتمل على ثلاثة أمور: النفاسة، والجمال، والعناية بلبِّ القرآن دون الاكتفاء بقشره وصَدَفه ومعانيه الظاهرة. بالإضافة إلى ما ذكره طنطاوي، لعله تابع في تسمية تفسيره الإمام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن)، فقد تأثر طنطاوي كثيراً بالغزالي ومؤلفاته، بخاصة في هذا الكتاب.

[236] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 26، 1351هـ، ص 17

ويتأكد هذا التوقع أن كلمة (الجواهر) عند الغزالي مصطلح أطلقه على الآيات العلمية في القرآن الكريم.

دوافع تأليف تفسير الجواهر

لا شك أن وراء تأليف هذا التفسير الكبير، دوافع قوية في نفس طنطاوي جوهري تتمثل دوافع طنطاوي لتأليف تفسيره فيما يلي:

يشرح طنطاوي جوهري في مقدمة تفسيره إذ يقول: «إني خلفت مغرماً بالعجائب الكونية معجباً بالبدائع الطبيعية، مشوقا إلى ما في السماء من جمال وما في الأرض من بهاء وكمال، وآيات بينات و غرائب باهرات. ثم إني لما تأملت الأمة الإسلامية، وتعاليمها الدينية الفيت أكثر العقلاء، وبعض أجلة العلماء، عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل منهم من فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب، فأخذت أولف كتباً لذلك شتى، كنظام العالم والأمم. ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنيع. وتقبلها أجلة العلماء قبولاً حسناً، وترجم منها الكثير، لكن كل ذلك لم يشف مني الغليل ولم يقم على غنائه من دليل؛ فتوجهت إلى ذي العزة والجلال أن يوفقني أن أفسر القرآن... فاستجاب الدعاء»[237]

[237] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، 1350هـ، ص 2.

أهداف تأليف تفسير الجواهر

الأهداف التي كان يطمح الشيخ إلى تحقيقها فيما يلي:

يقول طنطاوي جوهري: «إنى لعلى رجاء أن يؤيد الله هذه الأُمة بهذا الدين، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليُقرَأنّ فى مشارق الأرض ومغاربها مقروناً بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية والبدائع الأرضية الشبان الموحِّدون، وليرفعن الله مدنيتهم إلى العلا، وليكونن داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة مَن يفوقون الفرنجة فى الزراعة،والطب، والمعادن، والحساب، والهندسة، والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات»[238]

مصادره في التفسير

لقد تنوّعت مصادر تفسير "الجواهر"، إذ اعتمد في تفاصيل تفسيره على أقوال العلماء والمفكرين الإسلاميين السابقين، كما استند إلى آراء الفلاسفة العرب، بل استشهد كذلك بأقوال علماء الغرب في شتى العلوم، ناقلا عنهم ضمن فصول مستقلة أو في سياق عرض المسائل، في محاولة لجمع أبرز آرائهم وتقديمها بصورة شاملة ومتكاملة.

يقول الشيخ طنطاوي: «ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق ومطالب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم ومطالب الخلق»[239]

---

[238] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 2 (القاهرة: مكتبة وهبة)، ص 370–371.

[239] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء1، 2016م، ص 5

السبب الذي جعله يهتم بهذه العلوم في تفسيره هذا ويقول: «إنّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وحمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة عن مائة وخمسين أية»[240]

يتّضح من ذلك أنّ هذا التفسير يُعدّ موسوعة علمية تقترب في طبيعتها من دوائر المعارف، كما يظهر من خلاله مدى الأهمية التي يوليها المؤلف لتفسيره، وما يعبّر عنه من تطلعات مشرقة وآمال واسعة في أن يسهم هذا العمل في رسم مستقبل زاهر للأمة.

استفاد طنطاوي في تفسيره هذا من كتب المفسرين السابقين بصفة عامة، وبالأخص من كتب الغزالي والرازي، حيث اهتمّ اهتماماً بالغاً بتلك الشخصيين، وقد حاول طنطاوي أن يحذو حذوهما ويقتدي بهما في تفسيره، ولذلك يُلاحَظ كثرة انتقاله عنهما أثناء شرحه وتفسيره لآيات القرآن، ولربما نقل عنهما في بعض المواضع بالنص كما هو مذكور في كتبهم.[241]

وقد أكثر الشيخ طنطاوي جوهري من نقل أقوال الإمام الرازي في تفسيره «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»،حيث يوردها من المواضع بنصّها دون تعليق أو تحقيق، بل يدرجها كما جاءت في مفاتيح الغيب، مما قد يُشعر القارئ أنّ النصوص من إنتاج المفسر نفسه أو من السابقين.

[240] المرجع السابق، ص 2

[241] جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، ج.21، ص 63

مصادره من غير كتب التفسير

وكان يكثر في تفسيره من الاستشهاد بآراء العلماء، سواء من الشرق أو الغرب، قديماً وحديثاً، وتميّز تفسيره بوضوح من خلال استشهاده بنصوص من التوراة، وانجيل برنابا وجمهورية أفلاطون، ورسائل إخوان الصفا، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والعديد من الجرائد والمجلات الغربية والعربية، إضافة إلى ذلك فهو يذكر شواهد أخرى عجيبة من التنويم المغناطيسي ، وحساب الجمل ،وخوضه في فواتح السور خوضاً عجيباً

الفصل الثاني: نقد تفسير "الجواهر في تفسير القرآن "

كان تفسير الجواهر مثار جدل بين العلماء والباحثين، وكانت لهم فيه آراء متباينة؛ فمنهم من أسرف في مدحه، وعده إنجازا رائعاً للإسلام والمسلمين، وتفسيراً رائداً للقرآن الكريم. ومنهم من أسرف في ذمه، وعده خروجاً عن الدين، وتلاعباً بآيات الكتاب العزيز، وتفسيراً بالرأي المذموم المنحرف. وهناك فئة ثالثة حاولت أن تكون وسطاً، فكان نقدها معقولاً، وبأسلوب علمي هادي، وكان تقييمها موضوعياً، حيث ذكرت مثالب الكتاب وبعض محاسنه.

ومن الكتاب الذين نقدوا الجواهر ، واعترضوا على منهجه في التفسير ، ولم يعذروا صاحبه في اتباع هذا المنهج

محمد بن يوسف التونسي[242]

ألف محمد التونسي كتاباً بعنوان (المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خير رب البرية) نقد فيه تفسيري المنار والجواهر، حيث رفض هذين التفسيرين، وكفر صاحبيهما، وكان نصيب الجواهر مائة وعشرين صفحة من النقد التفصيلي الجارح تتبع فيه التونسي الألفاظ والكلمات قبل الجمل والأفكار

[242] محمد بن يوسف بن محمد بن سعد الحيدري التونسي الكافي(١٢٧٨ - ١٣٨٠ هـ = ١٨٦١ - ١٩٦٠ م): فقيه من المالكية يرفع نسبة إلى الحسن السبط. ولد في مدينة الكاف (بتونس) ، ورحل إلى بلاد المشرق واستقر في دمشق إلى أن توفي. له رسائل صغيرة في الفقه والأدعية والعقائد

وفيما يلي وصف لما كتبه التونسي، أخذ على تفسير الجواهر بعض المآخذ العامة هي: أنّ طنطاوي نزل آيات القرآن الكريم على آرائه الشخصية دون دليل، والتفسير بالرأي بالمذموم، وترك التفسير بالمأثور واستبدال النقل عن علماء الغرب والكفار به."

ومن كلام التونسي ما يوضح منهجه في النقد، إذ يقول في المسألة الرابعة والخمسين بعد المائة في كتابه"*المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خير رب البرية*":«قال الأستاذ طنطاوي في صفحة 22: (العلوم) علم الحساب والجو والرياح والزراعة وعلم الحياة وعلوم البحار والسفن، وهي لا تسير إلا بعلم الفلك والهيئة والتقويم والتلغراف البري والبحري والهواء ومعرفة الجاذبية العامة وجغرافية البلاد وتاريخ الأمم للاعتبار، فهذه العلوم مما يجب وجوباً كفائياً أشارت إليها هذه السورة (يقصد سورة فاطر)، ولقد تركها المسلمون وقام غيرهم بها، فالعذاب عليهم جميعاً واقع في الدنيا والآخرة ماله من دافع ما لم يسمعوا قول الناصحين، وكل ملوم حتى يتم النظام في ديار الإسلام. (أقول) وبالله أستعين: إن الأستاذ صار مشرعاً كما تقدم، يوجب على المسلمين ما لم يوجبه عليهم ربهم، ويرتب العذاب على تركه جراءة منه وعدم مبالاة بانتقام الجبار منه. (قوله): علم الحساب إلى قوله: فهذه العلوم مما يجب وجوباً كفائياً، (لم يقله مسلم) ولم ينقل عن أحد من السلف والخلف، إلا ما قيل في علم الحساب، فإنهم قالوا بوجوبه وجوباً كفائياً لترتب كثير من المصالح عليه، وفضله معلوم، وإلا ما قيل في علم الفلك، فإنه قيل بوجوبه وجوباً كفائياً فيما تتوقف عليه مصلحة شرعية كمعرفة سمت القبلة»[243]

[243] محمد بن حسين، *المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خير رب البرية*، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٩٣٤م.

فهد الرومي هو أحد المعارضين للاتجاه العلمي في التفسير، ونقد في كتابه (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) كل المفسرين الذين ساروا في ذلك الاتجاه، ومنهم الشيخ طنطاوي. وفي تقييم له لتفسير الجواهر قال: «لا شك أن هذا التفسير وأمثاله من أخطر التفاسير للقرآن الكريم، بل هو تلاعب بالآيات، وصرف لها عن حقائقها الثابتة إلى معان لا تثبت إلا بقدر ما تثبت مكتشفات علمية تهتز يمنة ويسرة بين الثبات والسقوط هذا في الآيات التي قد يفهم منها ما أورده في تفسيرها، فما بالك بما يورده من تفسير لا تحتمله الآي من بعيد ولا من قريب»[244]

أما قول الدكتور محمد إبراهيم شريف: «مع توافر حُسْن النية لدى طنطاوي جوهري فيما ذهب إليه من هذا الاتجاه العلمي في التفسير؛ حيث رأى أن السبيل التي سلكها تبعث في الأمة الإسلامية بعثًا جديدًا في ميدان التقدم العلمي، كما تدل عليه نداءاته وخطاباته للأمة الإسلامية وعلمائها وفيضها بالغيرة والإشفاق والإخلاص، مع ذلك قُوبل تفسيره في الأوساط الإسلامية في مصر والبلاد العربية بالمعارضة والإنكار، فقيل عنه ما قيل عن غيره من قديم: إن فيه كل شيء إلا التفسير؛حيث يذكر من الفصول المطولة في العلوم المختلفة ما يصد قارئه عما أنزل الله لأجله القرآن، ونظر إليه على أنه مخدر للأمة وملهاة»[245]

ومن الجوانب المنهجية اللافتة في تفسير الجواهر وجود بعض التناقضات في تفسير الآيات فعلى سبيل المثال، في تفسيره لقوله تعالى: «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ»[246] أن موطن اللؤلؤ

---

[244] فهد الرومي، *منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير*، الجزء2،ص735

[245] فهد الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، ط 3، مؤسسة الرسالة، 1997، ج 2، ص 675.

[246] سورة الرحمن،الآية 22

والمرجان هو الماء المالح فقط[247]، إلا أنه بعد ذلك بعدة صفحات قرر أن المرجان يخرج من الماء العذب والماء المالح معًا[248]. وهذا التباين في الرأي يعكس نوعًا من التناقض في الطرح العلمي، وكان الأولى بالمفسّر إما أن يلتزم برأي واحد يسير عليه بوضوح وثبات، أو أن ينسب الرأي الأول إلى البيضاوي أو غيره من المفسرين، ثم يبيّن رأيه الخاص مع تقديم الأدلة التي يراها مؤيدة له، حفاظًا على وحدة الرؤية التفسيرية واتساق المنهج.

ومن الغرابة أن الشيخ طنطاوي صرّح في مقدمة تفسيره، بعد أن تطرق إلى بعض مسائل علم الفلك والسموات السبع، ردًّا على انتقاد أحد العلماء الذين رأوا أن كلامه يناقض القرآن، فيقول: «حاشا لله أن أؤيد قديمًا أو حديثًا، وإنما القرآن طبقناه على المذهب القديم، ثم ظهر بطلان ذلك المذهب وجاء الحديث، فوجدناه أقرب إليه، وإلا فهو أعلى منهما وأعظم، وما يدرينا أن يكون هناك مذاهب ستحدث في المستقبل، فهل القرآن كرة طرحت تتلقفها رجل رجل! كلا، إنما هذا التطبيق الذي ذكرته، ليطمئن قلب المسلم، وليعلم أن عمل الله وصنعه لا ينافي كلامه، فالتطبيق للاطمئنان»[249]

على الرغم من أن طنطاوي جوهري يدّعي أنه قد سلك الطريق الوسط في تفسيره العلمي للقرآن، وحاول أن يجنّب نفسه الوقوع في الإفراط أو التفريط، إلا أنه في بعض المواضع ابتعد عن الصواب، ووقع في أخطاء مثل التطبيق غير المنضبط للعلوم الطبيعية على آيات القرآن.

---

[247] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 24، 1351هـ، ص18

[248] المرجع السابق، الجزء 24، ص 26

[249] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، 1350هـ، ص 50

ومن المواضع التي يُؤخذ فيها على الشيخ طنطاوي تأويله الذي قد يبدو متكلّفًا أو بعيدًا عن السياق المباشر للآية، ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى»[250]، إذ عمد إلى ربط الآية بالحضارة المصرية القديمة، ففسّرها على أنها دعوة للمسلمين للاهتمام بعلوم المصريين القدماء وآثارهم،معتبراً أن الآية تشير إلى ذلك بقوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.وقد أكد على ذلك بقوله:"واعلم أن الأمم الأوروبية اليوم يقرؤون علماً يسمى علم الآثار المصرية، فهو فن خاص وقد انتشرت الآثار هناك في زماننا، ويسمى بعلم الإيجيبتولوجي"[251]

ومن خلال دراسة الجواهر يتّضح أن بعض تفسيره كان سببًا في ظهور الإشكالات في فهمه لبعض الآيات. مثال ذلك في تفسير الآية السابعة من السورة السجدة:«الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ»[252]

يبدأ طنطاوي في تفسيره لهذه الآية بالحديث عن جمال خلق النباتات، ثم ينتقل إلى جمال خلق الإنسان، حيث يناقش بشكل مفصل: ساق شجرة الكمثرى، اختلاف النخلة عن بقية الأشجار،خصائص الجهاز التنفسي للإنسان، كيفية التنفس، الجهاز الهضمي والعصبي،اللسان، الأسنان، والأنف وما إلى ذلك. ويشرح هذه الأمور مع رسوم توضيحية وشرح علمي.[253]

---

[250] سورة طه، الآية 6

[251] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 10، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 78

[252] سورة السجدة، الآية 7.

[253] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 15، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 233–251

هذا الأسلوب يجعل ذهن القارئ منشغلاً بالتفاصيل العلمية، فينصرف عن الرسالة الكلية للآية. على الرغم من نية طنطاوي في خدمة القرآن بالعلم الحديث، إلا أن بعض اختياراته المنهجية، كتوسيع مدلول الآيات لأبعاد لم تحتملها السياقات، والربط المبالغ فيه بين الظواهر الطبيعية، أدّت إلى صرف القارئ عن مقاصد الآيات الأساسية، ما جعل تفسيره محلّ نقد علمي.

كما يُلاحظ على تفسير طنطاوي جوهري الإفراط في استخدام الأساليب الأدبية، فقد أشار الباحث في مواضع آتية إلى أن الشيخ طنطاوي قد اختار لغةً أدبيةً جذابة لتقديم كتابه إلى القرّاء، بهدف تشويقهم للمطالعة. إلا أن المبالغة في الاتكاء على تلك الأساليب الأدبية رغم جمالها لا يليق بكتب التفسير، لما فيها من جلال ووقار، فهي كلام الله الذي يجب أن يُقدَّم بروحٍ علميةٍ رصينةٍ تحفظ هيبته. ولئن كانت تلك الأساليب مناسبة لكتب الأدب، فإن كتب التفسير ينبغي أن تتسم بالاتزان والدقة، وتُبنى على الحكمة التي تضع الشيء في موضعه الصحيح. وزعم أنّ التأمل في الكون أرقى من العبادات، وأن العالم بعلوم الفلك والرياضيات أوْلى بالوصف بالتوحيد من دارسي علم التوحيد ذاته، وذهب إلى تشبيه العلوم الإسلامية بأطراف الشجرة، وجعل العلوم الكونية بمثابة القلب، وهذا كله يدل على اختلال في الميزان المعرفي وتجاوز في تقدير العلوم بعضها على بعض. ومن أبرز الملاحظات كذلك انصرافه عن تفسير النص القرآني ذاته في كثير من المواضع، حيث يُعرض عن المعنى الظاهر للآيات، ويتوسع في معانٍ إشاريّة وتأملات نفسية أو فلسفية قد لا يكون لها صلة قوية بالسياق النصي، مما يُخرج التفسير عن مقصده الأصلي.

الفصل الثالث: مزايا تفسير الجواهر وحسناته

على الرغم من اعتراضات سادت تفسير الجواهر وهيمنت عليه، ومع ذلك، لا يُغفل وجود عدد من الجوانب الإيجابية والمزايا الجديرة بالاهتمام في هذا التفسير

وهذه هي المزايا التي تلمسها في الجواهر:

أولا: إبراز إعجاز القرآن العلمي

لقد كانت محاولات طنطاوي في إبراز إعجاز القرآن العلمي تتردد بين النجاح والفشل، لكن الناجح منها، قد ساهم في تعزيز فكرة الإعجاز العلمي، وإضافة نماذج تدفع عجلة هذا الاتجاه حيث ومن الأمثلة الجيدة ماجاء عند تفسير قوله تعالى (بَيْنَهُما برزخ لا يبغيان) حيث ذكر الشيخ أن الماء الصالح والماء العذب لا يمكن أن يختلطا معاً في حال التقائهما، ودخول مياه الأنهار إلى البحار والمحيطات، ويبقى الصالح صالحاً، والعذب عذباً، وذلك لوجود ما يحجزهما، ويصدهما عن الإمتزاج.

ثانيا: زيادة ثقافة القارئ العلمية

لاريب أن الموسوعية العلمية التي زخر بها تقسيم الجواهر في الاطلاع على علوم شتى وفي مختلف المجالات، لاتتاح له في كتاب واحد.

ثالثا: الحث على العلوم والتعلم.

قدم طنطاوي العلوم العصرية في تفسيره بهيئة مشوقة لطيفة، وحاول انتقاء غرائب العلم وعجائب المخلوقات جذباً القاري وإمتاعاً له، ودفئاً لهمته إلى متابعة الاطلاع على تلك

الموضوعات في مصادؤها الأصلية. هذا بالإضافة إلى الحث المباشر على العلم والتعلم، وذلك عن طريق بيان أهمية العلوم والصناعات في الحياة وأثرها في رقي الأمة، وطلب الشارع لها، وكثيراً ما كان يستخدم أسلوب إثارة الغيرة في نفوس المسلمين، فيذكرهم أنهم أصحاب الإبداع العلمي الحقيقي كما يشهد التاريخ، وأن أوروبا أخذت المعلوم عنهم، فارتقوا بها وساد وا العالم وسعدوا، وأحياناً يستخدم أسلوب الترهيب. فيحذر المسلمين من البقاء على ما هم عليه، وأنهم سيخسرون الدنيا والآخرة.

ومن كلماته في الحث على الدراسة وتحميل العلوم:«فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه، يا ليت شعرى، لماذا لا نعمل فى آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا فى آيات الميراث؟ ولكنى أقول: الحمد لله، الحمد لله، إنك تقرأ فى هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد فى معرفة الله وهى فرض عَيْن على كل قادر. إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن، هىالتى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء فى الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى مَن يشاء إلى صراط مستقيم»[254]

[254] محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*،الجزء الثاني، مكتبة وهبة، بدون تاريخ، ص 371.

رابعا: تعزيز الإيمان بالله

أسلوب طنطاوي من ذكر جمال هذا الكون وتناسله ونظامه، وبيان مجاد مخلوقات الله ودقة منها لتعزز إيمان القارى في قدرة الله تعالى وحكمته في خلقه. إن طرحه لهذه القضايا يُمثِّل دليلاً عمليًا على ما يعرف بدليلي السببية والإتقان، وهما من أبرز ما اعتمده علماء العقيدة في تقرير وجود الله تعالى.

خامسا: روح التفاؤل والأصل بنهضة الأمة

قد امتلأت نفس الشيخ طنطاوي عزماً وأملاً، فأقام أمله وأشاعه في ثنايا تفسيره، ولاتكاد تمر عدة صفحات حتى يكرر كلمات النور والتفاؤل، ويبشر المسلمين بالخلاص من المحنة، وقدوم عيد جديد من العز والسعادة، ويبعث الهمم اليهم نحو العمل والتغيير ويشحذها إلى الأمام.

الفصل الرابع: منهجه في تقديم السور

المنهج الذي سار عليه المؤلف في تفسيره هو أنه يفسر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً، يذكر في مقدمة كل سورة ما لها من أسماء، مع توضيح كون السورة مكية أو مدنية، وذكر عدد آياتها، وترتيب نزولها، وأحيانًا بيان علاقتها بالسورة السابقة، وذلك بإيجاز شديد في بضعة أسطر. مثال ذلك: ما ذكر طنطاوي عند تفسير سورة الناس فقال: بأنها مكية، وعدد آياتها ٦، نزلت بعد سورة الفلق، ثم بدأ بالتفسير اللفظي، فقال بعد ذكر البسملة "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاس"[255](أي: مربيهم ومصلحهم)(مَلِكِ النَّاسِ) أي: مالكهم ومدير أمورهم (إِلَهِ النَّاسِ) أي: معبودهم، مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ أي: الشيطان ذي الوسوسة وهي الصوت الخفي، وعلى ذلك سار في جميع تفسيره.

يقوم طنطاوي بتقسيم السورة إلى عدة أقسام، يضم كل قسم عددًا من آياتها، ويجعل غالبًا البسملة في بداية كل سورة قسمًا مستقلًا يشكّل القسم الأول، ثم يعقبه بالقسم الثاني الذي يتضمن التفسير اللفظي الموجز لآيات ذلك القسم، وهو تفسير مختصر جدًا يقترب في منهجه من تفسير الجلالين. يلي ذلك ما يسميه بـ(لطائف هذا القسم)، وأحيانًا يطلق عليها أبحاثًا أو جواهر أو حكايات، أو يضع لها عنوانًا خاصًا يتناول تحته تلك الأبحاث. ويسير على هذا النهج في القسم الثالث وما بعده.

[255] سورة الناس،الاية1

تعرض سورة الإسراء كأنموذج لتوضيح، فقد قسم طنطاوي إلى قسمين اثنين: الأول إلى قول الله تعالى: « وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا »[256]، يستمر القسم الثاني إلى ختام السورة، بينما يتناول القسم الأول جملةً من الموضوعات، منها: حادثة الإسراء، وتاريخ بني إسرائيل، وغير ذلك، والقسم الثاني: يشتمل على الموضوعات العملية، وهي 25 نوعاً. وقسم النوع الأول بعد التفسير اللفظي المختصر إلى اثنتي عشرة لطيفة، وذكر في بعض لطائفه التي أوردها الشيخ طنطاوي في الجواهر، ثم قسم الجوهرة إلى زبرجد...وهكذا.

ومن أمثلة ذلك أن طنطاوي يقدّم تفسيرًا خاصًا للبسملة في مطلع كل سورة ضمن قسم مستقل، ثم يتبع ذلك بتفسير السورة كاملة، كما في سورة الدخان التي قسّمها إلى قسمين: الأول للبسملة، والثاني للسورة. يقول قال طنطاوي: «القسم الأول: في تفسير البسملة، ثم ساق حكاية عن شخص كان يراجعه في بعض المسائل، إذ قال له: لم يبق في هذه المسألة معنى إلا ظهر في السورة السابقة. فردّ طنطاوي مؤكداً أن للبسملة معاني أجل قدراً وأوسع مدى، وأعظم ذخراً، مبينًا أنه سيتناول قبلها مقدمة تتعلق بآراء الحكماء في الشرق والغرب ... إلخ. ثمّ اتجه طنطاوي بعد ذلك إلى استعراض آراء الفلاسفة في الأخلاق، وضمّن عرضه بعض الوقائع التي مرّ بها شخصياً، كما ربط الآيات بمفاهيم تتعلق بالعلوم الكونية. وقد اعتبر أن جوهر المقصود يتمثل في أربعة عناصر أساسية هي: العلم، والرحمة،

[256] سورة الاسراء، الأية ٤٩

والجمال، والحب، موضحاً ذلك بأمثلة متعددة، ثم خلص إلى أن هذه العناصر تمثل في نظره التفسير الحقيقي للبسملة في سورة الدخان»[257]

لم يكتب طنطاوي جوهري في نهاية السورة تذييلا لتفسير السورة ويشتمل على عدة فصول، ويُضيف في نهاية السورة أحيانا لطائف عامة توضح بعض المعاني وتشتمل جميع أقسامها، باستثناء التفسير اللفظي، على أبحاث علمية تجريبية غنية، موضحة بالصور ومصحوبة بتحليل دقيق[258]

كما فعل مثلاً في سورة " الجاثية" بعد الانتهاء من تفسير السورة بدأ بذكر لطائف فيها، ثم قسمها إلى ست لطائف، وذكر تحت كل لطيفة، أقسام مرة ذكرها باسم الأغراض ومرة قسمها باسم الفصول، مع حشوه في بعض اللطائف ببعض الصور للمرجان والجبال البركانية وما أشبه ذلك[259]، والتي لا تمت بصلة بالتفسير، وكثيرًا ما يتضمن هذه الأبحاث إشارات إلى أحداث من حياته اليومية. وأثناء تفسيره لسورة "يس"، وبعد أن تحدث عن بعض المكتشفات الحديثة المتعلقة بالحرارة والضوء وعظمة الأجرام السماوية واختراع التلسكوب، انتقل طنطاوي إلى ذكر بعض تجاربه الشخصية، فاستحضر واقعة تعود إلى العاشر من يوليو سنة 1930م حين كان في منزله بالقاهرة بصحبة أحد أصدقائه العلماء يتبادلان أطراف الحديث في شؤون متعددة، ثم أعقب هذه الحادثة بسرد وقائع أخرى على

[257] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 21 ، 2016، ص 61
[258] المرجع السابق، الجزء 1، ص 171
[259] المرجع السابق، الجزء 21، ص 4

النسق نفسه.[260]، وأحيانا يذكر ما يراه في منامه، كما ذكر عن رؤياه للنبي في المنام، وأن أصل تأليفه لهذا التفسير جاء من خلال رؤيا النبي.[261] وأحيانًا تنقله خيالاته من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح، فيحدثها وتحدثه الأمر العجاب.

فيقول طنطاوي عن تلك الخيالات: «وما جاء يوم السبت حتى خرجت من القاهرة ضحي لأتوجه إلى بلدة شبين القناطر لمعالجة الحادث الخارجي في نزاع أثاره جار سوء في الحقل، فما جلست في العربة الجارية في الطريق التي تسير بالكهرباء وهي مزدحمة ازدحاماً تاماً بالراكبين وتخترق المزارع؛ حتى أحسست بهذه النفس قد بارحت هذا الجو وعرجت إلى عالم السماوات، أنا جالس مع الناس وأحس بمن حولي وأحفظ قواي وموازنتي مع الراكبين، ولكن سرعان ما رأيت في خيالي أن هناك سلماً منصوباً بين السماء والأرض، فأخذت روحي تعلوه درجة قدرجة حتى وصلت إلى عالم السماوات. كل هذا تخيلته وأنا في اليقظة والناس حولي، ولما وصلت إلى عوالم فوق هذه الطبقات الكوكبية، خيل إلى أن هناك عالماً من النور بهيجاً بدياً، عجيب الألوان، سريع التقلب، جماله العقول ويحير الألباب، فما قوس قزح، وما الصور الجميلة في أرضنا وما البدائع الأرضية وما الشموس والأقمار، وما الكواكب، هو فوقها جمالاً وبناة وحسناً. هنالك حار لبي وأخذت أقول يا ليت شعري ما هذا الخيال؟ أنا في العربة والركاب حولي، فأين الثريا وأين الثرى،....إلخ»[262]، وكثيرًا ما يعبّر عنها بكونها إلهامًا أو نفحة ربانية أو إشارة قدسية أو بشارة رمزية يزعم أنه تلقاها بطريق الإلهام. كما ذكر

[260] المرجع السابق، الجزء 17، ص 201
[261] المرجع السابق، الجزء 4، ص 20
[262] المرجع السابق، الجزء 21،ص8

ذلك في مقدمة الحديث عن تفسيره، فهو يقول: «ولتعلمن أيها الفطن أن هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، أمرت به بطريق الإلهام»[263]

وأحيانًا يلتبس عليه الأمر، فلا يتيقن إن كان ما دوّنه حلمًا أو حديثَ نفس أو إلهامًا، وهو ما أشار إليه طنطاوي صراحةً في حديثه عن نفسه فقال:«خطر في وقت الصباح خاطر لم أقدر على مدافعه، وظل يملك على وجدان وأنا به ثمل، فقد خيلت لي هذه الدنيا كأنما قصر جميل ذات بهجة وحسن، وكأن السماء جميعها مضيئة مشرقة تحيط بي من كل جانب، وكان في حياة أسعد من حياة أهل الأرض التي أعيش فيها، علم أزيداً من كتابة ما. وهنا أخذني ما يشبه سنة النوم، وكأن هذه السماء التي تبدت الخيالي مضيئة قد صارت قصراً جميلاً ما بديعاً، فأخذت أنظر في جوابه وأتأمل عجائبه وأسرح الطرف في محاسنه هنالك تبدت لي حيطانه الأربعة مصنوعة من الذهب مزخرفة باللآلئ البديعة والأحجار الثمينة وأنواع المرجان وكل ما هو جميل، وتخيلت أن في أركان القصر نوراً يشع، ثم أحمد يزداد شيئاً مشيداً فأخذ مجامع لي لما تنوعت ألوانه وأشرفت صوره فكنت أرى صوراً مشرقة بديعة بهيئة ألوان قوس قزح، وهنا رأيتني في عالم غريب عجيب فحرت في أمري وصرت أقول: يا ليت شعري أين أنا الآن؟ وما هذا الجمال؟ إلى أن قال في نهاية حديثه: فلما سمعت ذلك وعيته وفتحت عيني وكتبته، فأنا لا أدري أكنت في أحلام، أم كان ذلك حديث نفس في اليقظة أم هو إلهام»[264]

[263] المرجع السابق، الجزء 1،ص5

[264] المرجع السابق، الجزء 7، ص119-125

الفصل الخامس: المناهج التفسيرية التراثية كما رآها طنطاوي جوهري

يعتبر الشيخ طنطاوي جوهري من العلماء الذين حاولوا تجديد وتطوير المناهج التفسيرية التي أُخذت عن سابقيه من المفسرين الكبار. ورغم أن تفسيره للقرآن الكريم في "الجواهر" يعد من أبرز الأعمال الحديثة في تفسير القرآن، إلا أن جوهري لم يكن بعيدًا عن تأثير المناهج التفسيرية التراثية. يأتي هذا الفصل لاستعراض كيف تعامل طنطاوي مع المناهج التفسيرية التقليدية. ومن خلال هذا الفصل، سيتم تناول كيفية استفادة طنطاوي من هذه المناهج التراثية في تفسيره.

لقد انتهج طنطاوي جوهري، على غرار كثير من المفسرين من قبله، منهج التفسير التحليلي؛ حيث تناول القرآن الكريم كاملاً ابتداءً من سورة الفاتحة وختامًا بسورة الناس. ويُعدّ تفسيره الجواهر أول تفسير كامل للقرآن في مصر في العصر الحديث. وقد اعتمد في عرضه على تقسيم السور إلى أقسام، يفتتح كل قسم منها بتفسير لغوي موجز، ثم يعقبه بشرح موسّع يتناول المعنى الإجمالي للآيات. وفي هذا الإطار استعان بمنهج التفسير بالأثر، إلا أن اعتماده عليه جاء محدودًا وموجزًا، دون التزام بتحقيق علمي دقيق أو عزو مفصل للمصادر. كما اعتمد في بيان المعاني العامة على الاستشهاد بالقرآن نفسه، وأسباب النزول، وبعض الأحاديث النبوية، إلى جانب اللغة والبلاغة، مع إيراد قدر يسير من المرويات عن السلف.

امتاز طنطاوي جوهري بأسلوب قصصي وحواري متنوع؛ إذ كانت الحكايات التي يوردها تتراوح بين وقائع شخصية مرّ بها، وقصص مستمدة من التراث الإسلامي، وأخرى مقتبسة

من ثقافات مختلفة كالهندية واليونانية والأوروبية، وذلك بغرض ترسيخ المعاني المستخلصة من الآيات. كما لجأ إلى توظيف الوسائل البصرية المساعدة مثل الرسوم التوضيحية والجداول وصور النباتات والحيوانات والمناظر الطبيعية.

ويتجلّى في تفسيره بُعد روحي صوفي، يعكس فهمًا عميقًا للجانب الروحي في القرآن الكريم. وسعى من خلاله إلى تحفيز طاقات المسلم نحو العمل والبذل. غير أنه بالغ في توظيف العلوم الكونية حتى جعلها في كثير من المواضع، على الرغم من عدم التزامه التام بمنهج التفسير القرآني للقرآن[265]

الأول: المنهج ألأثري

هو منهج تفسيري يُعتمد فيه على النقل والرواية لفهم معاني القرآن الكريم، ويقصد به تفسير القرآن الكريم بما يلي بالترتيب:

القرآن بالقرآن

السنة النبوية الصحيحة.

أقوال الصحابة.

أقوال التابعين وتابعيهم.

[265] حازم محي الدين، "*قراءة نقدية في منهج طنطاوي جوهري في تفسيره الجواهر*"، الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن – دراسات قرآنية، عدد 8–9، 2009، https://www.almultaka.org/site.php?id=775.

وقد أطلق عليه "الأثري" نسبة إلى الأثر، أي ما أُثر عن السلف الصالح، وله جذور راسخة في منهج الصحابة والتابعين، ويُعد الطبري من أبرز من تبنّاه وصنّف فيه على وجه الاستيعاب.

يقول ابن تيمية رحمه الله في"مقدمة في أصول التفسير": «أصح الطرق في التفسير أن يُفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة»[266]

يبين ابن كثير المنهج بعد القرآن والسنة فيقول: «فإذا لم يوجد تفسير الآية في القرآن ولا في السنة، فإن المرجع في ذلك يكون إلى أقوال الصحابة، لأنهم أدرى الناس بمعاني القرآن. لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وكذلك الأئمة من الصحابة كعبد الله بن مسعود»، ثم ينقل عن الطبري بإسناده عن ابن مسعود قوله: «والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت»(تفسير ابن كثير 1/7،8)[267]

يرى طنطاوي أنّ الاقتصار على المأثور لا يكشف عن أبعاد الإعجاز العلمي في القرآن، ولا يُخاطب العقل المعاصر الذي يتطلع إلى ربط النصوص القرآنية بالعلوم الكونية والتطبيقات الحياتية. لذلك استخدم الأثر في حدود ضيقة، مستشهدًا به في بعض المواضع لتوضيح السياق أو بيان أسباب النزول، دون التوسع في الروايات أو العناية بالأسانيد. ومن

[266] ابن تيمية،*مقدمة في أصول التفسير*،تحقيق عبد الحميد،ص93.

[267] https://shamela.ws/book/1509/91

خلال تفسيره، لكنه لا يعده المصدر الوحيد أو المعتمد كليًا في تفسيره، بل ينفتح على المنهج العقلي والعلمي الحديث، خاصة في ربط الآيات بالظواهر الكونية والعلمية.

يقول طنطاوي جوهري في مقدمة تفسيره: «وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون، وليقرأن في مشارق الأرض ومغاربها مقروناً بالقبول، وليولعن بالعجائب السماوية، والبدائع الأرضية: الشبان الموحدون، وليرفعن الله مدنيتهم إلى العلا، وليكونن هذا الكتاب داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومن من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة، في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك، وغيرها من العلوم والصناعات، كيف لا، وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية ، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة عن مائة وخمسين آية. ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق، وعجائب الكون. وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوق المسلمين والمسلمات، إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات، في الحيوان والنبات والأرض والسماوات. ولتعلمن أيها الفطن : أن هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، وبشارة رمزية، أمرت به بطريق الإلهام، وأيقنت أن له شأناً سيعرفه الخلق وسيكون من أهم أسباب رقي المستضعفين في الأرض»[268]

لم يكن جوهري يعتمد على المنهج الأثري كمنهج رئيسي، بل كان يوظفه كمدخل تمهيدي قبل الانتقال إلى تحليلاته العلمية والفلسفية.

[268] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء الأول، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 5.

أمثلة على المنهج الأثري في تفسير الجواهر:

تفسير الآيات بالقرآن

هذا المثال يُظهر اعتماد الشيخ طنطاوي جوهري على تفسير القرآن بالقرآن، حيث يُفسّر آية من سورة النور«يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ»[269]، باستخدام آية أخرى من سورة الكهف«وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»[270]،ليُبيّن أنّ أعمال الإنسان، سواء نُطِق بها أو خفيت، ستُعرض يوم القيامة بصورة واضحة لا تقبل الإنكار، وأن شهادة الأعضاء تكون ناطقةً بالحال،

عند تفسير آية«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا »[271]، ربط الشيخ هذه الآية بآيات أخرى تتعلق بالذكر وفضله، مبينًا أن الله أمر عباده بذكره في جميع الأحوال، مستشهدًا بقول الله «فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُم»[272].

ومن أمثلة تفسير القرآن بالسنة، في تفسير لقول الله تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم»[273]، أورد الشيخ طنطاوي حديثا صحيحا من رواية البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ«ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، إن شئتم، فاقرؤوا ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾، فأيما مؤمن ترك مالًا فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك دَينًا أو ضياعًا (أي عيالًا)، فليأتني، فأنا مولاه»[274]

---

[269] سورة النور، الآية 24:

[270] سورة الكهف، الآية 49:

[271] سورة الأحزاب ، الآية 41

[272] سورة النساء،الآية 103

[273] سورة الأحزاب: 6

[274] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 16، المجلد 8، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 22

يعلّق الشيخ على هذا الحديث، موضحًا أنه تفسير نبوي مباشر للآية، حيث يبيّن النبي ﷺ معنى الأولوية المذكورة في الآية بأنها ليست مجرد منزلة روحية، بل تمتد لتشمل الولاية والمسؤولية الاجتماعية عن المؤمنين، خصوصًا الضعفاء منهم كمن عليه دَين أو من يترك عيالًا بلا عائل. وبهذا يكون الشيخ قد فسر الآية من خلال السنة النبوية، مما يُعد تطبيقًا عمليًا لمنهج تفسير القرآن بالسنة، حيث تُستخدم الأحاديث النبوية لشرح وتوضيح ما قد يُجمل في النص القرآني.

يقول الله تعالى: « وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا »[275]

يقول الشيخ بعد ذكر الآية: «روي البخاري عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلي الأحزاب: الآن نغزوهم ولا يغزوننا،نحن نسير إليهم»(صحيح البخاري-4110)

يذكر أيضًا حديثًا آخر: «روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "لا إله إلا الله وحده، وصدق وحده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[276] (صحيح البخاري 4114)

[275] سورة الاحزاب، الآية27

[276] شرح حديث:خطب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم فتح مكة، موقع الدرر السنية،https://dorar.net/hadith/sharh/66481، تاريخ الدخول: 9 يوليو 2025م.

عند تفسيره للآيات التي تتحدث عن الصدقة والزكاة، كالآية: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ »[277]، أورد بعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ فيبيان فضل الصدقة فضل الصدقة، ولكن بشكل موجز دون عزو تفصيلي.

الاستعانة بأقوال السلف في تفسير الآيات

في سياق تفسيره للآية الكريمة: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً»[278]

استشهد جوهري بأقوال ابن عباس ومجاهد وغيرهما في بيان معنى "الخليفة"،مشيرًا إلى أقوالهم وإن لم يحقق أسانيدها بدقة.

الرجوع إلى أسباب النزول

في تفسير هذه الآية: «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ»[279]، ذكر سبب النزول كما ورد عن ابن عباس وغيره أنّ النبي ﷺ كان يتمنى تحويل القبلة، وذكر الأثر في إطار تفسيره للآية. كما هو شائع في المنهج الأثري، استخدم اللغة العربية وتراكيبها لشرح بعض المفردات القرآنية، مستعينًا بمعاجم العرب وأقوال اللغويين مثل الفراء والزمخشري.

يعمد الشيخ طنطاوي رحمه الله إلى تقسيم السورة إلى مقاطع محددة، ثم يتناول تفسير كل مقطع بوصفه وحدة متكاملة، فيبدأ بشرحٍ لفظي مدعوم بما ورد من آثار في الكتاب والسنة، مستشهدًا بأسباب النزول وبعض الروايات التفسيرية. غير أنه غالبًا لا ينسب تلك

[277] سورة التوبة، الآية 103
[278] سورة البقرة، الأية 30
[279] سورة البقرة ،الآية 144

الروايات إلى مصادرها الأصلية، بل ينقلها كما وردت. ويمكن ملاحظة هذا الأسلوب بوضوح في تفسيره لبعض الآيات كمثال على ذلك.

من النماذج التي يُلاحظ فيها اعتماد الشيخ طنطاوي جوهري على المنهج الأثري في تفسيره، ما ورد تفسيره لقول الله عزوجل: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[280]

فقد أورد الشيخ «أن هذه الآيات نزلت عندما سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يأتيهم بآية فنزلت ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ دلائل واضحة على وجود الخالق، وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة الديرة من شوائب الحسن والوهم . وقد ورد عن النبيﷺ في فضل هذه الآيات قوله: "ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها"[281]». ثمّ أورد الشيخ حديثًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ:«ما قعد أحد مقعدًا لم يُذكر الله فيه إلا كان عليه من الله تِرة، وما اضطجع مضطجعًا لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله تِرة، وما مشى أحد ممشىً لا يذكر الله فيه إلا كان عليه من الله تِرة»[282] رواه أبو داود وغيره.

[280] سورة آل عمران، الآيتان 190–191

[281] https://dorar.net/hadith/sharh/150014

[282] https://dorar.net/hadith/sharh/61354

وفي هذا السياق، أورد ما جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة، وكان به داء البواسير، فقال له النبيﷺ:«صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب، وتُومئ إيماءً »[283] (رواه البخاري).

ثم انتقل إلى الآية الكريمة: «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»(سورة آل عمران،الآية 191) مستدلًا بها على أهمية التفكر والاعتبار، وموضحًا أن ذلك من أفضل العبادات، مستشهدًا بقوله: "لا عبادة كالتفكر"، إلا أن الحديث ضعّفه البيهقي في شعب الإيمان كما رواه ابن حبان في كتاب الضعفاء»[284]

[283] https://hadithprophet.com/hadith-815.html

[284] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 2، 1351، ص 182

اهتمامه بتوضيح مفردات الآية الكريمة

يتميز الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بالتركيز على شرح الألفاظ القرآنية التي يتطلب فهمها توضيحًا، حيث لا يقوم بشرح جميع الألفاظ على الإطلاق، بل يقتصر على توضيح ما يراه ضروريًا لفهم المعنى العام للآية. وهذا يظهر التوازن الذي يتبعه في تفسير القرآن الكريم، حيث يسعى إلى توضيح المعاني وفقًا لاحتياجات السياق، مستندًا في ذلك إلى الفهم اللغوي والمعرفي للألفاظ القرآنية.

في إطار التفسير اللفظي، يفسر الشيخ طنطاوي جوهري الآية «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا»[285]، مبينًا المعاني اللغوية والدلالات المقصودة فيها. فقد فصَّل في كلمة "سبحان" بوصفها اسمًا للتنزيه، أي تنزيه الله تعالى عن العجز عمّا سيأتي بعده من ذكر معجزة الإسراء، التي تُعدّ من أبرز مظاهر قدرته. ثم انتقل إلى شرح "الذي أسرى بعبده" فبيَّن أنها إشارة إلى النبي محمدﷺ، مستندًا في ذلك إلى دلالة الفعلين "سرى" و"أسرى" اللغوية على السير ليلاً. وفيما يخصّ "ليلاً"، نوَّه إلى أن تنكير لفظ "ليل" يعين جزءًا محدودًا من الليل لا كاملَه، دالًّا بذلك على قصر مدة الإسراء رغم عظمها.[286]

[285] سورة الإسراء، الآية 1

[286] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 9، المجلد الخامس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 5.

إهتمامه ببيان اللطائف في الآيات القرآنية

يستخرج طنطاوي اللطائف من الآيات القرآنية في سياق يقتضه حال الآية، فعلى سبيل المثال، يذكر لطيفه من الإعجاز العلمي في تفسيره، فيقول: «وأمّأ العنكبوت ومن الحشرات العنكبوت ذات النسيج الجميل والغزل الرقيق والريق الذي إذا تعرض للهواء انقلب إلى مادة أشبه بالقطن أو الحرير، فيغزلها خيطاً دقيقاً وينسج تلك الخيوط نسيجاً محكماً متقناً حتى قال علماء الحشرات: إن هندستها التي رسمتها في نسيجها ونظامها البديع الذي توخته في عملها أدق ما صنعه المهندسون وأبرع ما نظمه البارعون، حتى إنها لم تخطئ يوماً في نظمها ولم تغلط يوماً في نسجها، وإن أبرع المهندسين وأعظم المحنكين الذين درسوا في المدارس العالية وتخرجوا على أعلم علماء الهندسة يخطئون في تقديرهم ويشذون في عملهم ويحيدون عن سواء السبيل، وهذه الحشرات لا تخطئ في نظمها ولا تضل في هندستها ولا تخيب في إحكامها، ذلك لأن معلم المهندسين من المخلوقين ومعلم العنكبوت خالق المهندسين، فتلميذ الله لن يخطئ، وتلميذ المخلوق قد يضل مع الضالين،ولقد شاهد الناس صغارها وصغار الحيوانات تخرج عالمة بفنونها محكمة لعملها كأمهاتها بلا تعليم ولا تدريب ولا تهذيب ولا تدريس ولا مدارس ولا معلمين، بل الغريزة الإلهية والحكمة الصمدانية التي أبدعت المخلوقات ونظمت الكائنات فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(سورة المؤمنون، الآية 14)»[287]

[287] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 14، المجلد السابع، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 166.

ومن اللمحات اللطيفة التي أوردها الشيخ طنطاوي في تفسيره "الجواهر"، ما جاء في مقدمة كلامه لسورة آل عمران، في سياق تفسيره للحروف المقطعة؛ وأفرد له موضوعًا خاصًا تحت عنوان: «الأسرار الكيميائية في الحروف الهجائية للأمم الإسلامية في أوائل السور القرآنية» حيث قال فيه:«انظر رعاك الله، تأمل، يقول الله: الم - الر - ط س - حم. وهكذا يقول لنا : أيها الناس إن الحروف الهجائية إليها تعلل الكلمات اللغوية. فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أمنها إلى حروفها الأصلية سواء الكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية شرقية وغربية، فلا صرف ولا إملاء ولا الشقاق إلا بتطيل الكلمات إلى حروفها ولا سبيل التعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها؛ وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون ولا جرم أن العلوم قسمان: لغوية وغير لغوية والعلوم اللغوية مقدمة في التعليم لأنها وسيلة إلى معرفة الحقائق العلمية من رياضية وطبيعية والهيئة، فإذا كانت العلوم التي هي آلة لغيرها لا تعرف حقائقها إلا بتحليلها إلى أصولها فكيف إذن تكون العلوم المقصودة لنتائجها المادية المعنوية؛ فهي أولى بالتحليل وأجدر بإرجاعها إلى أصولها الأولية. لا يعرف الصاب إلا بمعرفة بسائط الأعداد، ولا الهندسة إلا بعد علم البسائط والمقدمات ولا علوم الكيمياء إلا بمعرفة العناصر وتحليل المركبات إليها، فرجع الأمر إلى تحقيق العلوم»[288]

[288] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 2، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 15.

يبرز طنطاوي جانب الإعجاز العلمي عند تفسيره لقوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُونِ اتَّخَذَتْ بَيتًا وَإِنَّ أَوَهَنَ الْبيوتِ لبَيْتُ الْعَنكَبوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[289]

يقول الشيخ طنطاوي رحمه الله واصفا بيت العنكبوت: «كل خيط مكون من أربعة آلاف خيط، فيكون هذا الخيط الرقيق يساوي جزءا من خيط من الألف يخرج من قناة مخصوصة من جسم العنكبوت، وكيف يسع جسم العنكبوت ألف تقب فيها ألف خيط أليس ذلك من العجب. ثم يقول: إنها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت هندسة الإنسان، وعلل ذلك العلماء بقولهم أن هندسته الهيةً، وهندسة الإنسان بتعليم البشر، فلذلك يغلط الإنسان ولا يغلط العنكبوت في الهندسة، ولما كان بيت العنكبوت اضعف بيت ألهمها الله أن تبحث عن صمع وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها خيوطها التي نسجتها فتكسبها لزوجة، فلذلك لا تعرفها الرياح إذا فاجأتها، ولا الأعاصير إذا ساورتها، وإذا مر بها الذباب النقطته بمادتها اللزجة»[290]، قد استعان طنطاوي بالعلم ليدل على عجائب صنع الله وبدائعه في موجوداته التي ظهرت في العنكبوت.

من خلال دراسة المواضيع التي تناول الشيخ طنطاوي جوهري ضمن تفسيره، يبرز بجلاء أنه يتّضح أنه لجأ إلى التفسير بالأثر،مستعينًا ببعض المرويات التفسيرية المنقولة عن السلف، وذلك بصورة مقتضبة ومحدودة، دون التزام منهج التحقيق أو العزو الدقيق إلى المصادر الأصلية أو قائليها. وهذا النهج يختلف عن منهج المفسرين الذين اتخذوا من

[289] سورة العنكبوت، الآية 41

[290] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 7.

التفسير بالمأثور أساسًا منهجيًا، كابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهم. في المقابل يتبين أن جوهري قد أعطى الأولوية في تفسيره للمعنى الإجمالي والمعالجة العقلية القائمة على التأمل في الظواهر الكونية، مما يجعله أقرب إلى المنهج العقلي والاجتماعي، كما هو ظاهر في تفسيره العلمي لعدد من الآيات، وتوظيفه للعلوم الحديثة في بيان أوجه الإعجاز. وبهذا فإن تفسير الجواهر لا يقوم على منهج واحد، بل هو تفسير موسوعي انتقائي يجمع بين الأثر والعقل.

بيّن الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله بعد استعراضه لجملة من النماذج من تفسير "الجواهر". هو يُعدّ هذا الكتاب موسوعةً علمية شاملة، تناولت شتى فروع المعرفة بنصيب وافر، مما جعله يُقارن في قيمته واتساعه بتفسير الفخر الرازي وقد قال: «"فيه كل شيء إلا التفسير"؛ بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأَوْلَى به، وإذا دل الكتاب على شيء فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيرًا ما يسبح في ملكوت السماوات والأرض بفكره، ويطوف في نواحٍ شتَّى من العلم بعقله وقلبه؛ ليجلي للناس آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنًا لكل ما جاء ويجيء به الإنسان من علوم ونظريات، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث؛ ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، وانحراف به عن هدفه»[291]

[291] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري*، الطبعة الثالثة، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م، ص ٦٧٤

أمّا الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير، فقد أورد بعض الأمثلة من تفسيره، ثم علّق عليها بقوله: «في وسعنا بعد أن عرفنا نماذج مما كتبه، أن نسمي كتابه هذا جواهر العلوم، لا جواهر التفسير، فهو في وادٍ، وتفسير القرآن في وادٍ آخر»[292]

[292] نفس المرجع، ص 674

الفصل السادس: الأساليب في تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري

أسلوب الشيخ في التفسير:

تفسير الجواهر كان متميزاً بأسلوبه الجديد في العرض، بخلاف ما عهده الناس واعتاد عليه المفسرون مما منح التفسير طابعاً مميزاً في بنيته الأسلوبية ومضمونه التحليلي. استطاع طنطاوي أن يجمع بين الأساليب القديمة والأساليب الحديثة، فقد استخدم أسلوب التقرير في مسائل التفسير التقليدية مثل المكي والمدني، أسباب النزول، التفسير اللفظي وغيرها، واستخدم أساليبه الأدبية في تفسيره الخاص للآيات وآرائه الشخصية، فظهر تفسيره بحلة جديدة وثوب قشيب، يدفع الناس لقراءته، ويجذبهم نحوه، فيغذي عقولهم ويمتع عاطفتهم.

أنعم الله على الشيخ بثقافة واسعة وأبحاث شتى الجوانب، ومع ذكائه الخلاق وخياله الواسع يتجلّى سرّ السلاسة واليسر في أسلوبه. فرغم احتواء التفسير على مصطلحات دقيقة وبحوث معمّقة، وعلى نصوص مترجمة وأخرى غير مترجمة، يبقى الأسلوب سلسًا يفيض حيوية، بعيدًا عن الملل أو التعقيد. وقد ارتأى المفسر رحمه الله إدماج عناصر جمالية وتشويقية في العرض، فاعتمد عناوين مبتكرة وألفاظًا غير مألوفة تضفي جاذبية وتشدّ الانتباه.

يتنوع الأسلوب في التفسير ويُزيَّن بعناية، فيغدو سلسًا ممتعًا للدارسين، ويؤدي وظيفته المتوقعة في إيقاظ العالم الإسلامي والنهوض به، من خلال ضرب الأمثلة، وتقريب المعاني بالقصص والمحاورات، وتجميل الأفكار بصور الخيال ومشاهد الجمال الكوني.

يسعى هذا المبحث إلى الكشف عن أبرز الأساليب التي اعتمدها طنطاوي في عرض تفسيره، وفيما يأتي عرض لأهم هذه الأساليب:

1 - العرض القصصي:

يُوظف التفسير أسلوب العرض القصصي لتقديم المفاهيم والمعاني، مما يضفي على النص طابعًا حيويًا وجذابًا. يساهم هذا الأسلوب في تثبيت المعلومات من خلال تسلسل الأحداث وسردها بطريقة مشوقة، مستخدمًا الحوار والتشويق لتقريب المعاني إلى ذهن القارئ بأسلوب مؤثر وعميق.

في تفسير قصة موسى والرجل الصالح في سورة الكهف، أورد جوهري قصة خيالية بطلها الحارث بن همام «قال:حدثني الحارث بن همام، قال: أخذتني سنة من النوم فرأيت فيما يرى النائمون رجلين أحدهما فلاح بحقله والثاني شيخ عالم بالقرآن وتفسيره والبلاغة وآدابها، فأخذا يتحاوران وأنا مصنع لهما، قال الفلاح للشيخ الأديب: أيها الشيخ إن الله قد أنعم عليك بنعمة القرآن والعلم وأتاك حكمة»[293]

[293] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 9، المجلد الخامس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 227

ثم اقتبس من القرآن كما توجد في المقامات فيواصل: «ومن يأت الحكمة "فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كثيراً" (البقرة: ٢٦٩)، إني حرت في أمر هذه الدنيا، قال الشيخ: وكيف ذلك؟ قال: أنا واقف في الحقل أرى طيوراً فوقي تطير، وحيوانات وبهائم على الأرض تسير،وألفيت الطيور قد اكتست جلابيب الهناء وسرابيل السعادة، لم تكبل في الأرض بالحافر ولا بالخف ولا بالظلف، بل أرجلها خفيفة وريشها حريري وأمرها عجيب، تبيض البيض وتحضن أولادها وتربيهن مترفة ناعمة سعيدة فرحة مغردة مغنية، لا أسنان لها تعيقها عن الطيران بثقلها ولا أذان لكل منها، فإن ذات البيض خلقت بلا آنان ظاهرة، وذات الحمل والولادة آذانها ظاهرة الأنعام حولي فأخفافها وأظلافها وغلظ أجسامها وحرمانها من الأجنحة كل ذلك أقعدها عن الطيران، وأكسبها السير في الغيطان، فخضعت لنا وذللناها فمنها ركوبنا وإنا لها الأكلون، ثم أرى طيور السماء وحيوانات الأرض والماء جميعاً لها شؤون وشؤون ونظام مسنون كل له نظام يخصه لا عوج فيه، قد أعطي كل ما يؤهله لحياته؛ فالطير راض عن جوه وعن هواه، وحيوان الأرض راض عن مثواه، وكأن هذا وذاك مشمولات بالعطاء، منعمات بكل يابسة وخضراء. أما الذي أذهلني وأذاني وهيج ببالي ما أراه من الناقض والاختلاف، فبينما ترى صانع العالم رحيماً لطيفاً إذا بك تراه قد انقض على المرحوم فأذاه ومنع عنه الرحمة وأرداه.... الخ»[294]

ويواصل جوهري عرض أحداث القصة حتى ختامها، في سرد يمتد على قرابة خمس صفحات، مقتبسًا الآيات الكريمة بأسلوب أقرب إلى المقامة .جوهري اتّبع في كتابه أسلوب

[294] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 9، المجلد الخامس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 227-231.

المقامات لنقد مظاهر الجهل والتقليد في المجتمع بأسلوب ساخر وبلاغي ، ينتقد المجتمع العربي أو الإسلامي بأسلوب صريح لاذع، هو لا يهاجم التدين، بل يهاجم السطحية في التدين، والاقتصار على الحفظ دون فهم، وعلى العيش دون وعي. كما يسلّط الضوء على تجاهل الواقع العلمي والحضاري الذي يفرضه الغرب.

جاء هنا أسلوب القصة منسجمًا مع جوهر القصة الأصلية في أكثر من جانب؛ حيث تمثلت الشخصيتان الرئيسيتان في رجل عالم وفلاح يتطلع إلى التعلم، وتوسط بينهما طائر تحول إلى رجل ليتولى دور المعلم. ويعكس هذا الأسلوب دقة في الفكرة، وعمقًا في المعالجة، وجودة في البناء الفني، مما يبرز براعة المؤلف في توظيف عناصر القصة لتوصيل المعنى بطريقة بليغة ومؤثرة.

2- الأسلوب الحواري:

امتاز الأسلوب الحواري في تفسير الجواهر، إذ وظّف الحوار كوسيلة فعالة لتوضيح الأفكار، وتقريب المعاني، وإثارة انتباه القارئ. تفسير الجواهر به جمله مبني على الحوار، ففي الغالب وبعد أن يكتب الشيخ فصلاً من الفصول أو لطيفة من الاطائف أو موضوعاً ما، يعرضه على بعض العلماء من أصدقائه، فيقرؤون ماكتب، ويبدون ملحوظاتهم و انتقاداتهم فيرد عليها، ويسالونه فيجيب، ويستفسرون منه عن بعض الأمور فيوضحها لهم، ثم يسجل هذه المحاورات على صفحات تفسيره. فجاء الحوار طبيعيًّا متوازنًا، يعكس شخصيات المتحاورين، ويمنح القارئ فرصة التفاعل مع المواقف، ويساهم في بناء الفكرة وتطور الحدث بشكل سلس ومؤثر. يتجلى هذا الأسلوب حين يصوّر الموقف الذي يجلس فيه أحد

العلماء بين يدي المفسّر أثناء انشغاله بكتابة تفسير سورة طه،حيث يقول الشيخ طنطاوي في تفسيرالاية:«قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى»[295]، بالجوهرة الأولى:«إني لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يحاورني في مسائل من هذا التفسير، فقال : ماذا تريد بعد ما كتبت في هذا الموضوع؟ فقلت: لقد رأيت اليوم عجباً هو أنسب لهذه الآية، لقد أصبح العلم اليوم يكشف لنا الغطاء عن آيات القرآن. فقال صاحبي: أين علوم الطبيعة هنا؟ فقلت: ألم تسمع الله سبحانه يقول: "قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى"(سورة طه:50)،وذلك في النبات والحيوان والإنسان والمعادن وكل شيء،والهداية خاصة بالحيوان والإنسان، فقال: إن هذا التفسير مملوء من هذه العجائب، فما الذي زاد هنا؟ قلت: ستعلم في هذا المقام علم اليقين معنى قوله تعالى: "وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْق غافلين"(سورة المؤمنون:17) ومعنى: أعطى كل شيءٍ خلقه أي بلا زيادة ولا نقص. وترى الحساب البديع في خلق الأجنة في الأرحام، وتعلم أن حكاية صصة بن داهر الحكيم الهندي الذي اخترع الشطرنج وجعل حب القمح الذي في العالم كله بالحساب لا يكفي ليوفى بيوت الشطرنج، قد ظهر اليوم نظير مغزاها في خلق الجنين في بطن أمه، فإنك سترى أنه يجري على مقتضى المتوالية الهندسية، فقال: قد تقدم هذا في سورة الفاتحة عند تفسير: "رَبِّ الْعَالَمِينَ"(الفاتحة:1)»[296]

[295] سورة طه، الآية 50.

[296] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم. الجزء 10، 2016، ص 118-119.

من الجدير بالذكر أن هذا الأسلوب قد أضفى على "الجواهر" طابعاً من الاتساع وزاد من حجمه، إذ إن الحوار يشبه الجلسة المفتوحة التي يُمكن أن يُطرح فيها أي موضوع. ولهذا السبب، كان طنطاوي أحياناً يطلق عليه اسم "مسامرة".

3- ثراء الخيال في أسلوب طنطاوي جوهري:

تظهر خصوبة خيال طنطاوي جوهري بوضوح حتى خارج نطاق القصة والحوار، حيث يتجلى ذلك في تحليله لأسرار الحروف، كما يتضح في تفسيره لسورة النمل. فهو يربط بين حرفي "الطاء" و"السين" اللذين يظهران في كلمتي "الطير" و"سليمان" حيث يقول طنطاوي جوهري: «هذا هو بعض سر «الطاء» و «السين» في أول هذه السورة، فـ«السين» من «سليمان» و «الطاء» من «الطير» ومن «أحطت» ومن «تحط» يشيران إلى ما ذكرناه من هذه المعاني، وكأنما السين كما قدمنا قريباً مفتاح، و«الطاء» قفل بحسب شكلهما واجتماعهما، وقد أفاد أن سليمان الذي أول حروفه «السين» يشير للعلم ، لأن الله يقول في هذه السورة: "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا"(سورة النمل:15)،فالعلم المشار إليه بسليمان هو المفتاح الذي يفتح به قفل الطلاسم في الطير المشار إليه بـ«الطاء»، فكأن الطير طلسم وهكذا كل الحيوانات، والعلم حل له ويرمز له بسليمان، أو قفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل، فالحمد لله على العلم والحمد لله على الإلهام والإنعام»[297]

على الرغم من التقدير لغيرته الكبيرة على هذه الأمة وإيمانه العميق بالقرآن الكريم، إلا أن خصوبة خياله كانت تدفعه أحيانًا إلى الابتعاد عن خارج التفسير ومعانيها. وهذا يتجلى بوضوح في تفسيره. كما لا يغفل الشيخ طنطاوي هنا عن توجيه تحذيرٍ للمسلمين بضرورة طلب العلم من أهله وأصحابه، مستعينًا بقصة الهدهد الذي قال لسليمان عليه السلام: "أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ"(سورة النمل: ٢٢). وبين الفارق الكبير بين مقام الهدهد ومقام

[297] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 13، المجلد السابع، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 149.

سليمان، يطرح تساؤلاً هامًا: «هل المسلمين اليوم أفضل حالًا من سليمان؟ وهل العلماء المعاصرون أقل شأنًا من الهدهد؟ وهكذا يستمر الشيخ طنطاوي في استكشاف هذه المعاني بعمق ورؤية متجددة.

يتمتع الشيخ طنطاوي بخيال خصب واسع، وقد استطاع من خلاله أن يوصل أفكاره إلى الآخرين بلطف وذكاء، وبأسلوب جذاب ممتع، فكأن القارئ يطالع قصة أو يستمع إلى حكاية لا إلى تفسير، لا عجب أن يجد القارئ بعض الموضوعات تجري على ألسنة الحيوانات والحشرات ويجد فيه سمكتين تدعيان (ساندة) و (مائدة) تتحدثان عن عالم البحار وأشكال المياه وبعض القضايا العلمية»[298]، ويجد حوارا بين ناموستين (باسا) و (ساسا) تشرحان من خلال قول الله تعالى «وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِأَيَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ»[299]، ويطالع فيه محاورة في موضوع السعادة والشقاوة بين أربعة أطراف: دودة وغزالة وإنسان وملك[300]، ويطالع فيه العنكبوت وهي تشرح للناس حكمة الخالق فيها[301]

وهناك أسلوب تخيلي هام، استخدمه الشيخ كثيرا، يُطلق عليه بـ(الرحلات الروحية)يحكى من خلالها انفصام روحه عنه وهو في حالة بين النوم واليقظة، ثم تقوم برحلة أرضية أو سماوية، تلتقي فيها بأرواح أو أشخاص تحاورهم في بعض أمور التغير وموضوعاته وفي هذا يظهر تأثره الواضح بقصة الإسراء والمعراج .

---

[298] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*،جزء 21، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1931، ص102 وما بعدها

[299] سورة النمل، آية 82

[300] المرجع السابق 8 : 162- 163

[301] المرجع السابق 14 : 214

وتارة يسير طنطاوي على أسلوب بعض الأدباء في إيراد قصصهم، إذ يستخدم تعبير: حدثني الحارث بن همام قال ..... "ويقص هذا الرجل الوهمي على الشيخ بعض ما يراه في منامه من أمور علمية ومن تفكرات، أو عن أسفاره العجيبة[302] .من خلال الأمثلة السابقة ، يظهر مدى تأثر طنطاوي الواضح ببعض المؤلفات العربية ذات الطابع الخيالي مثل: (كليلة ودمنه) و (ألف ليلة وليلة) (الإخوان الصفا)، وغيرها من الكتب التي ترتكز على الخيال الواسع.

[302] المرجع السابق 9 : 187، 14 : 55، 21 : 102

4- توظيف أساليب التوضيح المدعمة بالصور

من أجل تسهيل فهم الآيات والموضوعات العلمية المختلفة، وتقريبها العقول أكثر الشيخ من ضرب الأمثلة التقريبية، ومن وضع الشروح والرسم التوضيحية والخرائط والصور والجداول وما شابه ذلك. وقد ورد مثال على ذلك في الفصل الخامس.

5- أسلوب الخطاب

الدارس لتفسير الجواهر يلحظ طغيان أسلوب الخطاب على التفسير، فالشيخ يجلس القارئ أمامه و يخاطبه وجها لوجه و يستمع إلى أسئلته وحججه ويرد عليها بأجوبته مقنعة و براهين قاطعة. وعلى سبيل المثال، نموذجا مما جاء في المجلد الخامس الجزء التاسع في تفسير سورة الإسراء أثناء حديثه عن الأرواح فيقول: «ولعلك تقول كلامك لا يروي من غلة ولا يشفي من علة، فأنا إلى الآن لم أفهم. فأقول لك: إقرأ كتاب«فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة»للغزالي، فتقول أنت: قرأته فلم أعرف ما تقصد. أقول: إن الخوتيم مجهولة فربما يكون بعض من نتوهم أنهم في راحة من الأرواح قد أسلموا ونحن لا نعلم، أو تكون بعض تلك الأرواح لا علم لها بالإسلام مطلقا ولم تسمع به، أو سمعت به مشوها على غير حقيقة، فتقول لي: أنا إلى الآن لم يسترح ضميري. أقول: إذن يكون الكلام بعد هذا كله من باب الوسوسة، ونحن نريد رقي الأمم الإسلامية بالعلم والحكمة»[303]

الحقيقة أن مثل هذا أسلوب التخاطب يظهر بأساليب متنوعة في تفسير جوهري سواء في شكلى السؤال والجواب أو في شكل الخطاب المباشر مع شخصية من الشخصيات مثلما

[303] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسر القرآن الكريم*، المجلد5، الجزء9، ص11

جاء في حديثه مع شخصية تدعى "شير محمد"، وهي شخصية استعان بها في كتابه" الأرواح" ونقل عنها في تفسيره أثناء حديثه عن الأرواح أيضا في سورة الإسراء، حيث يوجه "شير محمد" الأسئلة لشيخ طنطاوي ويقوم الشيخ طنطاوي بالرد على أسئلته ردا مفصلا، وفي نهاية الحديث يذكر الشيخ طنطاوي أنه نقل هذا عن كتابه " الأرواح"[304].

هذا الأسلوب الإبداعي مما تميز به تفسير الشيخ طنطاوي جوهري، وقلّ وجود هذا الأسلوب في غيره من التفاسير، إذ لا يقتصر الخطاب فيه على البشر، بل يتعداهم إلى خطاب الله سبحانه وتعالى في صورة دعاء ومناجاة.

وجاء مثل هذا في المجلد الثامن الجزء الخامس عشر ص ١٥٦ يقول: «سبحانك اللهم سبحانك، أنت الذي خلقت المروج وخلقت الطيور، أنت يا الله خلقت القلوب وأنت الذي ألهمتها أن تصور الحكمة من صور الطيور، إنك يا الله قد علمتنا في القرآن أن المقلد لا يعي، وأكثر سور القرآن مشحونة بذم المقلدين، مشحونة بالمعاندين والجاهلين الذين يقلدون ولا يعقلون. وأنت يا الله الذي ألهمت عبادك هذه الصورة الحكيمة التي توافق كتابك وفيها إنعاش للنفوس وإحياء للقلوب، أنت الذي أنزلت القرآن لتعلمنا الحكمة، والقرآن الكريم أشار إلى ما صنعته لنقرأه ونفهمه، والقرآن فتح لنا الباب»

[304] المرجع السابق،ص52

6- إيراد الحكم الحياتية :

ومن شواهد الإبداع عند الشيخ طنطاوي أيضًا اشتمالُ تفسيره على كثيرٍ من الحكم الحياتية في ثنايا الكتاب، مما يزيد تفسيره تشويقا، فيقول على سبيل المثال في تفسيره في الجزء التاسع من المجلد الخامس ص ٦٣ : «ومن المشهور أن زيدا يتثاءب فيتثاءب خالد، والعادات تؤثر تأثير الطاعون والأمراض المعدية، إن الناس يعيشون بالقدوة لا بالتعليم، فالتعليم في الكتب، فيكون للأمة ذنوب عامة وعيوب جارحة تشملهم جميعا، وما مثل الأمة إلا كمثل رجل ابتلى بمرض الزهري فولد أولادا مرضوا بهذا الداء، فتصبح أجسامهم وأخلاقهم وآدابهم معتلة»[305]

وفي موضع آخر من تفسير سورة الإسراء يقول: «سيحصد الإنسان ما زرعه وسينال مكافأة أعماله في هذه الحياة الأرضية، وأما الغفران فليس مجرد التخلص من القصاص بواسطة أمر الله بل هو مغفرة أو محو الأعمال المغايرة التي ليست مرضية وتؤثر ببطء تدريجا في نفس الإنسان»[306]

7- أسلوب الموازنة:

ومن مظاهر الإبداع أيضًا عند الشيخ طنطاوي اعتماده أسلوب الموازنة بين الموضوعات ومقارنتها بالكتب التي تناولت موضوع نفسه أو الآراء التي قيلت في قضية من القضايا، على سبيل المثال يعقد موازنة بين ما جاء في كتاب "السماء وجهنم" من جانب وبين ما جاء في

[305] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسر القرآن الكريم، المجلد5، الجزء9، ص63

[306] المرجع السابق، ص58

كتاب "الابريز" الذي ألفه الحافظ أحمد بن مبارك[307]، وموازنة بين تسبيح اللسان وحمده وبين تسبيح المخلوقات[308]، ومقارنة بين معنى الحدب وكلام المؤرخين فيه[309]، والموازنة بين تركيب جسد الإنسان وطبقات العوالم السفلية[310]، وموازنة آيات الأحكام بآيات الأعمال الأخرى[311]، وموازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان[312]، وغيرها من الموازنات التي تفيد كثيرا في توضيح المعنى وتثبيته في ذهن القارئ.

[307] نفس المرجع السابق، ص56

[308] نفس المرجع السابق، ص70

[309] نفس المرجع السابق، ص248

[310] نفس المرجع السابق، المجلد الثامن - الجزء الخامس عشر - ص260.

[311] نفس المرجع السابق، المجلد الحادي عشر - الجزء الثاني و العشرون - ص 22

[312] نفس المرجع السابق المجلد 8، الجزء 16، ص139.

8- اختيار العناوين:

ومن شواهد الإبداع الظاهرة لدى الشيخ طنطاوي اختياره الموفق للعناوين داخل كتابه سواء في ذلك العناوين الرئيسية أم العناوين الجانبية،عند مطالعة تفسير الشيخ من أوله إلى آخره، تبرز عناوين جذابة ومشوّقة تشد القارئ إليها، ولها علاقة مباشرة بحياة الناس وواقعهم، وهذه بعض العناوين على سبيل المثال لا الحصر:

الحجر في الجبل نبع منه الماء[313]

العجائب التي تظهر على أيدي الصلحاء[314]

النمل في قريته: هندسة عجيبة[315]

انحطاط التعاليم في بلاد الاسلام[316]

التجاء العالم إلى أوروبا ورجوعه إليه ثانية[317]

عجائب عين النملة وغرائبها[318]

هذه سطور الكائنات[319]

الاستقلال والحرية في الآراء[320]

---

[313] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسيرالقرآن الكريم، الجزء 10، ص159.

[314] المرجع السابق، الجزء 9، ص189.

[315] المرجع السابق، الجزء 10، ص141.

[316] المرجع السابق، الجزء 10، ص188.

[317] المرجع السابق، الجزء 10، ص189.

[318] المرجع السابق، الجزء 13، ص175

[319] المرجع السابق، الجزء 15، ص106.

تقسيم الصلاح وكيف يكون[321]

ولا شك أن هذه العناوين المميّزة تحفز القارئ على سرعة قراءتها والتعرّف إلى محتوياتها.

[320] المرجع السابق ، الجزء 16، ص140.

[321] المرجع السابق ، الجزء 10، ص283

9- تقسيم السور والآيات:

ومن شواهد الإبداع لدى الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره ذلك النهج الذي سلكه في تقسيم تفسير سور القرآن الكريم حيث جعل الجوهرة بدل الباب أو الفصل.

وقد قال الشيخ في ذلك:«الجواهر هي تلك التي تتولد في الصدف الغائص في قاع البحر، تلك الجواهر أغلى ما في البحار وكذلك هذه المعاني التي تبرزها في هذا الكتاب ينبغ بها عقول وعقول، و تصبح تلك العقول المشرقة نسبتها إلى بقية العقول في الأرض كنسبة الجوهر في صدفه إلى بقية ما في البحار من العوالم البحرية، بل هذه الطائفة في الأرض تشرق عليها العلوم و تتجلى في أفئدتها و تكون تلك الأفئدة أشبه بالجوهرة من حيث التلألؤ و الجمال والإشراق»[322]

ولأن الجواهر تحتاج إلى الغوص و البحث عنها فكذلك الحقائق التي يبرزها الشيخ في هذا التفسير تكون بحاجة إلى البحث و الغوص وراءها لكشفها وإبرازها للانتفاع والحقيقة أن هذا التقسيم بهذا الشكل من إبداع الشيخ وحده ولم يسبقه أحد إليه.

10- الإبداع الشعري

ومن شواهد الإبداع الواضحة عند الشيخ طنطاوي جوهري في مؤلفاته بصفة عامة وتفسيره صفة خاصة إنتاجه الشعري، والحقيقة أنّ الشيخ طنطاوي جوهري كان يمتلك موهبة جيدة في قول الشعر، فقد وهبه الله تعالى قدرةً خاصة في اللغة العربية، وكان لديه

[322] المرجع السابق،المجلد الثالث عشر، الجزء السادس و عشرون - ص١٨

مخزون كبير من المفردات اللغوية التي كان يستعين بها في شرح آية من الآيات أو توضيح معنى من المعاني، كما أنعم الله عليه بأحاسيس مرهفة ومشاعر رقيقة، إذ نشأ في أحضان الريف بما يمتاز به من خضرةٍ،ونشأ في بيت محب وفي أسرة طيبة، فقد ساعد كل هذا على أن يبدع شعرا يمتع الأحاسيس ويرقى بالمشاعر ويشحذ الهمم ويدعو العقل إلى التفكير والتأمل.

ولم يقتصر إبداع الشيخ طنطاوي جوهري الشعري على الأشعار التي قالها فقط وإنما تعداه إلى ترجمة الشعر الأجنبي وخاصة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية نظما، وهو أمر ليس بالهين بل يكاد يفوق قرض الشعر صعوبة ودقة، فالشاعر حين ينظم فكرة من إبداع يرتبط بهذه الفكرة معنى، حين يترجم الشعر من لغة أجنبية إلى عربية نظما يتطلب بالإضافة إلى إجادة لغة أجنبية جادة تامة ومعرفة أسرارها وبيانها تفاعلا مع الشاعر الأصلي ومع فكره للالتزام بما قال، وهو ما لا يتيسر للكثيرين.

لقد درس الشيخ طنطاوي جوهري اللغة الإنجليزية بنفسه وعكف على تعلمها وحرص على الاختلاط بكبار الإنجليز، وترجم بعض مؤلفاتهم النثرية، كما ترجم بعض أعمال شعراء الإنجليز إلى العربية نظما، وذلك ما يتجلّى متفرقًا في ثنايا تفسيره، وعلى سبيل المثال ترجم بعض أشعار الشاعر الإنجليزي "ترنش" في مجال حديثه عن الأغنياء و الفقراءتحت عنوان "أيذوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء":

«قوم صفت الدنيا لهم وسماؤهم صحو عجب

فيها شمس وبها قمر لم تحجبهم عنها حجب

فإذا ما أغبر بأفقهم مقدار الظفر له غضبوا

وفريق عاش ودهرهم ليل فيه السود النوب

فإذا لمحوا من بارقة فرحوا جذلا وبهم طرب

هذا مثل فيه عظة لذوي التوفيق إذا ضربوا

فانظر زمراً سكنوا مصراً وبنوا قصراً و لهم ذهب

ولهم نعم فيها نعم فإذا راحت فلها لجب

يشكون الدهر و ما نصبوا إن شاكهم وبر صخبوا

فكأن الفضل بما طلبوا معا من عليهم حرب

وكأن المال جهنمهم وثراء المال لهم عطب

وترى رهطا سكنوا الأك واخفذا شعر هذا قصب

وحياتهم في مخمصة ومعيشتهم أبدا وصب»[323]

ومن لمحة سريعة على هذه الأشعار يتضح مدى ما يتمتع به الشيخ طنطاوي جوهري من مقدرة على توصيل المعنى في أشعار جيدة ترتفع في بعضها إلى مستوى شعري رفيع. مثلما نلمسه في البيتين الأولين وفي أبيات كثيرة في المنظومة التي جاءت في شكل شعر عمودي ذي

[323] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 10، دار الكتب العلمية، 2016م،ص168-169.

الروي المتفق، وله ترجمة أخرى منظومة من شعر الإنجليزي "وليم وتون" أوردها تحت عنوان "وصف السعداء في الدنيا"، وهي أيضا شعر عمودي يتفق في قافيته وجيد المستوى يقول:

«ألا حبذا من عاش في الناس ألمعاً ذكي فؤاد لم يكن قط إمعه

يصول بسيف الحق والحق أبلج إذا اضطرب الأهواء في كل مجمعه

ولميك عبدا طائعاً كل شهوة إلى الموت تاقت نفسه وهو في دعه

فلا أوثقته شهوة بوثاقها إلى هذه الدنيا ولا المال أطمعه

ولم يغبط القوم الذين سمت بهم مصادقة أو يستهانوا مع الضعه

ما غره مدح ولا شرع واضح ولكن صوت العدل في القلب أقنعه

فيأوي إلى الركن الشديد ضميره فننزه تاريخ الحياة وأبدعه

وصار كفاف العيش لا الخب طاعم لديه ولا الطاغي إذا رام ضعضعه

يصليعلى حين العشيات والضحى لوجه جلال الله لا وجه صفعه

ويوم فراغ النفس تلقاه قارئا كتاب نبي أو مسامر من معه

فهذا هو الحر الذي عاش مسعدا فلا خوف يخشاه ولا حرس أوقعه»[324]

[324] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 10، دار الكتب العلمية، 2016م،ص169.

لقد حاول الشيخ قدر استطاعته أن يجعل من الشعر معينا على فهم المعنى الذي يقصد توصيله إلى القارئ سواء في تفسيره أو في كتبه الأخرى، وقد نجح الشيخ في حد كبير في توظيف هذه الأشعار سواء كانت من نبات أفكاره أو مما ترجمه لغيره.

11- الثروة اللغوية:

الدارس لأشعار الشيخ طنطاوي المترجمة يلمس الثراء الكبير في الألفاظ والتمكن من العروض الشعري، ومن الطبيعي أن أشعار الشيخ، سواء كانت من نظمه أو مما اقتبسه عن غيره، لا ترقى إلى مصاف إبداع كبار الشعراء، غير أنّها تُصنَّف في الحدّ الأدنى ضمن المستوى المتوسط أو فوق المتوسط. ومع ذلك فإن ما أبدعه من خالص فكره جاء بمستوى رفيع في المعاني، وثراء في الموسيقى الشعرية، وقوة في العاطفة، وخير مثال على ذلك أنشودة الوطنية التي أوردها في آخر كتابه "نهضة الأمة" ص ٢١٣ تحت عنوان "أنشودة وطنية" وجاءت في قالب مزدوج أو رباعي، ضمن منظومة مكوَّنة من اثنين وأربعين مقطعًا شعريًا.

يقول الشيخ طنطاوي:

أنشودة وطنية

يا أيها المصري قم وخذ الحذار ولا تنم

إنا سنقرنك الحكم إنا نريد بيانا

قوموا إلى رفع العلم وخذوا بقوة القلم

ولكم رجوت لكم وكم أن تلحقوا اليابانا

فابكوا على مجد سلف واستنهضوا همم الخلف[325]

ومن شعر طنطاوي الذي وظفه في تفسير قوله تعالى:

«أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُم كَيْفَ بَنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِي وَأَنبَتْنَا فِيهَا من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب»[326]

ما جاء في صورة المنظومة في جمال الطبيعة من واحد وثمانين بيتا تحت عناوين متعددة تتعلق بالموضوع مثل قوله في عدد النجوم وأشكال النجوم مجتمعة وعجائب الأرض وغيرها من العناوين التي اختارها لهذه المنظومة الطويلة ، وهذا نموذج منها:

فصل في الجبال والسحاب

"ألا يا رجال العلم دونكم اسمعوا مقالي و لاتنأوا بجنب لغفلة

ألا فانظروا هذي الجبال شوامخا عظائم كانت من قرون قديمة

ملونة حمراً و بيضاً لوامعاً وصفرا و سوداً كالسحاب الرفيعة

مخازن ماء للبرايا تسوقه لها السحب أمطار على كل بقعة

فمن ذلك النيل السعيد وصنوه فرات جرى حتى تلاقي بدجلة

وكنغو وزنبيرا وليس بعدها سوى علم تخطيط ورسم خريطة"[327]

---

[325] طنطاوي جوهري، *نهضة الأمة*، مصطفى البابي الحلبي، مصر،١٩٣٤، ص213-217

[326] سورة ق: الآيات6-8

[327] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 10، دار الكتب العلمية، 2016م،ص115

ومن شعره كذلك ما جاء في ذيل حديثه عند ذي القرنين منظومة تضم عشر مواعظ تحت عناوين عشر هي:

«الحكمة الأولى: في الحمار حامل الملح والحمار حامل الأسفنج

الحكمة الثانية: في شجرة البلوط والسنبلة

الحكمة الثالثة: في البغلة

الحكمة الرابعة: في الضفادع وزواج الشمس

الحكمة الخامسة: حكاية الكلب الذي ترك الرغيف واتبع خياله

الحكمةالسادسة : في الشيخ وحماره

الحكمة السابعة: حكاية الرجل والبرغوث

الحكمة الثامنة: حكاية الثعبان والمبرد

الحمكة التاسعة: حكاية الديك والصقر

الحكمة العاشرة: حكاية الديك والصقر»[328]

وهي منظومة فكاهية تحمل بداخلها قدرا كبيرا من الفكاهة ولكن بداخلها من الحكمة كثير وهذا نموذج منها:

الحكمة الأولى: في الحمار حامل الملح و الحمار حامل السفنج

[328] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 15، دار الكتب العلمية، 2016م،ص156-159

«حمار بولاق له حمير وفي البلاد شعله كثير

حمل جحشا حمل ملح قاسي وكان لا يرثي ولا يواسي

وحمل الآخر بالسفنج وقال سبحان الإله المنجي

فحامل السفنج صار يسعى وحامل الملح النهيق قطعا

وحين أقبل على المعادي ونزل الماء ببطن الوادي

امتلأ السفنج صار مثقلا والملح حين ذاب خف محملا

فغطس الحامل للسفنج كغطسة البذرة في النارنج

ولفت الماء عليه بالكسا ففارق الدنيا وعاف النفسا

وطلع الملاح و هو ينهق وهكذا رب أسير يعتق

فاصبر على أهوالها ولا ضجر فربما فاز الفتى إذا صبر

وربما جاءك بعد اليأس روح بلا كد ولا التماس»[329]

جاءت المنظومة في قالب المثنوي، أي أن كل بيت تتفق شطرتاه في القافية دون ارتباط مباشر بما قبله أو بعده، بينما تتوحد المنظومة بأكملها في المعنى العام.

نظمطنطاوي فيقوالب شعرية مختلفة وفي مواضع متعددة من التفسير ، مثلما جاء تحت عنوان "حفظ الصحة في فصل الصيف" والتي قال فيها:

[329] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 15، دار الكتب العلمية، 2016م،ص156-157

«أرجوزة في الطب للإخوان نظمتها أيام الامتحان

من بعد ما قرأتها تكرارا لكي أزيد فهمها استبصارا

ليحفظوا صحتهم في الصيف فحرّه مثل غرار السيف

للصيفحر يلفحالوجوها ويزهق النفوس إذ يغزوها

والشمس مهما قتلت جرثوما فإنها تحيي سواء دوما»[330]

والحقيقة أنّ هذا الإبداع الشعري للشيخ طنطاوي وإن لم يجعله في صفوف كبار الشعراء إلا أنه ساهم في إضافة مسحة أدبية إلى كتبه بصفة عامة وإلى تفسيره بصفة خاصة بما زاد في تشوق القارئ وجاذبية الكتاب.

12- **توظيفه للأساليب البلاغية التي تثير العاطفة**

فالقاري، ينتقل من سؤال إلى تعجب إلى خطاب إلى دعاء إلى إنكار إلى آخر ما هنا الله من أساليب التشويق والجذب، حتى إن القارئ في كثير من الأحيان يشعر كأنه في جلسة مباشرة. مع طنطاري بحادثة ويسامره ويهمس في أذنه، فكان يكثر من استخدام عبارات المخاطبة كالنداء: إعلم، قد قلت لك، علمت فيما سبق، وغيرها

هذه الأساليب أبرز سمات العرض في تفسير "الجواهر"، وهي تُظهِر بوضوح الجهد الكبير الذي بذله طنطاوي جوهري في تقديم تفسيره بهذه الصورة المتميزة. ويبدو أنه منح جانب الأسلوب عناية خاصة،ومن نموذجها:

[330] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 4، دار الكتب العلمية، 2016م،ص186

يقول طنطاوي: «قل لي أيها الحبيب: ما الذي أدرك هذه الكليات العلمية، قال : نفسي. قلت: فهل لهذا نظير في العالم المحسوس؟ قال: نعم،العين والصورة الواصلة إليها بضوء الشمس من شجرة الورد مثلاً، فالعين نظير نفسي، وقواعد الحساب والهندسة كصورة شجرة الورد الواصلة إلى عيني من ضوء الشمس. قلت: حسن جداً، فلنرق في البحث إلى درجة أخرى. فقال: إني إلى ذلك وامق، فقلت: ما الذي كان السبب الظاهر بإذن الخالق في نمو الشجرة؟ قال: الشمس، قلت: وما الذي كان السبب في أنك رأيتها؟ قال: الشمس أيضاً، فقلت: إذن فالشمس سبب الظهور شجرة الورد وسبب لرؤيتك إياها. قال: نعم. قل : حياك الله وبياك، فبين لي ذلك، فقال: الشمس تضيء ولها حرارة، والحرارة سبب البخار، وجري الهواء والبخار يحمله السحاب، فالبخار والهواء معاً سببهما الظاهري الشمس، والسحاب يكون مطراً. وبالمطر بإذن الله ،كان النبات أيضاً تقدم في سورة « يس» أن الورق المرسوم هناك في داخله مواد ملونة عائمة في سواحل هناك، وهذه المواد الملونة تساعدها أضواء الشمس على تناول المواد الفحمية من الهواء فينمو النبات»[331]

يبدو أن شخصية الشيخ طنطاوي بوصفه معلّمًا قد انعكست بشكل واضح على منهجه في التفسير، إذ امتلك خبرة في ميدان التدريس، وتميّز بقدرة ملحوظة على الإلقاء والتأثير في نفوس طلابه. وقد أسهمت هذه الخلفية التعليمية في تشكيل أسلوبه التفسيري، حيث يظهر التفسير وكأنه درس مبسط يُقدَّم للمتلقي بأسلوب تعليمي مباشر، حتى إن القارئ ليشعر أنه أمام معلم يشرح له درسا من الدروس، فيخاطبه عن قرب، وييسر له فهم المادة

[331] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 20، المجلد العاشر، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 263

العلمية وشرحها، موضحاً له إياها بالصور والرسوم اللازمة، ثم يجيب عن أسئلة السائل بطريق سهل واضح شائق.

من المقبول أن يستعين المفسر ببعض الأساليب الأدبية المناسبة لتقريب معاني كتاب الله إلى أفهام المتلقين، غير أن الإفراط في استخدام هذه الأساليب قد يُعد موضع نقد، لاسيما إذا تجاوزت حدّ المعقول. ويُلاحظ أن الشيخ طنطاوي قد بالغ في هذا الجانب، خصوصًا في كثرة تضمين التفسير بالصور والرسوم التوضيحية، وهو ما لا ينسجم مع ما للقرآن الكريم وتفسيره من قداسة وهيبة.

13- اعتماده على آراء الباحثين الغربيين في التفسير

من خلال تتبع منهج الشيخ في عرضه للأفكار وتأملاته المعرفية، يُلاحَظ اعتماده المتكرر على الاستشهاد بقصص علمية وأقوال لعلماء ومخترعين، وذلك في سياقات متعددة، ولا سيّما عند تناوله قضايا تتصل بإثبات وجود الخالق والديانات. وتُسهم هذه الاستشهادات في دعم رؤيته الفكرية عند قوله تعالى: "﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾"[332]،بقول الأستاذ هكسلي:«العلم الطبيعي الصحيح والدين الصحيح توأمان، إذا انفصل أحدهما عن الآخر، خرا صريعين وماتا رغم أنفهما»[333]

[332] سورة البقرة ، الآية 21

[333] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، المجلد الأول، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 42.

«قال سبنسر: متى اتفق العلم والدين نموا نموًا صحيحًا، فالدين ينمو بامتداد جذوره وتغذية أصوله، في رياض العلم الصحيح، والعلم الصحيح يؤيده الدين ويشد أزره، فيكون قويًّا متينًا»[334]

كما يلاحظ أنّ الشيخ طنطاوي رحمه الله يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، إذ يقرن بين ما يورده من آيات الكتاب العزيز وبعض ما ورد في كتابات المفكرين الغربيين (الفرنجة).

[334] المرجع السابق ص 42.

14-الاستطراد

يعدّ الاستطراد من الأساليب البلاغية المعروفة في النصوص العربية، ويقصد به الانتقال المؤقت من الموضوع الرئيس إلى موضوع فرعي له ارتباط معنوي، ثم العودة إلى الأصل. وقد بيّن الجاحظ أنّ الاستطراد "قد يُستَطرَد من بعض المعاني لمعانٍ أخرى ليست من مقصود القول، لكنها تحسن في السياق[335]

وقد وظّف كثير من المفسرين هذا الأسلوب في شروحاتهم، لا سيما في تناولهم للآيات ذات الأبعاد الفكرية أو الشرعية أو الكونية، كما فعل الرازي في استطراداته العقلية، والقرطبي في مباحثه الفقهية. إلاّ أنّ الشيخ طنطاوي جوهري قدّم نموذجا فريدا في هذا الباب؛ إذ استعمل الاستطراد لإدخال العلوم الطبيعية ضمن التفسير، فمثّل بذلك تيار "الإعجاز العلمي" في بداياته.

الاستطراد في التفسير ليس مجرد خروج عن الموضوع، بل هو انتقال مؤقت يخدم غرضا تعليميا أو تربويا أو عقديا أو اجتماعيا، وله فوائد متعددة. فهو أولًا يوسّع الفهم ويعمّق المعنى، حيث يضيف أبعادا معرفية إلى التفسير ويُبرز ترابط المعاني بين الآيات والمواضيع المختلفة. كما يُسهم في ربط القرآن بالواقع، إذ يُنزّل المفسر المعاني القرآنية على أحوال الناس ومشكلاتهم المعاصرة. ومن فوائده كذلك التوجيه التربوي والأخلاقي، إذ يُستخدم لتربية النفس وتعزيز القيم الإسلامية من خلال الدروس والمواعظ. وقد يكون الاستطراد وسيلة للرد على الشبهات أو توضيح العقائد، خاصة إذا كان في مواجهة فهم خاطئ أو

[335] عمرو بن بحر،البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج1، 1968، ص63

قضية فكرية. وأخيرا، يفيد في عرض أقوال العلماء وتوجيهها، من خلال بيان اختلافاتهم وتوضيح الرأي الراجح بدليله، مما يُثري التفسير ويجعله أكثر شمولًا وفائدة.

في سياق الآيات العظيمة التي تدعو الإنسان إلى النظر والتأمل في مخلوقات الله، يقول تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ .وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ"[336]، يستعرض طنطاوي جوهري قدرة الله وعجائب خلقه في الكون، بداية من حركة النور بين الأرض والكواكب، ومرورًا بجبال الأرض وتنوع تكوينها، بما فيها الصخور والنباتات والثلوج والبراكين، وصولًا إلى الحيوانات والطيور، لتوضيح شمولية الكون وعظمته. ويبين طنطاوي تقسيم الأرض إلى أربعة أقسام رئيسية: البراري والخلوات، البحار والأنهار، الجبال والتلال، والمراع والقرى، مشيرًا إلى أن هذه الأقسام تتغير بتأثير الحركات الفلكية والزلازل والبراكين على مدار ملايين السنين. ويقارن بين التغيرات الطبيعية للأرض وحركة الأمم والدول، موضحًا أن الكون في حركة مستمرة، وأن هذه الظواهر الطبيعية تمثل علومًا واسعة لم يكن يعرفها كثير من أهل الشرق، خاصة الأمة الإسلامية، مما يحث على التدبر والتفكر في خلق الله.[337]

وهنا لطيفة بديعة وهي ما وقف عليه طنطاوي جوهري من عجائب الجبال وأوصافها، مما يُعين على تدبر الآية الكريمة وفهم دلالاتها، وذلك من خلال تقسيم بديع لأنواع الجبال بحسب خصائصها الطبيعية والبيئية، يتوسع طنطاوي جوهري في هذا الاستطراد في وصف الجبال وخصائصها العجيبة، مقسمًا إياها إلى أربعة أقسام رئيسية:

---

[336] سورة الغاشية، الآية 17-20

[337] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 25، المجلد 13، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 162

الجبال الصخرية: مثل جبال تهامة، صلبة لا تنبت شيئًا إلا القليل.

الجبال ذات النبات: صخور رخوة، تحتوي على ترب وطحالب وأشجار، مثل جبال فلسطين وطبرستان.

جبال النار: يظهر فيها دخان متصاعد من باطن الأرض، وهي بمثابة كرة نارية ذات قشرة صلبة، تتعلق بظواهر البراكين والزلازل.

الجبال ذات الهواء اللطيف: بعضها تهب فيه الرياح اللينة أحيانًا مثل جبل الثلج بدمشق، وبعضها تهب فيه الرياح دائمًا مثل جبال باميان، نتيجة ذوبان الثلج أو التكوين الطبيعي للهواء.

ويضيف طنطاوي أن هذه الجبال لم تُخلق بلا حكمة، وأن تفكر العقلاء في عجائبها يزيد إدراك الإنسان لجمال الكون وعظمة الخلق، لذلك جعل الاستطراد في خمسة فصول: تكوين الجبال، زوالها، وصف الجبال ذات الأشجار والثلج، وصف جبال النار، واعتبار العقلاء بعجائب الجبال.[338]

هذا المثال يُظهر كيف يمكن للمفسر أن ينتقل من تفسير لفظ قرآني مثل "الجبال" إلى استطراد علمي ومعرفي واسع، يجمع بين بيان الحقيقة، والتأمل في الخلق. لكن الاستطراد في كتب التفسير يصرف القاري عن الهداية الالهية. إن موضوعات الجواهر المنشعبة، وكثرة ذكر العلوم فيه، تجعل ذهن القارئ يتشلت في قضايا لا يدري أولها من آخرها، مما

[338] طنطاوي جوهري،الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 25، المجلد 13، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص 163،164

يعرفه عن الإفادة من منهج القرآن في تهذيب النفوس وتربيتها، ورغم أن كثيرًا من كتب التفسير السابقة جاءت في مجلدات موسعة تتضمّن شروحًا تفصيلية للآيات، متأثرة بعرض الآثار المروية، أو بالخوض في القضايا اللغوية والبلاغية، أو توجيه القراءات، فإن الإسهاب الذي يميّز تفسير *الجواهر* لا يندرج ضمن هذا الإطار، بل يتجاوز ذلك إلى استطرادات علمية وفكرية بعيدة عن مقتضى النص التفسيري المباشر، بعيدة غالباً عن مضمون الآيات، بل أحياناً لا تكون هناك أدنى صلة. يعجب القاري حينما يطالع في تفسير قوله تعالى "وَسِرَاجًا مُّنِيرًا"[339] كلاما طويلا عن(حالة العميان في مصر) في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وغيرها[340]

ومن المهم أن تذكر أنه من الأمور التي ساهمت في إطالة تفسير الجواهر ، كثرة النقل ن صفحة في من الكتب والمجلات. فعلى سبيل المثال نقل طنطاوي من كتاب(تاريخ التمدن الإسلامي) ثلاثين صفحة عن أحوال الخلفاء وترفهم[341]من كتاب (إحياء علوم الدين) أكثر من عشرين صفحة من آفات اللسان.[342]

كأن الشيخ يسطر كل ما يخطر على باله أو يعثر عليه من موضوعات ، سواء ذكر العلوم بمناسبة وبغير مناسبة، وكثرة النقل من الكتب والخوض في موضوعات جانبية يسميها أحياناً مسامرات، كل ذلك كان له أثر عكسي على نفس القارئ،الذي سيصاب بالملل.

---

[339] سورة الأحزاب، الآية 46

[340] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 16، 1347 هـ ، ص 105-107

[341] المرجع السابق، ج 21، ص 139-171

[342] المرجع السابق ، ج 22، ص 203-228

الباب الخامس:

دراسة منهجية للتفسير العلمي للآيات الكونية في تفسير "الجواهر" للشيخ طنطاوي جوهري

تمهيد

يتناول هذا الباب دراسة منهجية لجهود الشيخ طنطاوي جوهري في تفسير الآيات الكونية، من خلال تقسيمها إلى أربعة فصول رئيسة تسلّط الضوء على مختلف مظاهر الكون كما وردت في القرآن الكريم، وتكشف عن المنهج العلمي الذي اتّبعه المؤلف في شرحها، ومستخدمًا الصور والرسوم التوضيحية لتقريب المعاني وربط النصوص القرآنية.

ينطلق هذا الفصل من الفضاء الأعلى، متناولًا ما ورد في تفسير الجواهر حول السموات، الشمس، القمر، النجوم، السحاب، والمطر، حيث يبرز المفسّر عظمة الخالق في ضبط حركة الأفلاك وتناسقها. ثم ينتقل البحث من السماء إلى الأرض، حيث تتناول هذه المرحلة تفسير الآيات المتعلقة بالأرض، والجبال، والزلازل، والبحار، والنباتات، ويعتمد على صور لبيان الإعجاز العلمي.

وفي الفصل الثالث، يناقش تفسير آيات الرياح، وتعاقب الليل والنهار، ويُختتم هذا الباب بالنظر في التفسير العلمي للآيات المرتبطة بالحياة والكائنات الحية، حيث يُقسّم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام: خلق الإنسان، عالم الحيوان، وعالم الطيور. يكشف هذا الباب عن منهج شامل ومتكامل اتّبعه الشيخ طنطاوي جوهري في تقديم التفسير العلمي للآيات الكونية، والذي لم يقتصر على الشرح المجرد، بل استعان فيه بالصور.

الفصل الأول: الآيات الكونية الأرضية

- نشأة الأرض
- الرواسي في الأرض

- كروية الأرض
- الحياة في الأرض
- تنوع خيرات الأرض
- الزلازل والبراكين
- أنواع الجبال
- علم البحار
- الأمواج الداخلية
- علم النبات

الفصل الثاني: السماء وظواهرها الكونية

- قضية السماء
- سبع السموات
- الصعود إلى السماء
- ظواهر المطر والسحاب
- دوران الشمس
- القمر
- منازل القمر
- الشمس والقمر
- النجوم

الفصل الثالث :الظواهر الطبيعية

- الرياح ودورها في التلقيح

- اختلاف الليل والنهار

الفصل الرابع : عالم الأحياء في القرآن الكريم

- خلق الإنسان
- عالم الأنعام
- عالم الطيور
- عالم الحشرات

الفصل الأول: الآيات الكونية الأرضية

نشأة الأرض

قال الله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَهُما»[343]،يقول طنطاوي جوهري في تفسير هذه الآية: "إنّ الشمس كانت كرة نارية عظيمة،تدور منذ ملايين السنين،وكانت الأرض وسائر السيارات(الكواكب) وتوابعها جزءًا منها. ثم انفصلت أرضنا، كما انفصل غيرها من الكواكب،عن خط الاستواء الشمسي نتيجةً لسرعة دوران الشمس حول نفسها، فتباعدت الأرض والكواكب الأخرى عنها."ويقول أيضًا: "فثبت أنّ أرضنا مشتقة من الشمس، وأنّ الشمس بدورها من شمس أكبر منها، وهذه الأخيرة من شمس أعظم منها"[344]

يستخلص من هذا القول أنّ الشيخ جوهري يرى نشأة الأجرام السماوية من نواة نارية واحدة، هي الشمس،التي تفرعت عنها الأرض وسائر الكواكب. وهذا التصور يُعد مقاربًا في جوهره لما تُعرف اليوم بـ"نظرية الانفجار العظيم"(Big Bang Theory)التي تفترض أنّ الكون نشأ من كتلة واحدة شديدة الكثافة والحرارة، انفجرت وتفرعت عنها الأجرام السماوية شيئًا فشيئًا،وفق نظام دقيق وتوسع مستمر. استعمل طنطاوي تعبيرًا قريبًا جدًا لما يُعرف حديثًا بنظرية الانفجار العظيم، وإن لم يسمّها بهذا الاسم؛ بل فسّرها بلغة العلم المتاحة

[343] سورة الأنبياء، الآية 30

[344] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*،1347هـ، الجزء 10، ص 189

في زمنه مع الربط بآيات الكون. وهنا يُلاحظ أنّ طنطاوي رحمه الله يستند في تفسير الآية إلى علوم ومعارف عصره، التي تؤكد صحة معجزة القرآن.

الرواسي في الأرض

«وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»[345]، يقدم طنطاوي في تفسيره أحدث النظريات حول الجبال والبراكين وشرح أسباب اندلاع البراكين،مبينا أن هذه الآية تدل على إعجاز الله في الجبال، فهي تشير إلى ثبات الجبال واستقرارها وعدم ميلها أو اضطرابها بسهولة. ويؤكد طنطاوي جوهري في تفسيره أن الأرض كانت في الأصل كرة نارية ملتهبة، ثم بردت قشرتها الخارجية لتصبح صلبة وتشكل طبقة صوانية تحمي باطن الأرض. وما زالت الأرض تخرج من باطنها نارًا وغازات عبر البراكين، التي تعمل كأفواه تتنفس بها الأرض. وبدون هذه القشرة الصلبة، لكانت الأرض قد انفجرت بالكامل، أما الجبال فتثبت فوقها، وتنمو بعض طبقاتها، وتصبح بمثابة حماية لما تحتها من الكرة النارية. وهذا التفسير العلمي يعكس دقة اللفظ القرآني ويكشف عن حكمة عظيمة في خلق الله"[346]

يفسّر الشيخ طنطاوي جوهري الآية الكريمة بطرحٍ علميّ، مستفيدًا من مفاهيم علوم الأرض، حيث يشير إلى أنّ الجبال تؤدي وظيفةً محورية في حفظ توازن الأرض أثناء دورانها حول محورها، وكذلك خلال حركتها المدارية حول الشمس، واصطحابها للشمس في دورانها

[345] سورة الأنبياء، الآية 31

[346] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*،1347هـ، الجزء 10، ص 190

حول مركز المجرة، غير أنّه لم يتناول بالدقة دلالة فعل "أرسى" الوارد في النص القرآني، مكتفيًا بفهمه على المستوى اللغوي في معنى"التثبيت"،دون الالتفات إلى المعنى الدقيق الذي اكتشفته العلوم الحديثة.

كروية الأرض

في تفسير قول الله تعالى: «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ»[347]، يبرز الشيخ طنطاوي جوهري بعدا علميا بيانيا دقيقا، حيث يوضح أنّ لفظ "التكوير" في اللغة يعني اللفّ، كما يُقال: "كوّر العمامة على الرأس"، ثم يشبّه تتابع الليل والنهار بتتابع أكوار العمامة على الرأس، مشيرًا إلى أنّ هذا من أعجب الأساليب التي ترشد إلى كروية الأرض. ويرى أنّ دوران الأرض حول نفسها هو السبب في تعاقب الليل والنهار، وهو ما تفهمه الإشارة القرآنية من خلال هذا التعبير البليغ. ويشبّه الأرض بالرأس، والظلام والضياء بأطراف العمامة التي تلتف عليها باستمرار، مما يدل على انسجام النص القرآني مع الحقيقة الفلكية. ويخلص جوهري إلى أنّ هذه الآية ترشد أولا إلى كروية الأرض، وثانيا ترمز إلى دورانها حول محورها، في مشهد يجمع بين البيان اللغوي والإعجاز العلمي في أبهى صوره.[348]

[347] سورة الزمر،الآية 5

[348] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*،2016م، الجزء 18، ص 183

الحياة في الأرض

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[349]

يقول طنطاوي: "إنّ الحياة شاخصة أمامنا في كل ما محيط بناء فهذه الأوراق والحطب والوقود وكل ما يحيط بنا تعلق به مواد لا نهاية لها، وهذه المواد الدقيقة تحيا إذا جاءها الماء وتفارق الحياة إذا تخلى عنها، إذن الموت والحياة فى المواد المحيطة بنا كالنوم واليقظة، فموتها وحياتها أشبه شيء بلوم النحل مدة الشتاء واستيقاظها فى زمن الربيع، ولما نظرنا في أمر النبات وأخذنا نستقرى أنواعه وأجناسه وجدناه بحساب إذ رأيناه موضوعاً بدقة ، لأنه جعل الغناء الحيوان والإنسان"[350]

يلاحظ في تفسير طنطاوي جوهري لهذه الآية أنّه يركّز على التفسير اللفظي دون التوسّع في دلالة الإعجاز العلمي المرتبطة بظاهرة اهتزاز التربة وربوها بعد نزول المطر. ويُحتمل أنّ ذلك يرجع إلى محدودية المعلومات العلمية المتاحة في عصره حول هذه الظاهرة الدقيقة، على الرغم من أنّ الآية تُصرّح بوضوح بأن الاهتزاز والربو يحدثان للتربة نفسها نتيجة نزول الماء.

[349] سورة فصلت، الآية 39

[350] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، 1347هـ، الجزء 19، ص 222

تنوع خيرات الأرض

في تفسير لقول الله تعالى: "وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ"،[351] يستعرض الشيخ طنطاوي جوهري إعجاز خلق الأرض وتنوع خيراتها، مستدلًا بثلاثة نماذج من المعادن والصناعات المرتبطة بها:

1. الفحم الحجري: يرى الشيخ أن الفحم، رغم ظلمته، يحمل ضوء الشمس المختزن من غابات قديمة دفنت تحت الأرض. يقول:" فإن في الفحم الضدين: الظلمة والنور"[352]

وهو يُظهر فلسفة قرآنية عميقة في الجمع بين أضداد الطبيعة، مبينًا كيف أن "الماس" الشفاف ما هو إلا صورة مكرّمة من نفس مادة الفحم، مما يربط الخلق بالإعجاز والتنوع في أصلٍ واحد.

2. البلور الصخري (الكيروسين): يفصّل الشيخ أنّ هذا المعدن النادر يأتي بألوان مختلفة (بنفسجي، وردي، أصفر)، ويذكر وجوده في جبل الطور، مما يعكس ثراء الأرض وارتباطه بالمكان المقدّس، ويتجلى فيه جمال الخلق ودقته الفيزيائية.[353]

3. يرى طنطاوي أنّ الزجاج من أبرز منجزات الإنسان، لأنه ساعد في تطوير المجهر.[354]

طنطاوي يظهر أنّ التنوع الجيولوجي من آيات الله في الأرض، داعيًا المسلمين للاهتمام بالعلوم الطبيعية الحديثة بوصفها وسيلة لفهم الإعجاز القرآني.

---

[351] سورة الرعد، الآية 4

[352] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم ،1347هـ، الجزء 7،ص85

[353] المرجع السابق، ص 86

[354] المرجع السابق، ص87

زلازل والبراكين

«فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[355]

في تفسير الآيتين الكريمتين،وجّه الشيخ طنطاوي جوهري أنظار القرّاء إلى تجليات كبرياء الله عز وجل في الكون، مركزًا على الظواهر الطبيعية الكبرى مثل الزلازل والبراكين والخسوف باعتبارها دلائل محسوسة على عظمة الله وسلطانه. وقد أوضح أنّ هذه الحوادث الكونية ليست مجرد كوارث، بل مظاهر لقدرة الله وجلاله في الأرض، فهي تهز البشر لتذكرهم بعجزهم وضعفهم أمام إرادة الخالق. واستعرض جوهري النظريات العلمية المعاصرة لزمانه، موضحًا أنّ الأرض كانت في أصلها كتلة نارية، ولا يزال باطنها مشتعلًا، وأنّ الظواهر الأرضية العنيفة كالبراكين والزلازل ناتجة عن ضغط البخار والغازات داخل الأرض، ما يؤدي إلى اهتزاز القشرة الأرضية وانفجار الصخور والحمم. وذكر نماذج واقعية من الكوارث الزلزالية مثل زلزال غرناطة (1884)، وزلزال اليابان (1891)، وانفجار بركان كركتوا، ليؤكد أن هذه الحوادث عبرة وعظة. وفي تحليله التربوي. ويشبه جوهري براكين بمخاض المرأة الذي يولد الحياة من الألم، معتبرًا أنّ هذه الكوارث تولّد جبالًا نافعة، وتربة خصبة، وثروات طبيعية هائلة، وأنّ من وراء الدمار الظاهري حكما ورحمة إلهية.[356]

---

[355] سورة الجاثية،الآيات 36،37

[356] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 21، دار الكتب العلمية، 2016م، ص 96،97

يربط طنطاوي جوهري التحليل الاجتماعي والفكري ويقسم الناس وفقًا لمستويات وعيهم وإدراكهم للآيات الكونية،حيث يقول: «فهاهنا انقسم الناس ثلاثة أقسام: حكماء كمن يفهمون هذا التفسير، وملحدون: وهم الذين يقفون في الوسط بين بين، لا هم حكماء ولا هم عامة، وهم أغلب المتعلمين في الشرق والغرب الآن، وعامة وهم أكثر من على الأرض. والحكماء والعامة قلوبهم في راحة، والطبقة الوسطى يعيشون في ألم مبرح مبين»[357]. ومن هنا، يتضح أنّ جوهري يرى في التفسير العلمي للقرآن وسيلة عظيمة لتربية العقل البشري، لا باعتباره مجرد معرفة مادية، بل كطريق يوصل إلى الإيمان بالله.

[357] المرجع السابق،ص98

أنواع الجبال

قال الله تعالى: «وفي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ»[358]

فالجبال صارت ذا أهمية في تفسير الشيخ جوهري من وصفها وتحليلها وبيان أنواعها و أقسامها،وفوائدها. وفي هذا السياق تلقي بعض الأضواء على أقسام في تفسير هذه الآية، يقسّم الشيخ طنطاوي جوهري الجبال إلى أربعة أنواع، معتمدًا على خصائصها الطبيعية وتركيبها الجيولوجي. يصف النوع الأول بالجبال الصخرية، مثل جبال تهامة، وهي جبال ذات صخور صلدة لا تُنبت نباتًا بسبب صلابتها. أمّا النوع الثاني فهي الجبال ذات التربة الرخوة والنبات الغزير، كمثل جبال فلسطين وطبرستان، حيث تتكوّن من طين ورمل وحصى متماسكة، مما يجعلها غنية بالأشجار والحشائش .ويعرض في النوع الثالث "جبال النار" أو الجبال البركانية، والتي يعلوها الدخان ليلًا ونهارًا كما في صقلية، موضحًا تفسير القدماء القائم على وجود كهوف ومياه كبريتية، ثم يورد رأي العلماء المعاصرين الذين يرون أنّ الأرض كرة نارية بقشرة رقيقة. وأخيرًا، يشير إلى الجبال ذات الهواء اللطيف مثل جبل الثلج بدمشق ودماوند، حيث يؤدي ذوبان الثلوج إلى تصاعد أبخرة لطيفة تلطّف الجو. هذا التقسيم يظهر حرص طنطاوي على الدمج بين المعرفة العلمية والملاحظة القرآنية، واهتمامه بتفسير الظواهر الكونية في ضوء ما توفر من معارف في عصره.

[358] سورة الرعد، الآية4

«وتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ»[359]

خلال تفسير هذه الآية ذكر الشيخ جوهري حكاية عن الجنيد البغدادي رحمه الله تعالى تجعلنا أقرب إلى فهم هذه الآية، استخدم طنطاوي جوهري الحكاية كأداة توضيحية لتقريب المعاني القرآنية، وإبراز أبعاد جديدة للتفسير، تجمع بين المعنى الإيماني والمعطيات الكونية الحديثة. ففي حكايته مع السيدة الروسية "مدام لبيديف"، استشهد بقول الإمام الجنيد، لبيان تعدد دلالات الآية، ففسّرها أولًا بما يناسب مشاهد يوم القيامة، ثم بيّن إمكان فهمها علميًا على ضوء حركة الأرض والجبال ضمن النظام الكوني، إذ إنّ الجبال ليست ساكنة كما تبدو، بل تتحرك مع حركة الأرض حول محورها وحول الشمس.

يشير طنطاوي في هذا السياق إلى أنّ القرآن الكريم يحمل في ألفاظه ما يتناسب مع العصور المختلفة، ويفسَّر بحسب ما يتكشف للناس من معارف ويقينيات، ممّا يدل على مرونة النص القرآني وعمقه. كما أنّ موقف الإمام الجنيد في القصة مثّل عند طنطاوي نموذجًا لحالة الإنسان الذي يبدو ساكنًا في الظاهر، لكنه يحمل في داخله حركة وفكرا وتأملا عميقا. وهكذا تظهر هذه الحكاية كيف دمج طنطاوي بين البيان القرآني، والخبرة الإنسانية، والفهم العقلي المبني على الواقع المشاهد، لإيضاح تعدد المعاني الممكنة للآية[360].

[359] سورة النمل، الآية 88

[360] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 13، دار الكتب العلمية، 2016م، ص282-283

علم البحار

«وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا»[361]

في تفسير الاية، حاول الشيخ طنطاوي جوهري أن يوفّق بين ظاهر النص القرآني والمعرفة العلمية المتاحة في عصره، فرأى أنّ التقاء البحرين يشير إلى اختلاطٍ ما بين المياه المالحة والعذبة، واعتبر أنّ هذا الاختلاط الظاهري يتعارض مع وجود حاجز مادي حقيقي بينهما.[362]، مع أنّ الشيخ طنطاوي كان من أوائل المفسرين الذين وظّفوا المعارف الحديثة في تفسير القرآن الكريم، إلا أنّ القصور العلمي في زمانه حال دون استيعابه الكامل للبعد الفيزيائي المعقّد لآية البرزخ. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الظاهرة لم تُكتشف بشكل علمي دقيق إلا عام 1942م، أي بعد وفاته بعامين، ممّا يدل على أنّ الإعجاز القرآني يسبق الاكتشاف العلمي، ويكشف عن نفسه تدريجيا بحسب تطور المعرفة الإنسانية.

يوضح هذا المثال أن التفسير العلمي للقرآن ليس ثابتًا، بل يتطور مع تقدم أدوات الفهم والتجريب، مع احتفاظ النص القرآني بمحتواه العلمي وقدرته على الإشارة إلى الحقائق المتجددة عبر الأزمان. كما يبرز هذا المشهد كيف أنّ القرآن يبقى كتاب هداية ومعرفة، تتجلّى أسراره حين ترتقي أدوات العقل والعلم إلى مستواها.

[361] سورة الفرقان، الآية 53

[362] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 11، دار الكتب العلمية، 2016م، ص230

الأمواج الداخلية

قال الله تعالى: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ»[363]

بعد الاكتشاف في داخل البحر يتضح أن العين تحس الظلمة الكاملة أكثر من مائة متر. لم يذهب رسول الله ﷺأو أحد من الصحابة إلى داخل البحر، ولكن فهم الإنسان في العصر الحديث أنّ داخل البحر ظلمة خالدة فقط. ولكن القرآن قال بها قبل ألف وأربعمائة سنة بقوله: "أو ظلمات في بحر لجي" وإذا كانت البحر في ظلمة حاتكة دائمة يعيش أسماك البحر كلها في داخل البحر في الأعماق.

يقول طنطاوي: «إنّ البحر يكون قعره مظلما جدا بسبب غمورةالماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإذا كان فوق الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق "إذا أخرج يده" وهي أقرب ما يرى إليه ولم يقرب أن يراها فضلا عن رؤيتها ومن لم ومن لم يوقفه الأسباب الهداية فما له من ثور وأما الموفق فله نور على نور»[364]

[363] سورة النور، الآية 40

[364] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 11، دار الكتب العلمية، 2016م، ص22،23

علم النبات

لقد أولى القرآن الكريم اهتمامًا بالغًا بعالم النبات، وتحدث في ما يقارب مائة آية، مما يدل على عمق الارتباط بين الإنسان والبيئة النباتية، وأهمية النبات في تحقيق التوازن الكوني. ومن بين العلماء الذين اهتموا بهذا الجانب في تفسير القرآن المجيد، يبرز الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره الشامل،حيث فسر الآيات المتعلقة بالنبات تفسيرًا علميًّا يتقاطع مع المعارف البيولوجية الحديثة، مبينًا الإعجاز في خلق النبات وتناسقه.

وقد حاول طنطاوي تسليط الضوء على أجزاء النبات وما فيها من دلائل على قدرة الخالق، ومن أبرز ما تطرق إليه:

الازدواجية في النبات

القرآن الكريم أشار إلى هذه الظاهرة في عدد من الآيات، وقد فسّر طنطاوي هذه الآيات في "الجواهر" بمنهج علمي معاصر، من أبرز ما لفت انتباه الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره، هو مبدأ الازدواجية في النبات، وهي الحقيقة التي أشار إليها القرآن الكريم منذ قرون، قبل أن يكتشفها العلم الحديث بآلياته وتجاربه. يقول الله تعالى: «وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ»[365]،يفسر طنطاوي هذه الآية: «زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» حيث أوضح طنطاوي "أنّ الله خلق في كل صنف من الثمرات زوجين: ذكرًا وأنثى في أزهارها عند تكوّنها، بما يتوافق مع ما أظهره العلم الحديث، فالتلقيح لا يتم إلا بين الذكر والأنثى، وقد يكون عضو الذكر وعضو الأنثى في نفس الشجرة كما في أغلب الأشجار، أو في شجرتين مختلفتين كما

[365] سورة الرعد، الاية 3

في النخل،كما يمكن أن يكونا في نفس الزهرة كما في القطن، أو كل منهما في زهرة منفصلة كما في القرع"[366]

يبرهن هذا الطرح على التوافق الواضح بين الوصف القرآني والاكتشافات العلمية الحديثة، وهو ما حرص طنطاوي ليؤكد أن الإعجاز النباتي في القرآن سابق للعلم. يأتي صور النباتات لتوضيح .

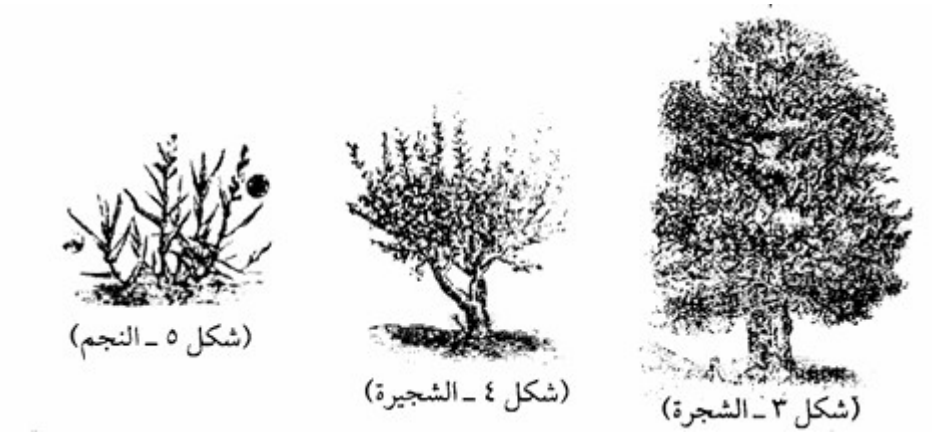

(شكل ٣ ـ الشجرة)

(شكل ٤ ـ الشجيرة)

(شكل ٥ ـ النجم)

[366] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء الثامن، 1351هـ، ص 75

الفصل الثاني: السماء وظواهرها الكونية

قضية السماء

«اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ»[367]

وقد عبر الشيخ طنطاوي جوهري عن رأيه في قضية السموات التي كانت قائمة وتقوم بغير دعائم في تفسير آية سورة فاطر: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا»[368]، وقد قرر الشيخ طنطاوي جوهري أنّ المقصود هذا الميزان هو ما يعبر عنه علماء العصر الحاضر بالجاذبية، ولولا هذه الجاذبية لاختل النظام، ولتحطمت هذه الكرات المشاهدة، ولزالت نظمهاء و لساعت حالها، فبالميزان أنزلت وبالنظام ثبتت في أماكنها واستقرت في مداراتها.[369]، السماء مرفوعة بقوة غير مرئية تدل على قدرة الله وعظمته، ويشير القرآن إلى مثل هذه القوة والى التوازن الحادث. العلم الحديث ترشد إلى هذه الجاذبية التي تسبب إمساك السموات.

سبع السموات

«هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»[370]

---

[367] سورة الرعد، الآية 2

[368] سورة فاطر، الآية 41

[369] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 17، 2016م ، ص 22

[370] سورة البقرة، الآية 29

في هذه القضية،الشيخ طنطاوي يتفق مع الإمام الرازي كما هو ظاهر من كلامه في سياق تفسير الآية، حيث تناول الشيخ طنطاوي هذه الآية بالتفسير تفصيلا بعرض أقوال علماء القرن السادس والسابع من أنّ القول بأنّ «السموات السبع في القرآن ليس حاصرا فالعدد ليس له مفهوم، فإذا قال رجل عندي فرسان لا ينافي أن عنده ألفا، وهذه الأفلاك القديمة لا يمكن فناؤها عندهم وكذلك الكواكب وهذا مخالف للعقل والدين»[371]

والعدد عند العرب يحتمل افتراضات عديدة كما أشار إليه الشيخ طنطاوي أنه من عادة العرب إذا أرادوا التعبير عن المبالغة في العدد، يعمدون إلى ذكر أعداد مثل سبعة أو سبعين أو سبعمائة أو سبعة آلاف وما شابهها، ويقصدون بذلك الكثرة لا العدد الحقيقي.

الصعود إلى السماء:

«فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»[372]

يقول طنطاوي: معنى يشرح صدره بفسحه فيتسع لقبول الهدى، وقوله ضيقا خرجا كانها يصعد في السماء أي ينير عن قبول الحق، ومن ضيق صدره كانه يزاول ما لا يقدر عليه من صعود السماء فيكون الإيمان ممتنعا عليه امتناع صعود السماء.[373]

رغم اهتمام صاحب الجواهر بالجوانب العلمية في تفسيره، إلا أنّه عند تناوله لهذه الآية، اقتصر على أقوال المفسرين السابقين مثل الطبري والزمخشري، ولم يعتمد على ما توفر

---

[371] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، 2016م ،ص57

[372] سورة الأنعام، الآية 125

[373] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 4، 2016م، ص 118

من المعارف الحديثة في تفسيره في علم الطبيعة الجوية لتوسيع دلالة الآية وشرحها، كما هو متوقع من توجهه العام في التفسير.

وفي هذا السياق يقول العلم الحديث: في قوله تعالى "كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ"،تشير الموسوعة الأميركية إلى أنّ الطائرات التي تحلّق على ارتفاعات شاهقة ملزمة بالحفاظ على ضغط داخلي مستقر لحماية الركاب، حيث إنّ الضغط الجوي في تلك المستويات يكون منخفضا بدرجة لا توفر الأوكسجين الكافي للبقاء على قيد الحياة. كما أنّ الاختلاف السريع في الضغط نتيجة تغيّر الارتفاع يمكن أن يسبب آثارا جسدية مزعجة وشديدة، ويعزى ذلك إلى ارتفاع تركيز النيتروجين في الدم نتيجة الانخفاض المفاجئ في الضغط الجوي.[374]

ظواهر المطر والسحاب

في تفسير لقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا»[375]،طنطاوي جوهري يقول:"إنّ السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجو ظلمات ويوقع الراكب في حيرة"[376] أي سحابًا متراكما بعضه فوق بعض .ويؤكد أن هذه الظاهرة تتطابق مع ما قررته العلوم الحديثة في وصف السحب الركامية (Cumulonimbus) التي تعد المصدر الرئيس للأمطار الغزيرة والبرد والبرق. ثم ينتقل إلى تفسير قوله تعالى: «فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ»، فيقول:"الودق هو

[374] انظر: "الإعجاز في قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾."* موقع مِداد، 2021، https://midad.com/article/197760. تمت الزيارة في 6 يوليو 2025.

[375] سورة النور، الآية 43

[376] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*،دار الكتب العلمية، 2016م، ج12، ص23.

المطر وخلاله أي فتوقه"[377] مشيرًا إلى دقة التعبير القرآني في وصف كيفية نزول القطرات من الفراغات بين كتل السحاب المتراكم.

وعند تفسير لهذه الآية: «وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ»[378]، يوضح أنّ المقصود بجبال فيها" هو: كتل ضخمة من السحاب تتخذ "قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها"[379]. ثم يتناول العملية الفيزيائية لتكوّن البرد، قائلًا: "إنّ الأبخرة إذا تصاعدت إلى الطبقات الباردة من الهواء ولم يشتد البرد نزلت مطرا، وإن اشتد نزلت ثلجا أو بردا"[380] ويضيف أنّ شدة برودة الهواء وما يحتويه من بخار تؤدي إلى تكاثف الأبخرة وانعقادها سحابا، فينزل منه المطر أو البرد بحسب درجة التبريد.

تتجلّى محاولة طنطاوي ربط المعنى القرآني بالحقائق العلمية الحديثة، مما يعكس منهج الشيخ طنطاوي العلمي التفسيري، الذي يبرز الإعجاز في الظواهر الكونية.

دوران الشمس

تعد الشمس المصدر الأساسي للحياة على وجه الأرض، إذ لا يمكن لأي كائن من مخلوقات الله أن يستمر في الحياة بدونها؛ فبضوئها تضيء الأرض، ويهتدي بها الإنسان لمزاولة أعماله اليومية، كما تستخدم لتحديد الأوقات بدقة، لا سيما مواقيت الصلوات الخمس، حيث يُفرّق بها بين الفجر والصباح، والنهار والمساء والليل.

---

[377] المرجع السابق، ص23

[378] سورة النور،الآية 43

[379] المرجع السابق،ص24

[380] المرجع السابق،ص24

كذلك تلعب الشمس دورا حيويا في نمو النباتات، من خلال عملية التركيب الضوئي (Photosynthesis)، التي تتطلب توافر الماء، وضوء الشمس، وصبغة الكلوروفيل في الأوراق. وبدون ضوء الشمس، تفشل النباتات في النمو، وبالتالي ينعدم الغذاء لكل من الإنسان والحيوان، وتنعدم الحياة على سطح الأرض.

في القرن التاسع عشر، فقد اكتشف ريتشارد كرينغتن أنّ الشمس نفسها تدور حول محورها خلال فترة تبلغ نحو 28 يومًا و6 ساعات و43دقيقة. وقد أدّى هذا التراكم العلمي إلى تأكيد أنّ الشمس ليست ساكنة، بل تتحرك، وأنها ستصل في المستقبل إلى مرحلة تصبح فيها نجماً غير مضيء.

قال الله تعالى: «وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»[381]

تسير الشمس في مداراتها وتؤدي وظيفتها وفقًا لأمر الله، فتشرق من الشرق وتغرب في الغرب كما قدّر لها. وهي تتسبب في تعاقب الليل والنهار. قد أشار طنطاوي جوهري في في تفسير لهذه الآية إلى "أنّ هذه الحركة الشمسية التي ذكرت هذه السورة، هي الحركة الأرضية ولكنها منسوبة للشمس باعتبار ما يظهر للرائي وهناك حركة أخرى للشمس هي ومجموعتها حول كوكب آخر. فالشمس تجري والأرض تجري وجري الأرض حول الشمس بحسب

[381] سورة يس، الآيات 38–40

الظاهر لا يختلف عن جري الأرض حول الشمس. الله قدر الحركات كلها"[382]، وجاء في كلام طنطاوي بهذه الآية: «كذلك لبيان عن تقدير الله تعالى في إثبات مجرى الشمس حتى لا تخرج من خطها، وكذلك القمر النجوم والكواكب وجميع الأجرام السموية أنها تجري في خط معين لا تتصادموا ببعضهم ولو بعدد لا يحسب. وعن الليل والنهار كذلك، لا يسابق الليل النهار ولا يسابق النهار الليل، كل يجري بتقدير الله قوله تعالى "ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" فهو قدر حركات الأجرام السماوية بمقادر تناسبها. ولم يعط القطارات سرعة النور ولا الكواكب لأنها إذا أسرعت هذا الاسراع أهلكت من عليها بسرعة حركتها »[383]

وفي بيان عظمة تقدير الله لسرعة الأجرام وما في العالم، يقول طنطاوي: «قدر الله سرعة الشمس وكل سرعة في العالم، فهو عزيز أي غالب عليم بما يقدره. إن أسرع حركة في العالم سرعة الخاطر. وإن الخواطر تنتقل من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب ومن العرش إلى الفرش في جزء من آلاف من الثانية. هذه السرعة موجودة وهي أعجب ما في هذا الوجود، ويلي هذه السرعة سرعة النور فإنه في الثانية الواحدة يمكنه أن يجري حول الأرض فوق(7)مرات، ومعلوم أن محيط الأرض(40)ألف كيلو والضوء يجري (186000) ميل في الثانية أو نحو (300.000)كيلو. ثم سرعة القلبة في الثانية (2000) ميل وسرعة الأرض حول الشمس (65.533) ميلا في الساعة»[384]

---

[382] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء17، 1351هـ، ص 169

[383] المرجع السابق، ص166،167

[384] المرجع السابق، ص166

قدر الله هذه الحركة وهذه السرعة بتقديره. ولو أسرع وأبطأ هذه السرعة لفسد هذه الدنيا، ولا يحيا في هذه الدنيا مخلوقاته. وهذا هو تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ.

القمر

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»[385]

قد أشار الشيخ طنطاوي إلى السر في هذه الآية الكريمة على أنّ القمر وسيره هو أساس الحساب فيقول: "أولم يكف أن يقول عدد السنين حتى أضاف لها الحساب إشارة إلى هذه الدقة المتناهية، فالقمر حكم عليهم أن يجعلوا السنة اثني عشر شهراً، وهم اضطروا بالحساب أن يُنظموا أيام الشهر، فيا عجباً كيف كان القمر دليلاً على الحساب"[386]

منازل القمر

القمر له أول المنزل وآخر المنزل ويعود إلى أوله مرة أخرى، فإنه له وقت معين في دوره حول الأرض يقول الله عزوجل: «وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»[387]

حدد الله تعالى منازل القمر بدقة، بحيث يكمل دورته الحقيقية حول الأرض خلال مدة تقارب 29 يومًا و12 ساعة و44 دقيقة و53 ثانية. ويبلغ طول مدار القمر حول الأرض نحو 204 ملايين كيلومتر تقريبًا، بينما يُقدَّر متوسط بعده عنها بحوالي 384,300 كيلومتر.[388]

---

[385] سورة يونس، الآية 5.

[386] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ط 2، الجزء 25، دار الكتب العلمية، 2016، ص 113.

[387] سورة يس، الآية 39

[388] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء3، ص. 129-130.

وفي سياق حديثه عن الظواهر الفلكية وأشكال القمر،يوضح طنطاوي جوهري قائلاً: «كان القمر على وجه العموم قرصه المستدير مكونا من جزأين أحدهما مستنير والآخر مظلم، وشكل هذين الجزأين ومقدارهما النسبي متغير دائما ومنهما تتكون الظواهر المعروفة باسم أشكال القمر وبيان ذلك أنه متى لم يكن القمر منظورا لا ليلا ولا نهارا يقال له في حالة المحاق أو الاقتران أو الاجتماع أو التوليد.وسبب عدم رؤيته أو وضعه مجاور جدا في الظاهر للمحل الذي تشغله الشمس في السماء فيوجه نحو الأرض نصف كرته المظلم المحجوب عن الأشعة الشمسية ويمكث خفاء القمر يومين أو ثلاثة أيام، لكن لحظة الاقتران المضبوطة التي تستدل عليها من السنويات الفلكية تحصل متى كان للشمس والقمر طول واحد، وفي اليوم الثاني أو الثالث بعد تلك اللحظة»[389]

وفي تفصيل ظاهرة تغيّر أشكال القمر خلال دورته الشهرية، يُذكر: «فإن الجزء المستضيء من القمر الذي تنيره الشمس مباشرة يتغير شكله في مدة الدورة الكاملة للقمر من ابتداء الهلال الرفيع المضيء والشكل الأخير لغاية الدائرة الكاملة التي يظهرها الكواكب في مستويه وأما الجزء المظلم من هذا القرص فيظهر في بعض أشكاله ضوء ضعيف جدا يسمى الضوء الرمادي»[390]

[389] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 17، 1351ه، ص 196

[390] نفس المرجع، ص198

ومن هذا المنطلق جاءت الإشارة القرآنية البليغة لتعرض وصفا دقيقا و للمراحل المتعاقبة التي يمر بها القمر خلال دورته الشهرية والتي يقول في القرآن الكريم: «وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ»[391]

لقد كان الفلكيون الأقدمون يعتقدون أنّ اللون الصفوري لسطح القمر ناتجٌ عن خصائص مادته، لكن هذا الرأي بَطَلَ اليوم، وتبيَّن أنّ ما يُسمّى بالضوء الرمادي هو في الحقيقة ضوء الأرض المنعكس على القمر من أجزائه المستضيئة.[392]

وقد تناول طنطاوي جوهري هذه الآية في تفسيره من زاوية علمية، مبينًا توافق النص القرآني مع الحقائق الفلكية، مثل تغير أطوار القمر وظهور الضوء الرمادي، معززا بذلك منهجه في ربط الوحي بالعلم لإظهار إعجاز القرآن.

[391] سورة يس،الآية 39

[392] المرجع السابق، ص198

الشمس والقمر

«فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ»[393]

يشرح طنطاوي في تفسير هذه الآية أن هناك حادثتين ضوئيتين على الأرض عند غياب الشمس عنا؛ الأولى تحدث قبل طلوعها وتعرف بالصبح، وهو الضوء المنتشر قبيل ظهور الشمس، والثانية بعد غروبها، وهي ما يبقى من الضوء بعد غيابها. ويشير إلى أن هذين الحادثين لا يظهران على خط الاستواء، بل يبدأ ظهورهما في المناطق المعتدلة، وكلما اقتربنا من القطبين ازدادت مدة ظهورهما. ولهذا، يعيش سكان مناطق مثل «لابونيا، سمويد، وسبير» فترة تقارب أربعة أشهر دون رؤية الشمس، حيث يكتفون بضوء الفجر والشفق الذي يضيء لهم الطريق أثناء تنقلاتهم عبر السهول والهضاب والجبال والمناطق الثلجية الواسعة. ويختبر أهل هذه المناطق جمالاً ونوراً فريداً في الفجر والشفق لا يدركه سكان المدارين، أي مدار السرطان ومدار الجدي[394].

يشير الشيخ طنطاوي جوهري إلى مظهر من مظاهر العدل الإلهي في توزيع الجمال الطبيعي في الكون. يتفق الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره لهذه الآية مع ما قرره الإمام فخر الدين الرازي، من أن نور الصبح ناتج عن اقتراب قرص الشمس من الأفق، غير أن طنطاوي جوهري توسّع في شرح هذه الظاهرة، معتمدًا على تفصيلات علمية دقيقة مستمدة من معارف عصره.

---

[393] سورة الأنعام،الأية 96

[394] طنطاوي جوهري،الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الجزء 4، دار الكتب العلمية، 2016، ص 102

النجوم

ومن النماذج البارزة التي تُجسّد المنهج العلمي الذي اعتمده طنطاوي جوهري في تفسير الآيات الكونية، ما ورد في "اللّطيفة الخامسة" عند تفسيره لقوله تعالى: «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ»[395]، حيث تجاوز التفسير اللغوي الظاهر إلى تحليل علمي مستفيض لحركة النجوم ومداراتها، مبينًا كيف أن النجوم، رغم حركتها السريعة، تُرى ساكنة بسبب بعدها الهائل عن الأرض، مما يجعلها تصلح كعلامات هداية في ظلمات الليل. كما أشار إلى دور بعض النجوم المحددة مثل نجم القطب والفرقدين في تحديد الجهات، وبيّن كيف أن علم الفلك لا يزال يُدرّس ويُستخدم في الملاحة البحرية والجوية، وبين الوسائل الاصطناعية الحديثة كالبوصلة، التي تعمل على نفس المبدأ في تحديد الاتجاهات في الظلام، خصوصًا في البحار[396]. وقد ربط جوهري بين علامات الاهتداء الطبيعية التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾[سورة النحل: 16]، والتي فسرها بمعالم يستدل بها السالكون في البراري من جبال وسهول واتجاهات الرياح[397].

يلاحظ أن جوهري تجاوز بإقحام المعارف الطبيعية والفلكية الحديثة بصورة مباشرة في التفسير. وقد عبّر عن هذه الرؤية الكونية التكاملية بقوله: «فنحن على الأرض لسنا في عزلة عن العوالم الأخرى،إن العالم جسم واحد» ،جوهري لم يكن يفسر الآية فحسب، بل يُعيد صياغة علاقتها بالإنسان والعلم والطبيعة

[395] سورة النحل، الآية 16

[396] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم. الطبعة الثانية، الجزء 8، دار الكتب العلمية، 2016، ص 102

[397] المرجع السابق، ص 83

الفصل الثالث :الظواهر الطبيعية

الرياح ودورها في التلقيح

تناول الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيرالآية الكريمة:«وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ»[398]

من منظور يجمع بين التفسير اللغوي والعلمي، حيث أشار إلى أن معنى "لواقح" هو التي تلقّح الأشجار فتنبت الثمر. وهذا التفسير يتسق مع المعنى اللغوي للّقاح، إذ يُقال: "لقحت الناقة" إذا حملت، و"ألقحها الفحل" إذا أودعها الماء، ومنه جاءت صيغة "لواقح" بمعنى "ملقحات". وقد استخدم القرآن هذا التعبير في صيغة تدل على الفاعلية وليس المفعولية، خلافًا لمن قرأها "لقاحًا" أو "ملقوحات"، في دلالة على الدور الفعّال للرياح في حركة الحياة الطبيعية.[399]

اختار الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره لهذه الآية معنى "لَوَاقِحَ" على أنه تلقيح النباتات، وهو المعنى الذي أولاه اهتمامًا خاصًا، حيث شرحه من منظور علمي. وقد أشار إلى أن الرياح تحمل غبار الطلع من الأزهار الذكورية إلى الأزهار الأنثوية، وهو ما يعد ضروريا لإخصاب النباتات وإنتاج الثمار.أما تفسير تلقيح السحاب بالمطر، فهو تأويل مشهور لدى كثير من المفسرين،لكن الشيخ طنطاوي ركّز في تفسيره علىالإعجاز العلمي في اللفظة، ووسّع

[398] سورة الحجر، الآية 22

[399] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، دار الكتب العلمية، 2016م ، ج8، ص8.

مفهومها ليشمل تلقيح النبات، مما يدل على بُعد نظره في توسيع دلالات القرآن في ضوء العلم الحديث

اختلاف الليل والنهار

في اللطيفة الأولى من تفسير «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ»[400]، يطرح الشيخ حساب تضارب الليل والنهار ومراحل السنة القمرية بأسلوب علمي أنيق وسهل، ويظهر كيف يعكس هذا النظام الكوني عظمة خلق الله وصدقه، ثم يدعو الناس إلى نشر العلم ورفع الجهل والتخلف. وينكبّ على موضوع السنة الهجرية العادية والمُنيّهة، فيشرح طريقة معرفتها وحساب بدايات السنوات باستعمال دورين: الصغير (٣٠ سنة) والكبير (٢١٠ سنة)، ويقرب الأمر عبر بيت شعر يفرق بين الحروف المعجمة للكبيسة والمَهْمَلة للبسيطة. كل ٣٠ سنة قمرية تُسمّى دورًا صغيرًا، وخلالها: ١١ سَنة كُبيسة(٣٥٥ يومًا)،١٩سَنة بَسيطة(٣٥٤ يومًا). كما يبيّن أن هذه القاعدة توافق الجداول الفلكية المعاصرة تمامًا، فيذكر سنتي ١٣٣٩ و١٣٤٢ هـ ويظهر الفرق بين الحساب الشرعي والرصد الفعلي للهلال. ويختم بعرض جمال النظام المتقن ويستشهد بأقوال لله تعالى: «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت»[401]،«والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[402]

ناقش الشيخ المنهج بعقلية موسوعية تربط بين النصوص الشرعية وبين الحقائق الكونية والفلكية. اتخذ أسلوبا مباشرا سهلا، فبسط الأفكار وربط الدين بالعِلْم، وأثار إعجاب الحاضرين بحكمة الخالق ودعاهم لنشر المعرفة لخير الأمة. بما أن السنة القمرية لا تبلغ

[400] سورةآل عمران،الآية 190
[401] سورة الملك،الآية 3
[402] سورة النور، الآية 46

عدد أيام السنة الشمسية، تُضاف السنوات الكبيسة بين حين وآخر لضبط الفارق. عبر نظام دقيق من ثلاثين سنة، تُحدد تلك السنوات الكبيسة فيبقى دور القمر منتظما، وهذا يدل على دقة الحساب الفلكي في التقويم الهجري عبر القرون.

في تفسيره حول ظاهرة الليل والنهار، اتبع الشيخ طنطاوي جوهري منهجا علميا دقيقا، فبدأ بتعريف النهار على أنّه الوقت الممتد من شروق الشمس من حافة الأفق الحقيقي حتى تغرب فيه، ثم أضاف كيف تتغير مدة الليل والنهار بحسب خط العرض والفصول، مبينًا أن تلك التغيرات تخضع لنظام محكم له أقصى وأدنى. وبعدها قسّم الكرة الأرضية إلى خمس مناطق مناخية: المدارية، والمعتدلة الشمالية، والمعتدلة الجنوبية، والمتجمدة الشمالية، والمتجمدة الجنوبية، وشرح لكل منطقة ميزاتها في توزيع الليل والنهار، فأوضح أن الثلاث الأول يتساوى فيهما مجموع الليل والنهار تقريبًا، بينما المناطق المتجمدة قد يمتد فيها كل منهما نحو ستة أشهر. وتدعم تلك الرؤية أدوات تعليمية مثل الرسوم التوضيحية والجداول، إضافة إلى مقارنة بين تفسيره وسياق آيات سورة البقرة، مما يظهر مزجه بين حقائق العلم الحديث وبيان القرآن، ويقصد من وراء ذلك إنماء إيمان القارئ عبر عرض النظام الكوني المحكم. كما يستشهد بتعبير "ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت"[403] لتأكيد عدم وجود خلل أو عشوائية في كون الله.[404]

يعرض الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره تقسيم "السنة إلى أربعة فصول" فلكية يحدها الاعتدالان والمنقلبان: الربيع (من الاعتدال الربيعي إلى المنقلب الصيفي)، الصيف (حتى

[403] سورة الملك،الآية 3

[404] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم. الجزء 2، 1351هـ، ص 190و191

الاعتدال الخريفي)، الخريف (حتى المنقلب الشتوي)، ثم الشتاء (حتى الاعتدال الربيعي التالي). ويرد التواريخ التقريبية لهذه الفصول، مثل: 19 مارس للربيع، 20 يونيو للصيف، 22 سبتمبر للخريف، و20 ديسمبر للشتاء. كما يذكر مدة كل فصل بالدقائق والساعات، مع الإشارة إلى أنها تختلف من سنة إلى أخرى بفروق ضئيلة. ويضيف شكلًا توضيحيًا يمثل انتقال الأرض حول الشمس وترتيب الفصول، مؤكدًا على أهمية الربط بين الظواهر الكونية والتفسير القرآني. ثم ينتقل إلى نقد منهجي، فيرى أن العادة السائدة في كتب التفسير هي التركيز على الآيات الفقهية، وإهمال العلوم الكونية والفلكية رغم ما لها من أهمية. ويؤكد أن القرآن قد شجع على دراسة هذه العلوم كما قال الله تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ» [405]، معتبرًا علوم الفلك والطبيعة من فروض الكفاية التي يجب أن تنهض بها الأمة، وأن تهتم بها الحكومات كما تهتم بالفقه، بل ويطالب بإنشاء مراصد وتوفير الآلات العلمية لإحياء هذا الجانب من علوم الدين، وإعادة الأمة إلى مجدها العلمي القديم. ويختم بنداء حماسي يدعو فيه إلى دمج العلم والدين في التفسير، لا الفصل بينهما كما فعل كثيرون من المفسرين[406]

[405] سورة آل عمران، الآية 190

[406] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 2، 1351هـ، ص 191–192.

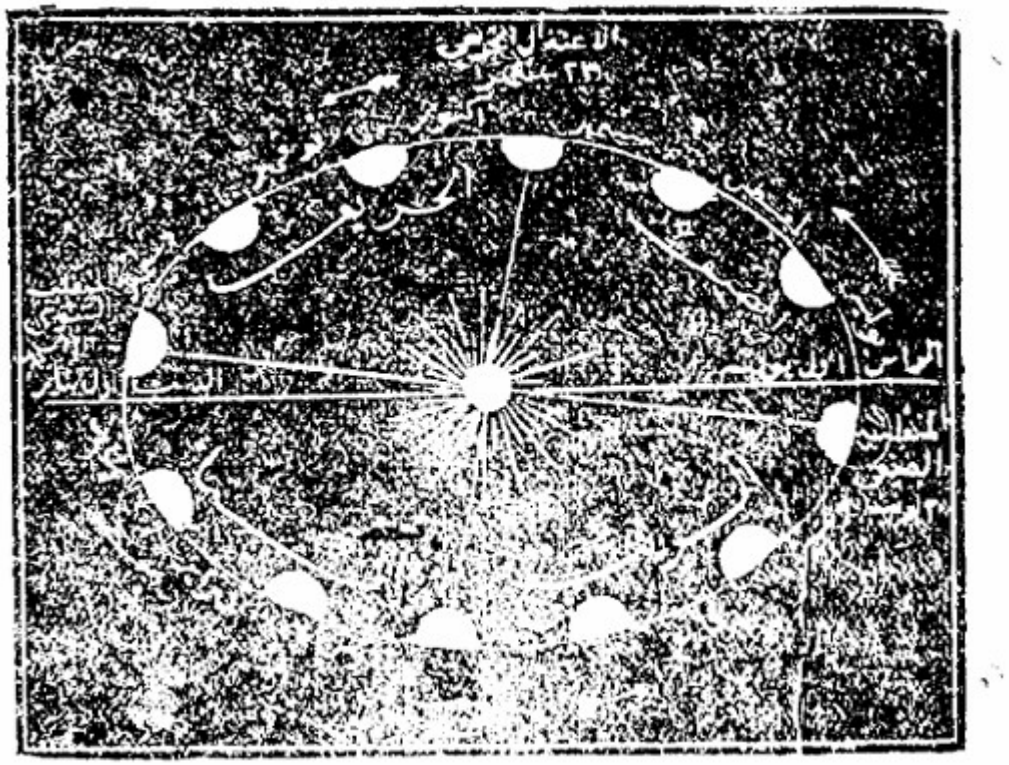

407

[407] المرجع السابق، ص 192

الفصل الرابع: عالم الأحياء في القرآن الكريم

خلق الإنسان

وقد أولى طنطاوي جوهري اهتمامًا خاصًّا بآيات خلق الإنسان، فتعامل معها لا على أنها مجرد نصوص وصفية، بل كنصوص تهدف إلى تحفيز العقل للتأمل في مراحل الخلق وتكوين الإنسان. فقد ربط بين ما ورد في هذه الآيات من مراحل التخلق البشري وبين ما توصل إليه العلم الحديث من نظريات واكتشافات في مجال الأحياء والجنين. ومما يميز تفسيره في هذا السياق أنه لم يقتصر على سرد المعلومات، بل عمد إلى تحليلها ومقارنتها، واستنتاج العبر منها بما يُعزز الإيمان ويُرسّخ اليقين بعظمة الخالق سبحانه وتعالى.

1. خلق الإنسان من التراب

القرآن الكريم يذكر الأرض في سياق بداية خلق الإنسان باستخدام ألفاظ متعددة، مثل "أرض"، و"طين"، و"تراب". وكل هذه الكلمات التي استخدمها القرآن تشير إلى أحد العناصر الأساسية في خلق الإنسان نفسه. وفي هذا السياق، يقول طنطاوي جوهري: "(وقد خلقكم أطوارا)" أى تارات وكرات، فكنتم لطفا في الأرحام، ثم صرتم علقا بعد أيام، ثم مضغا تحير الأفهام، والمضع قد غيرت إلى عظام، وعلى العظام اللحم وأنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .وأعلم أنّ الأطوار المذكورة قد وضحت في سور كثيرة كسورة آل عمران وسورة المؤمنين وغيرها في التفسير ، وهذا هو النظر في الأنفس"[408]

[408] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، مصطفى البابي الحلبي، 1351 هـ، ج 24، ص 263

وقد فصّل الشيخ طنطاوي في شرح هذه المراحل شرحًا وافيًا، مستندًا إلى ما ورد في سورة المؤمنون وسورة آل عمران، حيث تم يناقش خلق الإنسان ضمن سياق بياني علمي يعكس ميله إلى التفسير العقلي والعلمي للقرآن الكريم.

عندما فسّر طنطاوي هذه الآية "«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ»[409]، يبدأ بتفسير معنى الإنسان في الآية في تفسيره، يتفق مع المفسرين الآخرين في تفسيره لـ"الإنسان" في الآية على أنه يُقصد به آدم. ثم فسر "سلالة من طين" بأنها خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) فتلك الخلاصة المساولة من طين هي الصفوة المجعولة آدم"[410]، وهذه السلالة النقية هي أساس خلق آدم.

بالنسبة لطنطاوي جوهري، العلم الذي تطور في هذا الصدد يشير إلى أنّ العناصر النباتية وبذور النباتات التي يتناولها الإنسان تشارك في تكوين المني، مما يجعلها جزءًا من عملية التكوين. كما يذكر طنطاوي أنّ الحيوانات كذلك تتكون من نفس العناصر، حيث يتم تشكيلها أيضًا من العناصر النباتية وبذور النباتات. في هذه المناقشة، يعيد طنطاوي توضيح القوى المختلفة التي توجد في الإنسان، حيث يبيّن أنّ الأرض والماء والهواء تتجمع معًا، ولكن القوة الأعلى هي قوة العقل حيث قال طنطاوي: "العقل هو المالك الأعلى وله مكان الأعلى (الرأس)"[411]

[409] سورة المؤمنون، الآية 12.

[410] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 11،ص93

[411] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 4، ص 9.

باستخدامه للمنهج العقلي، يوضح طنطاوي بشكل جيد المعجزات التي يمتلكها الإنسان، مع الحفاظ على إرجاع كل ذلك إلى عناصر خلق الإنسان، مثل التراب والماء والهواء وغيرها من عناصر الأرض.

الآية التي تدعم رأي طنطاوي جوهري بشأن الإنسان هي الآية في سورة الأعراف «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ»[412]. تتحدث هذه الآية عن الحوار بين الله والشيطان (إبليس) عندما رفض السجود لآدم، حيث يذكر إبليس أنّه خُلق من نار بينما خُلق آدم من طين. الآية تُظهر تبايناً بين أصل الخلقين، ممّا يبرز طين الإنسان كعنصر أساسي في تكوينه، وهو ما يتوافق مع ما ذكره طنطاوي في تفسيره حول العلاقة بين الإنسان والطين.

في هذه الآية، يقارن طنطاوي بين خلق الإنسان من الطين وخلق الجن من النار. ويقول إنّ النار بالفعل أجمل لأنها تحمل الضوء، وتعتبر جميلة وخفيفة، بينما الطين قاسي. يعتقد الجن أنه أرقى لأنه خلق من النار بناءً على أنّ النار تمتاز بالضوء والجمال. ومع ذلك، لم يحدث ذلك مع آدم، الذي رغم أنّ النار كانت أحد العناصر التي تدعم جسده، إلا أن روح الطين هي التي تظل الأكثر هيمنة فيه.[413]

الإنسان في منظور طنطاوي جوهري يتكون من عنصرين أساسيين هما النار والتراب، إلاّ أنّ العنصر الأكثر هيمنة هو التراب. من هذين العنصرين، كما يوضح طنطاوي، تنبع قوتان في

[412] سورة الأعراف،الآية 12

[413] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 4، ص 137.

تكوين الإنسان: الأولى تتعلق بالنار، التي تمنح الإنسان صفات مثل الغضب، بينما الثانية ترتبط بالتراب، الذي يؤدي إلى ظهور الشهوات في الإنسان، مثل الحاجة إلى الطعام والشراب ،في حين أنّ الشيطان، رغم احتوائه على عنصر التراب، إلاّ أنّ هذا العنصر لا يشكل العنصر السائد في تكوينه.

في تفسير لهذه الآية «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى»[414]، يوضح طنطاوي أنّ الإنسان قد خُلق من الأرض (التراب) وهذه الأرض هي التي ستُعيده إليها بعد موته. ثم يُبعث مرة أخرى منها في يوم القيامة. ويشير طنطاوي إلى أنّ هذه الآية تحمل في طياتها دلالة على العلاقة الوثيقة بين الإنسان والأرض،إذ إنّ الأرض تُنتج النبات والحيوان، وهذان يُكوّنان غذاء الإنسان، فيتحول الغذاء في جسده إلى مكونات أساسية كالدم واللحم والعظام، مما يجعل أصله ماديًا ترابيًا بشكل غير مباشر.[415]

خلق الإنسان في الرحم

بعد مناقشة خلق الإنسان الأول (آدم) من مكونات التراب، سيتم متابعة الحديث عن عملية خلق نسل آدم أو البشر بشكل عام، يتناول القرآن الكريم هذه المراحل بتفصيل دقيق في عدة آيات.

[414] سورة طه، الآية 55.

[415] طنطاوي جوهري،الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 10،المجلد الخامس، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 2016، ص105

المرحلة الأولى: النُّطفة (المني)

تعدّ هذه المرحلة بداية تكوين الإنسان، حيث يُخلق من نُطفة، أي من سائل منوي. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المرحلة في عدة مواضع، منها قوله تعالى في سورة الإنسان:«إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»[416]

فسّر العلماء لفظ "أمشاج" بأنه«مزيج من ماء الرجل وماء المرأة»، في دلالة على اتحاد الحيوان المنوي بالبويضة، وهو ما يتماشى مع الفهم العلمي المعاصر لعملية التلقيح وبداية تكون الجنين. كما وردت إشارات أخرى إلى هذه المرحلة في سور متعددة، منها:

«ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ»[417]

«أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى»[418]

«مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ»[419]

«خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ»[420]

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا»[421]

«وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ.مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ»[422]

---

[416] سورة الإنسان، الآية2

[417] سورة المؤمنون، الآية 13.

[418] سورة القيامة، الآية37

[419] سورة عبس، الآية 19

[420] سورة النحل، الآية 4

[421] سورة غافر، الآية 67

[422] سورة النجم،الآيتان 45–46.

توضح هذه الآيات المراحل الأولية لنشأة الإنسان ابتداء من مرحلة النُّطفة، مما يعكس دقة الأسلوب القرآني في تصوير هذه الظواهر البيولوجية، ويتفق مع ما كشفه العلم الحديث في علم الأجنة. يقول الله تعالى إن الإنسان خُلق من نطفة أمشاج، أي ماء دافق مختلط. وهذه النطفة ناتجة عن الرجل والمرأة معا؛ حيث يُنتج الرجل الحيوان المنوي، وتُعرف المرأة بالبويضة. ويتميّز الحيوان المنوي بحجمه المتناهي في الصغر، بحيث لا يُرى بالعين المجردة. فيما يتعلق بمرحلة النطفة، يقدم طنطاوي تفسيرًا يتعلق بالعناصر المكونة لخلق الإنسان نفسه،كما ورد في سورة الإنسان: «إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا»[423]. يتناول طنطاوي بشكل مفصل الحديث عن المني الذي يُعتبر أحد أسس خلق الإنسان من الناحية البيولوجية. ويقول إنّ الإنسان نشأ من نطفة أمشاج، وهذه النطفة كما يوضح طنطاوي تأتي من الرجل والمرأة، أي أنّ المني ناتج عن الكائنين المذكورين. وبالتالي، عندما يلتقي المني الذي يوجد في الرجل والمرأة، يتكون الجنين. ويضيف طنطاوي أنّ المني له علاقة وثيقة بالنباتات التي تشكل غذاء الإنسان اليومي. بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يبين أن المني أيضًا يُكتسب من خلال المشروبات والملح الذي يتناوله الإنسان. كما يشير إلى أن ما يتناوله الإنسان من غذاء يحتوي على عشرة عناصر أساسية،من بينها الأوكسجين، والكالسيوم، والهيدروجين، والفوسفور، والكبريت، والكربون، والمغنيسيوم، والبوتاسيوم، والحديد.[424]

[423] سورة الإنسان، الآية 2

[424] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 24، ص311.

يجدر بالذكر أنّ المني المختلط في تفسير طنطاوي هو المني الذي يتكون من العناصر التي تم ذكرها سابقًا بالمقارنة مع تفسيرات العلماء السابقين، يُعد تفسير طنطاوي المذكور أكثر اتساعًا في الشرح وتفصيلًا في العرض.

يذكر الرازي أيضا رأيا لا يختلف كثيرا. حيث نقل عدة آراء، من بينها رأي جمهور العلماء الذين يرون أنّ المني المختلط في هذه الآية هو تعبير يوضح تطور خلق الإنسان من صفة إلى صفة أخرى، (أي: من المني إلى الدم وهكذا)أو من حالة الإنسان أثناء فترة الخلق إلى حالة أخرى. كما يمكن فهم الآية وفقًا لرأي مجموعة أخرى من العلماء الذين يرون أن المقصود بالآية (المني المختلط) هو اختلاط مني الرجل ومني المرأة.[425]

مقارنة بين طريقة التكاثر بين الإنسان والكائنات الأخرى، يوضح طنطاوي ذلك في سورة طه، وتحديدًا عندما يتحدث عن تطور الجنين. في شرحه، يُبرز طنطاوي بشكل جيد تطور الجنين البشري ويقارنها مع تطور الجنين في الكائنات الأخرى مثل الأسماك والضفادع. بناءً على إجابات على منهج العقلي، حاول طنطاوي الرد على افتراضات البشر حول عملية خلقهم. على سبيل المثال، عندما سُئل من أحد أصدقائه عن الفرق بين بيضة الأنثى (البويضة) التي هي صغيرة لدرجة أنها لا تُرى بالعين المجردة وبيضة الدجاجة ذات الحجم الكبير،حاول طنطاوي حينها أن يقيس ويقدم إجابة مفادها أنّ هذا الاختلاف يعود إلى أنّ

[425] فخر الدين الرازي،*مفاتيح الغيب*، دار الفكر، بيروت، 1981م، ط 1، الجزء 30، ص. 236-237.

الأنثى مُوكلة بمهمة تزويد الجنين بالغذاء داخل رحمها. وبالتالي، هناك علاقة وثيقة بين الغذاء والجنين، بينما لا يحدث ذلك في الدجاجة.[426]

كما استعان طنطاوي بصورة تشريحية مرسومة للجنين ضمن تفسيره، لتقريب المعنى وتوضيحه للقارئ بصورة بصرية كالتالي:

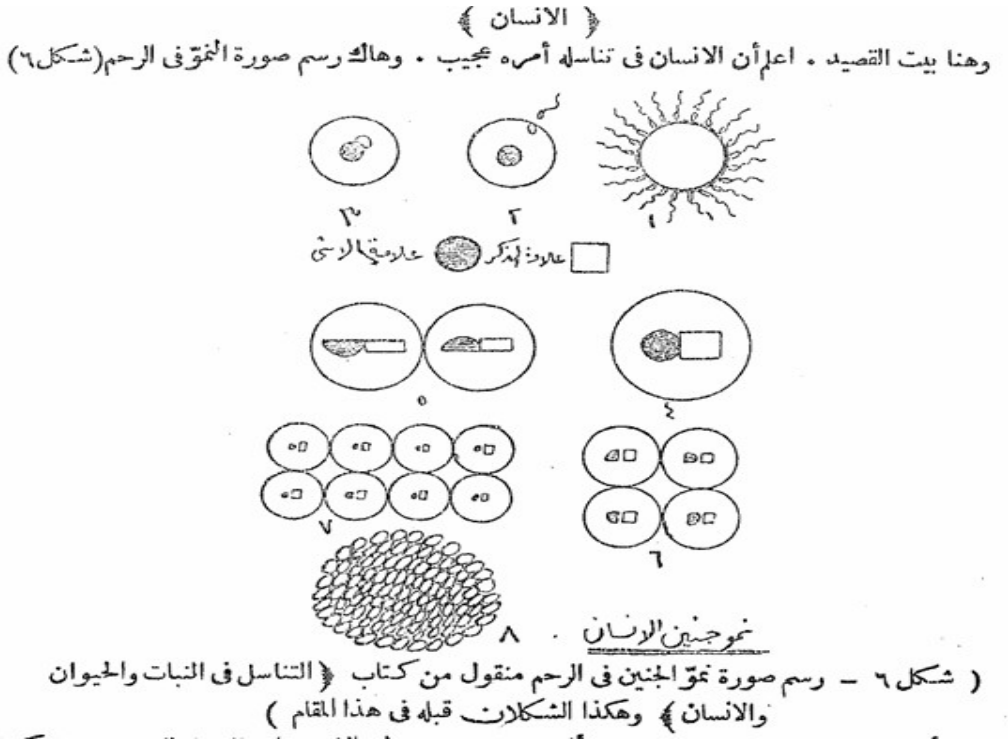

427

بالإضافة إلى ذلك، يسعى طنطاوي أيضًا إلى تحفيز التفكير في آيات أو دلائل قدرة الله التي توجد في هذا الكون، ومعجزات الإنسان والمعجزات الأخرى. لا ينبغي للمسلمين أن يظلوا صامتين تجاه التقدم الذي أحرزته الأمم الأخرى.

في سورة الطارق، يقول الله تعالى: «فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ. خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ»[428]

[426] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 10، ص. 103، طبع سنة 1351هـ

[427] المرجع السابق، ص101.

يُفَسِّرُ طنطاوي أنّ الإنسان خُلق من ماء المني الذي يندفع إلى رحم المرأة. والمقصود من هذا الماء هو ماء الرجل والمرأة. يخرج هذا الماء من أحدهما، وهو من الرجل. هذا الماء هو عبارة عن نطفة حية صغيرة جدًا بحيث لا يمكن رؤيتها إلا باستخدام أدوات متقدمة يمكنها اكتشافها مثل الميكرسكوب. كما يوضح طنطاوي في العديد من سور القرآن الكريم (مثل سورة آل عمران)، أن الماءين من الرجل والمرأة يلتقيان ثم يندمجان ليشكلا في النهاية الجنين في رحم المرأة. في هذه الآية، يستخدم القرآن الكريم تعبير "الماء الدافق" الذي يأتي من الماءين، أي من الرجل والمرأة، ليُظهر الحكمة التي شرحها الله في علم الجنين.[429]

من خلال الآراء التي طرحها طنطاوي أعلاه، هناك تشابه مع بعض العلماء حول أصل الإنسان الذي يأتي من المني والعناصر التي تشكل ذلك. ويعود هذا التشابه إلى أن في عصر طنطاوي في القرن التاسع عشر، كانت العلوم قد شهدت تطورًا سريعًا. كما أنّ هذا التشابه يُعتبر أيضًا انعكاسًا لآفاق ومعرفة طنطاوي. فقد كان متمكنًا ومطلعًا على تطور العلم بشكل جيد، مما جعل تفسيره غنيًا بنكهة العلم والمعرفة.

ب. مرحلة العلقة (قطعة دم)

تعتبر هذه المرحلة امتدادًا للمرحلة الأولى من خلق الإنسان بعد المني. في الأساس، يتم تفسير العلقة في معاجم اللغة على أنها "قطعة دم غَلِيظ،شيء يشبه الدودة في الماء تَمَصُّ

[428] سورة الطارق، الآيتان5–6

[429] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الطبعة الثانية، الجزء 25، دار الكتب العلمية، 2016، ص 113.

الدَّمَ"[430]. وعندما يشرب الإنسان هذا الماء، فإن الدودة التي تُقصد تعلق في منطقة الحلق، وهو شيء يلتصق.

يبيّن الله سبحانه وتعالى مراحل خلق الإنسان في مواضع متعددة ومنها:«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ.خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ»[431]، في هذه الآية، يُشير الله إلى أنّ الإنسان خُلق من"علقة"،وهي مادة تتعلق بجدار الرحم، مما يتوافق مع المراحل الأولى لتطور الجنين حيث يلتصق بجدار الرحم.

«أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى.ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى»[432]، توضح هذه الآيات مراحل خلق الإنسان بدءًا من النطفة وصولًا إلى العلق، ثمّ إلى خلقٍ مسوّى، مما يعكس المراحل التطورية للجنين.

يقول الله تعالى:«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ.ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[433]

تُبيّن هذه الآيات بالتفصيل تسلسل خلق الإنسان، بدءًا من سلالة من طين، ثم النطفة، فالعَلقة، فالمضغة، تليها العظام، ثم كسوتها باللحم، وصولًا إلى نشأة خلق جديد مكتمل.

[430] زين الدين الرازي، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص 216.
[431] سورة العلق، الآيتان 1–2.
[432] سورة القيامة،الآيات 36–38.
[433] سورة المؤمنون، الآيات 12–14.

يقول الله تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ»[434]، تبرز هذه الآية مراحل خلق الإنسان وتطور الجنين، وتُستخدم كدليل على قدرة الله في البعث بعد الموت. كما تُظهر هذه الآيات القرآنية توافقًا مع المفاهيم الحديثة في علم الأجنة،حيث تصف بدقة المراحل المختلفة لتطور الجنين البشري.

في تفسير طنطاوي جوهري لسورة العلق، يوضح الشيخ طنطاوي جوهري أنّ كل كائن حي يُخلق من "بيضة" أو "نطفة"، هذه البيضة قد تكون مثل بيض الطيور التي تبقى في الرحم وتكون ضيقة أو صغيرة في الجهاز التناسلي للأنثى، ثم تخرج وتُرضع بعد الولادة. أما في الكائنات الأخرى مثل الإنسان، والأنعام، والقردة، فإن البيضة تظل في بطن الأم. وبذلك، يُخلق الإنسان والحيوان من بيضة مشابهة لبيضة الدجاج أو الحمام. كما صوّر طنطاوي، فإن أصغر حجم (حد أدنى) لمبيض المرأة هو 120/1 قيراط، وأكبره (الحد الأقصى) هو 20/1 قيراط.[435]

مثّل طنطاوي ذلك بالبيضة الصغيرة كما في الدجاج وسائر الحيوانات الأليفة. فالبيضة هي الجُرثومة (الخلية) التي تدور وتتحرك وتوجد في الدم.ثم يُفصّل طنطاوي عملية وجود البيضة داخل الرحم، فيقول إن البيضة الواحدة هي واحدة من بين عشر أو عشرين بيضة تدخل أو توجد في كيس البيض الواقع حول رحم المرأة. هذا الكيس موجود ويتموضع في المنطقة المحيطة بالرحم من بين كيس البيض والرحم يوجد أنبوب أو قناة تربط بينهما

[434] سورة الحج، الآية 5

[435] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الطبعة الثانية، الجزء 25، دار الكتب العلمية، 2016، ص 236.

عندما تكتمل البيضة، تخرج منه وتتحرك داخل تلك القناة حتى تصل بعد عناء وجهد إلى باب الرحم، تسعى بسرعة وتستعين بكل طاقتها لتتمكن من الدخول إليه، وتصل إلى هناك بعد مرور عشرة أيام تقريبًا. ويشير طنطاوي إلى أن هذا يحدث في مرحلة الإخصاب.[436]

في سورة الحج تتناول مراحل خلق الإنسان، يقول الله تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ»[437]

يقول طنطاوي في تفسيره لهذه السورة إنه لم يُطِل الحديث عن مرحلة "العلقة"، وإنما أشار إلى أنّ المقصود بها هو قطعة من الدم الجامد (أي علقة من الدم). وقد ركّز طنطاوي بشكل أكبر على الحكمة من خلق الإنسان وتدرّج مراحل الخلق، حيث يرى أنّ هذا التدرّج يدلّ على كمال الخالق وتنزيهه عن العيب والنقص.[438]

ج. مرحلة المضغة (قطعة اللحم)

المرحلة التالية بعد مرحلة العلقة هي بداية تكوّن الجنين في رحم المرأة على شكل قطعة من اللحم. وتظهر هذه المرحلة تقريبًا في الأسبوع الثالث من عمر الجنين داخل رحم المرأة. في هذه الأسابيع، يبدأ ظهور الأعضاء الأساسية لجسم الإنسان. ولذلك، يُقال إن هذه المرحلة

---

[436] المرجع السابق،ص 237.

[437] سورة الحج، الآية 5

[438] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 11، دار الكتب العلمية، 1351هـ، ص 4.

هي بداية تكوّن الأعضاء البشرية الرئيسية. الأعضاء الأساسية التي تتشكل في هذه المرحلة هي الأعضاء الخاصة بالرأس واليدين والعنق. ثم تبدأ بعد ذلك عملية تكوّن الأعضاء الأخرى. وفي القرآن الكريم، توجد عدة ألفاظ تتعلق بـ"المضغة". وفقًا لبعض العلماء، يُظهر هذا الأمر إعجاز القرآن الذي يوضح مراحل تطور الجنين في رحم المرأة.

يذكرالله تعالى في سورة الحج الآية 5، حيث يبين مرحلة "المضغة" في تطور الجنين،أمّا عن "المضغة" في هذه الآية، فقد شرحها طنطاوي بأنها قطعة من اللحم، في الأصل تشبه اللحم الذي يمضغه الإنسان، ومع ذلك في هذه الآية، لم يكرر تفسيره المفصل حول "المضغة" بل أحال إلى سورة آل عمران لمن يرغب في معرفة المزيد عن هذا الموضوع.

وعند قراءة الآية في«هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»[439]، تُظهر هذه الآية قدرة الله المطلقة في تصوير الجنين وتشكيله في رحم الأم كما يشاء، مما يعكس عظمة الخالق وحكمته في كل مرحلة من مراحل خلق الإنسان.

تناول طنطاوي سابقا موضوع الجنين بصورة عامة،متناولا الأحكام والقوانين التي تنظّم وجوده داخل الرحم. كما أعرب عند بيانه لموضوع «الماء المهين» في الجنين البشري أنّ لهذا الماء درجاتٍ ومراتب، تشبه الأحكام أو الأنظمة المتبعة في سائر الحيوانات.[440]

أولا، يقول إن درجته في البداية كأنها خلية ضعيفة، وهي من المراتب الدنيوية، ثم تتطور وتصبح أكثر كمالًا وتعقيدًا في المرحلة الثانية، وهي في شكل المني، ثم تتطور لتشبه

[439] سورة آل عمران، الآية 6

[440] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 2، دار الكتب العلمية، 1351ه، ص 44.

الضفدع،ثم تبدو وكأنها من الحيوانات الفقارية، وقد مثَّلها طنطاوي بالطير. وفي هذه المرحلة، يتأرجح تطور الجنين بين صفات الطيور وصفات الحيوانات الثديية.ثم يتطوّر هذا الجنين ليُشبه الحيوان ذي الأربع قوائم مثل القرد. وفي هذه المرحلة، يكون قد تطوّر أكثر، حيث يظهر الرأس وتبدأ ملامح الأعضاء الأساسية في التكوّن. وقد أوضح طنطاوي أنّه في الشهر الرابع يظهر نوع الجنين، وفي الشهر الخامس يمكن التمييز بين الذكر والأنثى. ثم يزداد اكتمال الجنين في الأشهر التالية حتى يصبح إنسانًا كاملًا. وقد بيّن طنطاوي أن تطوّر الجنين يبدأ من خلية حقيرة وضعيفة، ثم ينتهي في مرحلته الأخيرة إلى مخلوق كامل يمتلك درجة عالية من التعقيد. ثمّ يقول طنطاوي إنه في بداية تطور الجنين لا يمكن التمييز بين نوع الجنين وإلى أي مرتبة ينتمي، ولذلك يوجد بعض العلماء قد كتبوا أن جنين الحيوان كالدجاجة أو الإنسان أو الكلب لا يمكن التمييز بينها في تلك المراحل الأولى. وقد يشبه بعض أجنة الطيور،ومع تطور الجنين تدريجيًّا تبدأ الفروق في الظهور شيئًا فشيئًا. وقد أشار طنطاوي إلى أن هذا هو الرأي المعروف والمشهور في عصره.[441]

إن تطوّر الجنين بهذا الشكل حسب رأيه يُعدّ مجموعة من المعارف الواضحة والموجزة، لا يمكن أن يعلمها أو يصل إليها إلا من أوتي علمًا .ومن خلال هذا الشرح، يريد طنطاوي أن يبيّن أنّ الله تعالى قد بيّن كل ما يجهله الإنسان، ولكن لا يدرك ذلك إلا من يستخدم عقله وتفكيره في التأمل في آيات القرآن الكريم.

[441] المرجع السابق،ص 44

إنّ مراحل تطوّر الإنسان في القرآن الكريم كما بيّن طنطاوي هي من دلائل قدرة الله وصنعه. وإن التعبير القرآني الذي يذكر أن "المضغة" في بدايتها غير مخلّقة، ثم تُخلّق في المراحل اللاحقة بشكل متقن، يدلّ على أنّ الإنسان في بداية خلقه فيه نقص، ويشبه في هذه المرحلة بعض الحيوانات مثل الكلب، والسلحفاة، والطيور، وغيرها من المخلوقات.

في سورة آل عمران، طنطاوي قد تناول كثيرًا من جوانب تطوّر الجنين الإنساني ولا سيما فيما يتعلق بخلق الإنسان، حتى يصير إنسانًا كامل الخِلقة، وفي علم تطور الجنين، يؤكد طنطاوي أنّ الإنسان إذا أراد أن يبلغ مرتبةً أعلى أو منزلةً أسمى، فلا بدّ له أن يمر أولًا بمراحل أدنى.[442]، كما أشار طنطاوي عند حديثه عن "المضغة" وتفسيره لقوله تعالى الله: مضغة مخلقة وغير مخلقة، إلى أهمية الأخلاق والأدب والسلوك القويم، حيث ربط بين مراحل خلق الإنسان وتكوّنه، وبين ما ينبغي أن يتحلى به من أخلاق ومبادئ سلوكية.[443]

هناك دروس وعبر يمكن فهمها من هذا الخلق. فكون الإنسان يولد وهو يعاني من نقصٍ ما كأن لا يرى أو يكون أصمّا أو غير ذلك إنما هو من سنن الله تعالى، وقد يحدث ذلك إما وهو في رحم أمه أو بعد خروجه إلى الدنيا. وربما تكون تلك النواقص من القوانين التي وضعها الله في هذا العالم، إلا أنه سبحانه له الحق والقدرة في أن يغيّر هذه القوانين متى شاء. إن هذه النواقص ما هي إلا دروس وعِبر لا يدركها إلا القليل من الناس، أولئك الذين أنعم الله عليهم بالعقل والتفكّر، فجعلوا منها عظةً لأنفسهم. وتلك النواقص هي في الحقيقة من

[442] المرجع السابق، ص46

[443] المرجع السابق،ج 11،ص13.

مقاصد الله، وإن لم تظهر كذلك في ظاهرها. وهذا هو ما يُسمّى بالنقص الخَلقي أو النقص الناتج عن أسباب.[444]

د. مرحلة العظام واللحم

تميَّز هذه المرحلة ببداية تطور الجنين في طوره التالي؛ حيث يتحول اللحم الذي كان في المرحلة السابقة إلى عظام، حيث يقول الله تعالى:«ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»[445]

بالعودة إلى مناقشة مسألة اللحم والعظام في القرآن الكريم، وبالأخص في سورة المؤمنون، بعد مرحلة اللحم، يذكر الله أن اللحم سيحول إلى عظام، ثم يتم تغليف العظام باللحم مرة أخرى. إن ذلك المقصود من الله كدليل على قدرته المطلقة وتنظيم خلقه، يوضح أشكال خلق الإنسان بتلك الدقة والجمال الذي لا حدود له. الأجزاء المكونة لجسم الإنسان والأعضاء الموجودة فيه لها وظائف متوافقة العينان، والأذنان، وكل جزء من الأجزاء الأخرى يؤدي دوره الحيوي والمتناسب مع وظيفته الخاصة. العين قادرة على تمييز الأشكال والألوان، كما يمكنها رؤية الأشياء القريبة والبعيدة. وليس هذا فقط، بل يمكن القول أن

[444] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، ج 11، ص 14.
[445] سورة المؤمنون، الآية 14.

أجزاء الجسم الأخرى تشبه الأجزاء في مجالات الصناعة ومنتجاتها. كلها تتمتع بالتوافق والتنظيم التام.[446]

ج. مرحلة المخلوق في شكله الآخر

تعد هذه المرحلة استكمالا للسلسلة من المراحل التي مر بها خلق الإنسان في المراحل السابقة. المرحلة السابقة كانت مرحلة تكامل الجنين حيث أصبح الجنين متوازنا ما يميز هذه المرحلة هو التطور السريع الذي يحدث في الجنين. في حوالي الشهر الثالث من عمر الجنين، يبدأ هذا التطور السريع في الظهور. وعند بلوغ الشهر الرابع(حوالي الأسبوع الثامن) من عمر الجنين، كما يذكر إيزودين، تبدأ ملامح الإنسان في الظهور على الجنين، وفي هذه اللحظة ينفخ الروح في الجنين، وتعد نفخة الروح في الجنين علامة على اكتمال مرحلة التحضير الجسدي للجنين. وهذه المرحلة هي التي تُسمّ "مرحلة المخلوق في شكل الجنين". كما يوضح الله في سورة المؤمنون. أمّا نفخ الروح في الجنين، فقد تم توضيحه في القرآن الكريم حيث قال الله في سورة السجدة:«ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»[447]، لم يوضح الله سبحانه وتعالى ماهية الروح بشكل دقيق،أمّا طنطاوي فيقول إن نفخ الروح من الله في الإنسان خلال عملية خلقه يدل على أنّ الإنسان قادر على التطور والارتقاء في تجربته الحياتية. فالإنسان يبدأ من نقطة ضئيلة ليس لها حياة، ثم يتطور ويصل إلى الكمال بفضل الروح. ويعطي طنطاوي مثالا على ذلك عندما يكون الإنسان في مرحلة الطفولة، حيث تكون رغباته بسيطة وعادية، ولكن مع

[446] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 11،صفحة 99

[447] سورة السجدة، الآية 9

مرور الوقت وبلوغه سن الرشد، تحدث تطورات في حياته. الروح، وفقًا لطنطاوي،يمكن أن تتطور أيضًا مثل الجسد البشري.[448]، الروح التي ينفخها الله في الإنسان عند خلقه تمثل أيضا عظمة الله وجلاله في خلق الإنسان[449]،حيث كان الإنسان في البداية من نطفة ثم تحول إلى مخلوق حي قادر على التفكير والكلام (الحيوان الناطق)، وذلك بفضل المزايا التي منحها الله له.

من الشروحات التي قدمها طنطاوي في ما يتعلق بمرحلة خلق الإنسان التي تشكل "العلقة"، يتّضح أن التفسير في هذا السياق يركّز على استنباط دلالات تتجاوز حدود التفسير العلمي المباشر، ويظهر من ذلك اهتمام واضح بإبراز الحكمة الكامنة في كل حدث أو مرحلة من مراحل الخلق. كما أنّ طريقة طنطاوي في شرح المسائل تدمج العقل في عملية التفسير، وأحيانًا يستخدم المقارنة أو القياس، أو يبحث عن الحكمة والمعنى الذي يكمن وراء كل حدث أو مرحلة.

[448] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 15، الصفحة 197.

[449] المرجع السابق، الجزء 18، ص83

عالم الأنعام في القرآن

يتّبع الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره لقول الله عزوجل:«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ»[450] منهجا علميا يُبرز الإعجاز الفسيولوجي في تكوين اللبن حيث يقول:"فالفرث ما في الكرش من الثقل، ومتى خرج لا يسمى فرثًا وقوله: ﴿خالصًا﴾ أي: صافيًا لا يستصحب لون الدم الذي هو أصله وكون منه، ولا رائحة الفرث الذي فصل الدم عنه بواسطة الكبد، الذي ورد إليه خلاصة المواد المأكولة، فاستحالت إلى دم، واستحال الدم إلى لبن، فهو خالص من أصله وهو الدم، ومما استخلص منه وانفصل عنه وهو الفرث" ويُضيف مقارنة تركيبية بقوله: "أن الطيور مختصرة من الحيوانات البرية كالأنعام. والأنعام أكمل بنية وأتم نظامًا من الطيور والجوارح"[451]

من خلال هذه العبارات، يظهر منهج الشيخ القائم على الربط بين النص القرآني والحقائق البيولوجية،حيث يبرز العمليات الداخلية في جسم الحيوان كمراحل دقيقة لتحول الغذاء إلى دم ثم إلى لبن، دالا بذلك على قدرة الخالق وعظمة التصميم الإلهي في خلق الأنعام والتمييز بينها وبين باقي الكائنات.

[450] سورة النحل، الآية 66

[451] طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم. الجزء الثامن، 2016م ، ص 140

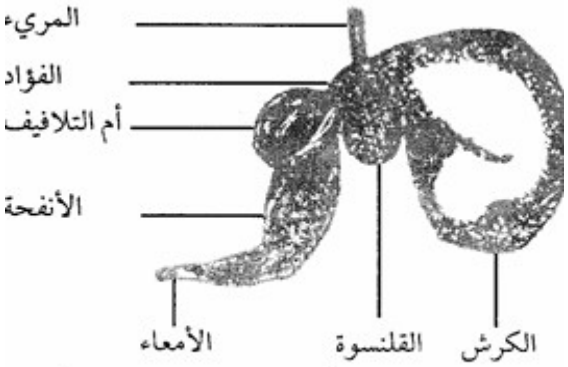

(شكل ١٨ ـ صورة أحشاء الحيوانات المجترة) 452

من خلال هذا التفسير أن الشيخ طنطاوي اعتمد الشرح المرئي في تفسيره، مع الصور التوضيحية لتقريب المعاني الفسيولوجية من القارئ.

[452] المرجع السابق، ص 151

عالم الطيور

أولى طنطاوي جوهري اهتماما خاصا بالعالم الطيور كواحد من العجائب العلمية التي تستحق التأمل في تفسيره،قدم نموذجا حيا للقرآن كونه ليس مجرد كتاب هداية بل أيضا كتاب علم وتأمل من خلال موازنة الدراسة الحديثة لعلم الطيور مع التفسير القرآني. ومن بعض الآيات الواردة عن الطير:«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ»[453]، «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ»[454]

تفسير طنطاوي جوهري عن هجرة الطيور

يبيّن طنطاوي جوهري في تفسيره لقوله تعالى في سورة النور:«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ»[455]، أن لفظ "الطير صافات" يتضمّن جوهرتين من المعاني؛ الجوهرة الأولى هي أن الطيور من الكائنات التي تسبّح لله عزّ وجلّ، وهي بذلك خاضعة لقانون التسبيح والعبادة، مثلها مثل سائر المخلوقات التي تسبّح بحمد خالقها دون كلل. أما الجوهرة الثانية، فهي ما يركّز عليه جوهري في هذا السياق، وتتمثل في أنّ هذا التعبير يدل على دقة النظام في حركة الطيور، وخصوصًا في الطيران المنتظم

[453] سورة النور،الآية 41.

[454] سورة الملك، الآية 19

[455] سورة النور، الآية 41

والمستمر، وهو ما ينعكس بوضوح في ظاهرة الهجرة الموسمية التي تقوم بها بعض أنواع الطيور.[456]

فالطيور بطبيعتها تنقسم إلى قسمين: طيور غير مهاجرة، وهي التي تستقرّ في بيئة واحدة طوال حياتها، وغالبًا ما تكون هذه البيئات مستنقعات أو مناطق رطبة صالحة للعيش الدائم؛ وطيور مهاجرة، وهي التي تقطع آلاف الكيلومترات سنويًا في رحلات بحثٍ عن الغذاء والبيئة المناسبة للبقاء والتكاثر. وتنقسم الطيور المهاجرة إلى فئتين: فئة تهاجر شتاءً من المناطق الحارة إلى أخرى أكثر دفئًا، وفئة أخرى تهاجر صيفًا من المناطق الباردة إلى مناطق معتدلة، وكل ذلك يتم ضمن نظام إلهي دقيق يبرز عظمة الخالق في تسخير مخلوقاته وهدايتها.[457]

يتناول الشيخ ظاهرة "رحلة الشتاء والصيف"عند الطيور،حيث يطرح سؤالا جوهريا: ما سبب هجرة الطيور الموسمية؟ ويأتي بجواب علماء الحيوان بأن الطيور تهاجر إلى أماكن أوفق لتربية صغارها وتوفير الغذاء المناسب، وهو تفسير قائم على الملاحظة والتجريب، لكنه لا يُدرك حقيقة الأمر الكاملة التي لا يعلمها إلا الله.يرى أن هجرة الطيور جزء من النظام الإلهي المحكم وآية من آيات الله في الكون. ويضيف طنطاوي جوهري بعدًا فلسفيا حين يشبه هجرة الطيور بسفر الإنسان في طلب الرزق والعلم، مؤكدا أن الأرض كلها منزل واحد، وقد أدركت الطيور هذه الحقيقة فطبقتها، في حين أن البشر ما زالوا يتقاتلون على

[456] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 12، 1351ه، ص 30

[457] المرجع السابق، 30،31

الحدود ويجهلون أنهم أسرة واحدة. وقد دعم هذا التفسير بصريًا من خلال بعض صور الطيور المهاجرة.[458]

طيران الطيور

يعدّ طيران الطيور من أعجب الظواهر في عالم الكائنات الحية. فقد وهب الله الطيور أجسامًا خفيفة، وهياكل عظمية مفرغة لكنها قوية، وأجنحة ذات عضلات قوية، وريشًا يساعد على التوازن والانسياب في الهواء.في الطيران آيات معجزة ولم يفهم العلماء بعضها إلا بعد تقدم علوم هندسة الطيران والديناميكا الهوائية.

يؤكّد طنطاوي جوهري من خلال تفسيره أن طيران الطيور ليس أمرا بسيطا أو عاديا كما قد يتصوره البعض، بل هو من عجائب صنع الله وعظيم قدرته سبحانه وتعالى، فهو الذي أودع في الطير نظاما بالغ الدقة، وجعل له من التكوين ما يُمكّنه من التحليق في السماء دون أن يسقط. ويستدل طنطاوي على ذلك بقول الله تعالى:"أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ"[459] مؤكدًا أن فهم بعض

[458] المرجع السابق،ص31

[459] سورة الملك، الآية 19

أسرارها لا يتحقق إلا بالعلم الحديث، حيث إن الطيران ليس مجرد تزويد الجسم بأجنحة، بدليل أن المحاولات البشرية الأولى لتقليد الطيور انتهت بالموت والفشل، حتى استغرق الأمر قرونا من البحث والدراسة حتى تمكّن الإنسان من الطيران، كما أن الفرق بين طيران الطيور وسير السفن يكشف عن دقة بالغة في خلق الطير، فجسمه أخف من الهواء ويتوازن بقوانين خاصة لا يدركها إلا من تعمّق في العلم. ويرى أن هذا التقدّم العلمي يكشف عن وجوه جديدة لإعجاز القرآن الكريم، لأن أفعال الله في الكون وأقواله في الكتاب متلازمان، وبالتالي فإن هذا العصر الذي انكشف فيه سر الطيران هو ذاته الذي انكشف فيه سر هذه الآية، وهو دعوة للمسلمين للتمسك بالعلم لفهم كتاب ربهم وتعظيم إعجازه[460]

[460] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 24، 1351هـ، ص 211

عالم الحشرات

فقد ورد ذكر عدد من الحشرات مثل النحل، البعوض، الذباب، والجراد، وغيرها ،ليس لمجرد السرد، بل للدلالة على النظام الإلهي في أصغر الكائنات. ففي قوله تعالى:«وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ»[461]، يُبيّن النص أن الله جلّ وعلا يربط الإلهام والتدبير إلى هذه الحشرة الصغيرة التي تملك نظامًا متكاملًا في تقسيم العمل والتكاثر وجمع الرحيق وصنع العسل، مما يثير دهشة العلماء، كالعالِم الشيخ طنطاوي جوهري، دلالات علمية رائعة من هذه الآيات، رابطًا بين ما توصل إليه علم الحشرات الحديث وما جاء في كتاب الله منذ قرون.

يرتكز هذا الفصل على الحشرات الآتية المذكورة في القرآن الكريم:

1. النمل
2. النحل
3. العنكبوت

النمل

تناول الشيخ طنطاوي جوهري النمل من جوانب متعددة، مبينا إعجازه في الخلق والتنظيم، حيث وصفه بأنه من "أعجب الحيوانات وأقوى من الإنسان"، وركّز على اختلاف طبائعه وسلوكياته. كما أشار إلى قوة النمل العضلية الخارقة نسبة إلى حجمه، مما يجعله يتفوق على الإنسان آلاف المرات.

[461] سورة النحل، الآية 68

يبرز الشيخ طنطاوي جوهري جانبا من عظمة خلق الله في النمل، ليجعل منه مثالًا حيًّا على القدرة الإلهية الفائقة التي تتجلى في أصغر المخلوقات. ويعتمد جوهري على أقوال علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين، مثل «دي بوا» و«رفتون»، ليعرض مقارنة دقيقة بين قوة النمل الجسدية بالنسبة إلى حجمه، وبين قوة الإنسان. فالنملة تستطيع أن تحمل وزنًا يزيد عن وزنها بثلاثة آلاف مرة، بينما يحتاج الإنسان ليجاريها إلى حمل نصف طن والصعود به درجات من السلم، أو أن يعضّ سلسلة تجر خلفها ثماني عربات محملة بالحديد. ويظهر طنطاوي من خلال هذه المقارنة الإعجاز في خلق النمل، ويُبرز كيف أن القوة ليست بالضخامة وإنما بتقدير الله سبحانه وتعالى، مما يُدلل على أن صغر الحجم لا يعني الضعف، بل إن خلف هذا الكائن الصغير قدرة فطرية مذهلة لا يملك الإنسان مثيلها. كما يربط ذلك برؤية قرآنية أعمق تتعلق بالحكمة في الخلق، والرحمة التي أودعها الله في طبائع الكائنات، مؤكدًا أن في تأمل هذه المخلوقات دليلاً على عظمة الخالق، لمن أراد أن يتفكر بعقله.[462]

يسلّط طنطاوي جوهري الضوء على تنظيم جماعات النمل، حيث يشير إلى أن عدد أفرادها قد يبلغ (500) مليون نملة في الجماعة الواحدة، أي أكثر من سكان دول كبرى مثل الهند أو الصين أو المملكة المتحدة في زمنه. ويستخلص من ذلك درسًا اجتماعيًا وسياسيًا، إذ يرى أن النمل يمثل نموذجًا فريدًا في الإدارة والتنظيم والتعاون بين أفراده، رغم صغر حجمه وضعف قدراته مقارنة بالإنسان.ويضيف طنطاوي مقارنة لافتة بين سياسة النمل

[462] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 13، دار الكتب العلمية، 2016م، ص 170

وسياسة الإنسان، مبينًا أن الإنسان رغم تفوقه العقلي لم يتفوق عليه في حسن التنظيم والعمل الجماعي، بل إن النمل في كثير من الأحيان يُعد مثالا أرقى في توزيع المهام، والتضحية، والالتزام بالنظام العام، مما يدعو الإنسان للتأمل في حاله وسلوكه، ومحاولة الاقتداء بما فطر الله عليه هذه الكائنات من حكمة وتنظيم[463]

464

هذا، وإن أحسن مساكن النمل وأجملها فيما رأينا هذه الصورة (شكل ١٥).

(قرية النمل وطبقاتها)

[463] طنطاوي جوهري،الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الجزء 13، دار الكتب العلمية، 2016م، ص 151

[464] المرجع السابق، ص185

أفرد طنطاوي مساحة واسعة للحديث عن النمل، متناولا هذا الكائن العجيب من جوانب متعددة علمية وسلوكية واجتماعية. فقد عرض عجائب النمل في دقته وتنظيمه، وحرصه في عمله، ومهاراته في بناء المساكن وجمع الغذاء، مشبهًا نظامه بنظام الأمم المتحضرة، بل وذهب إلى أن النمل قد يتفوق على الإنسان في الانضباط والتنفيذ رغم تفوق الإنسان عقليًا. وناقش جوهري ظواهر مذهلة كالحروب بين قبائل النمل، وقدرته على أسر حشرات واستغلالها، وأورد حكايات علمية تدل على ذكائه وتنظيمه. كما تطرق إلى تركيب عين النملة وعجائبها البصرية، مؤكدًا على الإبداع الإلهي في الخلق. ورأى في النمل صورة مصغرة لأمة متكاملة لها قيادة وتنظيم وتقسيم وظيفي دقيق. ومن خلال هذا الطرح، جمع طنطاوي بين التفسير القرآني والتأمل العلمي،بأسلوب يجمع بين العمق المعرفي والمتعة الأدبية، ليجعل من النمل موضوعًا يدعو إلى التفكر في قدرة الله. اعتمد الشيخ طنطاوي جوهري منهج الربط بين التفسير القرآني والمعرفة العلمية، فسلّط الضوء على تنظيم جماعات النمل كنموذج متفوق في الإدارة والتعاون. وقد أثبت العلم الحديث دقة ما ذهب إليه، من خلال دراسات تؤكد تقسيم العمل لدى النمل وتواصله المتطور، مما يعزز رؤيته بأنّ النمل يشكّل منظومة اجتماعية راقية.

النحل وعجائبه

في تفسير سورة الفاتحة، وتحديدا عند الوقوف على اسمي "الرحمن والرحيم"، يربط الشيخ طنطاوي جوهري بين الرحمة الإلهية وسلوك النحل بطريقة علمية تأملية، تبرز كيف أن مظاهر الطبيعة تعكس أسماء الله الحسنى. فيذكر أن النحل، حين يبدأ يومه بامتصاص رحيق زهرة من نوع معين، فإنه لا ينتقل إلى غيرها من الأنواع طَوال ذلك اليوم، وهو سلوك علمي معروف يُسهم في تلقيح النباتات. ويرى جوهري أن هذا السلوك الفطري من تجليات الرحمة الإلهية، إذ يتجلى فيه وجهان للرحمة: رحمة بالنحل، إذ يُوفَّر عليه عناء الانتقال العشوائي؛ ورحمة بالناس، لأن النحل يُسهم بهذه الطريقة في إخصاب النباتات ونمو الثمار. وبهذا المثال يربط جوهري بين التفسير العلمي والروحي، فيجمع بين دقة الملاحظة الكونية وتعظيم الخالق، ليؤكد أنّ "الرّحمن الرّحيم" ليسا فقط صفتين في اللفظ، بل قانونان كونيان يسريان في خلق الله وتدبيره.[465]

يعرض الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره للآية:«وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ.ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»[466] تربط بين الهداية الإلهية للنحل وبين النظام الدقيق في الطبيعة. فهو يشير إلى أن الله ألهم النحل ببناء بيوتها في الجبال، وعلى الشجر، وفي الخلايا التي يصنعها البشر، وهو ما يُظهر توافقًا مدهشًا بين الفطرة والهداية الربانية. كما يوضح أن النحل يجمع الرحيق من الأزهار

[465] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 1، دار الكتب العلمية، 1351هـ، ص 4.
[466] سورة النحل،الآيتان 68–69.

ويحوّله إلى عسل بألوان مختلفة، فيه شفاء للناس، في دعوة للتفكر في هذه المعجزة الكونية.ويبرز جوهري أهمية النحل في تلقيح النباتات، ويرى في عمل النحلة الصغير صورة من صور التعاون بين المخلوقات، حيث تعمل دون علم أو إدراك بمآلات عملها، ومع ذلك ينتج من جهدها ما ينفع البشرية في غذائها ودوائها.[467]

الخلية السداسية

وقد أجاب عن أسئلة افتراضية تتعلق بصناعة الشمع واختيار الشكل السداسي لبناء الخلية، موضحًا أن النحل يستخرج مادة شمعية بيضاء من النباتات مثل قصب السكر، ثم يبني بها خلاياه باختيار الشكل السداسي دون غيره من الأشكال. ويفسر ذلك علميًّا بأن الأشكال الدائرية وإن كانت أوسع، إلا أنها لا تتراص دون فراغات، والمربعات تفقد زوايا، أما الشكل السداسي فهو الشكل الوحيد الذي يتراص دون فراغات ويوفر أكبر مساحة بأقل كمية من المادة، مما يدل على عبقرية فطرية في بناء الخلية. يتأمله جوهري بأن هذا النظام الصغير في خلية النحل يشبه نظام السموات والأرض في دقته الهندسية واتقانه الحسابي، وهو ما يعكس رؤية طنطاوي في التفسير القائم على الربط بين المشاهدات الطبيعية والحقائق الكونية[468]

[467] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 8، 1351هـ، ص 136.

[468] المرجع السابق، ص 137

أنواع نحل العسل ووظائفها

يبرز الشيخ طنطاوي جوهري في تفسير الجواهر النظام الداخلي الدقيق لخلية النحل، من خلال تقسيم واضح للفئات العاملة داخلها، مستندًا إلى ملاحظات علمية دقيقة تتوافق مع ما أثبته علم الحشرات الحديث. فالملكة، وتُسمى أيضًا "اليعسوب" أو "أم النحل"، لا توجد منها سوى واحدة في كل خلية، وتختص بوضع البيض، حيث تضع ما بين آلاف إلى 12 ألف بيضة كل ثلاثة أسابيع. أما الشغالات، وعددها يتراوح بين 20,000إلى 30,000نحلة، فلكل مجموعة منها وظيفة محددة، فمنهن البوابات اللواتي يمنعن دخول الغرباء، ومنهن من يخدمن البيض، ومن يتولين تربية الصغار، ومن يبنين الخلايا، ومن يجمعن الشمع، ومن يجمعن الرحيق الذي يتحول إلى غذاء للنحل وللناس. أما الذكور، وعددهم يتراوح من مئات إلى نحو ألف، فوظيفتهم تقتصر على تلقيح الملكة، ثم يتم التخلص منهم لاحقًا حفاظًا على موارد الخلية ومساحتها. ويُظهر هذا التوصيف مدى اطلاع طنطاوي على الحقائق العلمية في زمانه، وقدرته على دمجها في تفسير الآيات الكونية بأسلوب يجمع بين العلم والإيمان.[469]

[469] المرجع السابق، ص 137

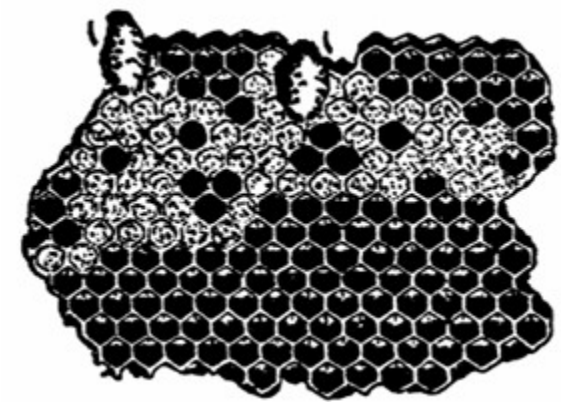

470

471

العنكبوت

خلق الله العنكبوت،وألهمه فطرةً منذ ولادته كيفية الغزل والنسج دون أي حاجة إلى تعليم أو تدريب. فجميع العناكب، صغيرها وكبيرها، إناثها وذكورها، تشترك في هذه المهارة الغريزية، التي لا تُكتسب بالتلقين أو التجربة، بل هي علم فطري مغروس في كيانها. وتقوم العنكبوت بنسج خيوطها وشبكتها بدقة وإتقان، دون خطأ أو تردد، لتنتج بنية هندسية محكمة تُدهش الناظرين بجمالها وتناسقها.

يقول الله عزوجل:«مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[472].

[470] طنطاوي جوهري،*الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء 8، 1351هـ، ص 139

[471] المرجع السابق،ص140

يقول الشيخ طنطاوي رحمه الله واصفا بيت العنكبوت:«كل خيط مكون من أربعة آلاف خيط، فيكون هذا الخيط الرقيق يساوي جزءا من خيط من الألف يخرج من قناة مخصوصة من جسم العنكبوت، وكيف يسع جسم العنكبوت ألف ثقب فيها ألف خيط. أليس ذلك من العجب. ثم يقول: إنها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت هندسة الإنسان، وعلل ذلك العلماء بقولهم أن هندسته إلهية، وهندسة الإنسان بتعليم البشر، فلذلك يغلط الإنسان ولا يغلط العنكبوت في الهندسة، ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ألهمها الله أن تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها وتلطخ بها خيوطها التي نسجتها فتكسبها لزوجة، فلذلك لا تمزقها الرياح إذا فاجأتها، ولا الأعاصير إذا ساورتها، وإذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة»[473]

يلاحظ الشيخ جوهري قد استعان بالعلم ليدل على عجائب صنع الله وبدائعه في موجوداته التي ظهرت في العنكبوت، كما يبدويثبت قدرة وتماسكاً لبيت العنكبوت يصمد معهما للرياح والعواصف، وما وهنه وضعفه إلا من تجزئته وتحليله إلى تلك الخيوط الدقيقة، أما في حال نسجه فهو قوي ومتين وواضح أن هذا التأويل يناقض الآية بتمامها ويصادم معناها الذي قصده الله، فهو في ظاهره قوي لكنه في حقيقته ضعيف متهافت، وذلك من عدم استقراره وثباته.

---

[472] سورة العنكبوت،الآية 41

[473] المرجع السابق، ص 4.

يتناول الباب الخامس من هذه الدراسة عددا من الآيات الكونية التي تمسّ موضوعات متعددة في الطبيعة والخلق، مثل السموات، والشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والمطر، والأرض، والجبال، والزلازل، والبحار، والنبات، والرياح، وتعاقب الليل والنهار، وخلق الإنسان، والعوالم الحية من حيوان وطير، كما وردت في القرآن الكريم. وقد سعى طنطاوي جوهري إلى تفسير هذه الآيات بأسلوب علمي موسّع، مستندا إلى معطيات عصره العلمية، في محاولة منه لبيان أوجه الإعجاز الكوني في القرآن.

تمّ من هذا البحث عرض نماذج متعددة لتفسير الآيات، بيّن فيها طنطاوي جوهري بوضوح أن التوافق بين القرآن والعلم يُعد من وجوه الإعجاز القرآني. ومن أبرز هذه النماذج تفسيره لقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»[474]، حيث أشار إلى توافقها وفقا لنظرية الإنفجار العظيم التي تبين أن الكون نشأ من كتلة واحدة ثم انفصلت أجزاؤها. كما فسّر قوله تعالى: «وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ»[475]، على أنه يشير إلى التوازن الدقيق الذي أثبته العلم في نظام الكون، حيث تخضع جميع الموجودات لميزان محكم. ومن ذلك أيضا تفسيره لقوله تعالى:«وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ»[476]،بما يتوافق مع ما كشف عنه العلم الحديث من أن الجبال تُسهم في تثبيت القشرة الأرضية ومنع اضطرابها.

[474] سورة الأنبياء، الآية 30

[475] سورة الحجر، الآية 19

[476] سورة الأنبياء، الآية 31.

ومع ذلك يلاحظ على جوهري ميله إلى التوسّع والإفراط في ربط كل جزئية علمية بآية قرآنية، مما أخرجه أحيانا عن حدود التفسير إلى استطرادات موسوعية، كما في تفسيره لخلق الإنسان من طين، حيث استغرق في تفصيلات بيولوجية دون تثبيت المعنى التفسيري. وفي بعض المواضع، لجأ إلى التفسير الحرفي المباشر دون مراعاة للسياق القرآني أو مقاصد الآية، في حين ابتعد أحيانا أخرى عن أصول التفسير متأثرا بالفكر العلمي الغربي الحديث. وعلى الرغم من هذا التفاوت المنهجي، تبقى تجربة طنطاوي جوهري علامة بارزة في مجال التفسير العلمي.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،والصلاة والسلام على الهادي البشير،والسراج المنير،خاتم النبيين،نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وفي ختام هذه الدراسة، يرى الباحث أن من تمام النعمة أن يُقرّ بالفضل لله تعالى، الذي وفقه وأعانه على إتمام هذا العمل العلمي الذي تمحور حول دراسة الآيات الكونية في تفسير"الجوهر". وقد سعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى تحليل منهج طنطاوي جوهري، وبيان إبراز الجانب الإعجازي في الآيات الكونية، مع بيان مواطن الضعف في منهجه. وبعد رحلة بحثية، توصّل إلى عدد من النتائج المهمّة.

نتائج البحث:

- يعد"الجواهر في تفسير القرآن" أول وأشمل تفسير علمي للقرآن في العصر الحديث.
- يتميز تفسير طنطاوي جوهري بالموسوعية،حيث يضم العديد من الإشارات والاستشهادات من علوم متنوعة، مما يعكس شخصيته الموسوعية.
- يقوم طنطاوي بتقسيم السورة إلى عدة أقسام، يضم كل قسم عددًا من آياتها، ويجعل غالبًا البسملة في بداية كل سورة قسمًا مستقلًا يشكّل القسم الأول، ثم يعقبه بالقسم الثاني الذي يتضمن التفسير اللفظي الموجز لآيات ذلك القسم، وهو تفسير مختصر جدًا يقترب في منهجه من تفسير الجلالين، يلي ذلك ما يسميه بـ(لطائف هذا القسم)، وأحيانًا يسميها أبحاثًا أو جواهر أو حكايات، أو يضع لها عنوانًا خاصًا يتناول تحته تلك الأبحاث. ويسير على هذا النهج في القسم الثالث وما بعده
- أسلوب الآيات الكونية في القرآن الكريم يتّسم بالشمول حيث تمتزج فيه عناصر البيان والتأمل والتوجيه. فجاءت هذه الآيات في سياقات متعددة، منها ما أقسم الله تعالى

بأيات الكونية لبيان عظمتها، ومنها ما استُدلّ بها لإثبات الحقائق الإيمانية، فالقرآن لا يكتفي بوصف الظواهر الكونية، بل يَصوغها بأسلوب يُحرك العقل ويوقظ الفطرة.

- اعتمد طنطاوي جوهري في تفسيره على كتب المفسرين السابقين بوجه عام، مع اهتمام خاص بآراء الإمام الغزالي والإمام الرازي، حيث استفاد من منهجهما في الربط بين المعاني العقلية والنقلية، وأثر ذلك واضح في عدد من المواضع التي اقتبس فيها نصوصًا طويلة دون تعليق.
- تأثر طنطاوي الواضح ببعض المؤلفات العربية ذات الطابع الخيالي مثل:(كليلة ودمنة) و (ألف ليلة وليلة) وغيرها من الكتب التي ترتكز على الخيال الواسع.
- ابتكر طنطاوي جوهري منهجا خاصا في التفسير العلمي، إذ لم يلتزم بالمناهج التراثية التقليدية، بل تجاوزها إلى أسلوب شامل يجمع بين النص القرآني والعقل العلمي، مما أتاح له إبراز البعد الكوني والإعجازي في القرآن الكريم بلغة أقرب إلى العصر.
- أبرز معالم المنهج التفسيري لدى طنطاوي جوهري هو إدخال المعارف العلمية الحديثة في تفسيره، لا سيما في مجالات علم الفلك والأحياء والجيولوجيا والفيزياء، حيث استخدم الصور التوضيحية والرسوم لتقريب المفاهيم العلمية المرتبطة بالآيات الكونية.
- يعتمد طنطاوي جوهري في تفسيره على الاستشهاد بالشعر العربي من التراث القديم ونظمه الخاص، ما أضفى بعدًا جماليًا وأدبيًا على التفسير، كما يستعين بالقصص العلمية لتوضيح الظواهر الطبيعية والكونية.
- يبدو أن شخصية الشيخ طنطاوي بوصفه معلّمًا قد انعكست بشكل واضح على منهجه في التفسير، إذ امتلك خبرة في ميدان التدريس، وتميّز بقدرة ملحوظة على الإلقاء والتأثير في نفوس طلابه. وقد أسهمت هذه الخلفية التعليمية في تشكيل أسلوبه التفسيري.

- أظهر طنطاوي جوهري قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، وبرز منهجه الخاص في عرض الظواهر الكونية بطريقة تجمع بين الأسلوب الأدبي والطرح العلمي.
- من أبرز المآخذ النقدية على التفسير: الإفراط أحيانا في تحميل النصوص القرآنية دلالات علمية حديثة لا تحتملها، مع ضعف الاهتمام بالجوانب الفقهية واللغوية مقارنة بالجوانب العلمية، وغياب المنهج المقارن في تفسير الآية من حيث أقوال المفسرين السابقين.
- تناول طنطاوي موضوع الروح بأسلوب صوفي، رابطًا بين الآيات القرآنية وقصص إحياء الموتى، وفسّرها كرموز علمية لإمكانية استحضار الأرواح، إلا أن هذا التوجه تعرّض لانتقادات من علماء اعتبروه خروجًا عن ضوابط التفسير العلمي المنهجي.
- أشار عدد من الباحثين إلى أن تفسير "الجواهر" لطنطاوي جوهري أثار جدلاً واسعًا؛ فبعضهم مدحه لربطه بين القرآن والعلوم الحديثة، بينما انتقده آخرون، مثل الدكتور فهد الرومي والدكتور محمد حسين الذهبي، لرؤيتهم أنه ركّز على الجانب العلمي أكثر من المقصود التفسيري وابتعد عن جوهر التفسير نحو مجالات علمية وفلسفية بعيدة.
- الإطناب سمة واضحة من سمات تفسير طنطاوي جوهري، بما لم يألفه العلماء والقراء من قبل، بحيث ينصرف ذهن القارئ إلى تلك الموضوعات الأخرى، مما يجعله ينسى أصل الموضوع والآيات المقصودة بالتفسير.
- يظهر في تفسير الجواهر وجود نوع من الاضطراب المنهجي في بعض المواضع، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تفسيره لقول الله تعالى "يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ"، حيث أشار أولًا إلى أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من الماء المالح، ثم عاد لاحقًا ليذكر أن المرجان يخرج من الماء العذب والمالح معًا، وهذا المثال على التناقض في الطرح يُعد نقطة ضعف في اتساق التفسير، إذ كان من الأجدر بالمفسر أن يُظهر وضوحًا وثباتًا في رأيه، أو أن يبيّن تعدد الآراء وينسب كل رأي إلى مصدره.

- يتطابق تفسير طنطاوي جوهري مع العلم الحديث فيما يخص حركة الشمس والنجوم والكواكب في مدارات دقيقة وثابتة، مع تركيزه على استنباط الدلالات في مرحلة خلق الإنسان "العلقة" لإبراز الحكمة الإلهية في كل مرحلة من مراحل الخلق،كما فسّر قوله تعالى "يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ" لإثبات كروية الأرض ودورانها، مستخدمًا اللغة كوسيلة لتوضيح المعنى العلمي.
- أبرز طنطاوي الإعجاز النباتي بوجود زوجين من الذكر والأنثى في النباتات وطرق التلقيح، كما عرض الإعجاز الحيواني عبر دراسة النمل والنحل، موضحًا تنظيم الجماعات، والنظام الداخلي لخلية النحل مع الشكل السداسي للخلية.
- يتضح من هذا البحث أنّ التفسير العلمي لا يُرفض مطلقاً، بل يُقبل وفق ضوابط كما أشار إليها بعض العلماء،من أبرزها: أن يبقى مقصد القرآن في الهداية هو الغاية الأساس،دون أن يطغى عليه الجانب العلمي، وأن يسهم في تعميق الإيمان والدفاع عن العقيدة ودفع المسلمين إلى النهضة العلمية، وألّا يُقدَّم كتفسير وحيد للآيات بل كإضافة موسّعة للمدلول، بحيث لا يؤثر بطلان النظريات على قدسية النص القرآني. وبذلك يظل التفسير العلمي إطاراً مكمّلاً لا بديلاً عن التفسير بالمأثور.

توصيات البحث:

- يوصى بدعوة الباحثين إلى تأصيل المصطلحات الكونية في القرآن الكريم من حيث دلالاتها في السياق القرآني، واستعمالاتها، مع بيان ما تحمله من إشارات علمية وبلاغية تتجاوز المعنى اللغوي الظاهر إلى الأعماق الرمزية والفكرية.
- يدعو الباحث إلى إجراء دراسات مقارنة بين تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهري في الظواهر العلمية الحديثة التي أثبتها القرآن الكريم مع دراسات الدكتور زغلول النجار.
- يدعو إلى دراسة نقاط القوة والضعف في كل المصنفات العلمية التي تناولت ظاهرة الآيات الكونية في القرآن الكريم لكي تساعد الباحثين على فهم الفرق بين التفسير القائم على الحقائق الثابتة، والتفسير الذي يعتمد على النظريات غير المؤكدة.
- توصي هذه الدراسة بضرورة ضبط منهج التفسير العلمي بضوابط شرعية ولغوية وموضوعية لضمان اتساقه مع مقاصد القرآن الكريم، مع تشجيع الباحثين على الإفادة من العلوم الحديثة في تفسير الآيات الكونية، شريطة عدم المبالغة في إسقاط النظريات المتغيّرة على النص القرآني. كما توصي بالاستفادة من جهود المفسرين السابقين في بيان معاني الآيات، وتوظيف المعطيات العلمية المعاصرة بما يخدم فهم النص دون تعارض معه.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم، مركز محمد بن راشد لطباعة المصحف الشريف، دبي، الإمارات العربية المتحدة، طبعة 1438 هـ.

المصادر الأوّلية:

2. جوهري،طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر، الطبعة الأولى- 1350هـ.
3. جوهري، طنطاوي،الجواهر في تفسير القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية-1971م.
4. جادو، عبد العزيز. الشيخ طنطاوي جوهري: دراسة ونصوص بتصرف، دار المعارف، القاهرة. [د.ت].
5. الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، الجزء 1، مكتبة وهبة، القاهرة، [د.ت].
6. الرومي،فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، الطبعة الثانية عشرة، 1424هـ - 2003م
7. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، 1997م

المصادر الثانويّة والمراجع:

8. طلعت، هيثم. لصوص الأخر: تنفيد آراء الملحدين في آيات الكون والحياة. الطبعة الأولى، دار تبصر، 2020.
9. النابلسي، محمد راتب، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: آيات الله في الآفاق. دار المكتب، دمشق، سوريا. [د.ت].

10. العثيمين، محمد بن صالح. أصول في التفسير، نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة
11. جوهري، طنطاوي أين الإنسان .مطبعة هنداوي، القاهرة، مصر، 2014.
12. جوهري، طنطاوي، أحلام في السياسة وكيف يحقق السلام العام،مصطفى البابي الحلبي ، مصر، 1935.
13. الأصفهاني، الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق–بيروت، 1412هـ.
14. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الجزء الرابع، الطبعة الخامسة، دار عطاءات العلم ودار ابن حزم، 1441هـ / 2019م.
15. إسماعيل، محمد بكر، دراسات في علوم القرآن، الطبعة الثانية، القاهرة: دار المنار، 1419 هـ/1999م.
16. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الجزء 30، الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر، 1411 هـ/1991م.
17. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، 1378هـ.
18. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، 1946م.
19. الندوي، أبو الحسن علي، المدخل إلى الدراسات القرآنية، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، 1994م.
20. الكافي، عبد الله،من أسرار القرآن، دار الإصلاح - دمشق، 2007م
21. النعيمي، حميد مجول. بدائع الكون في القرآن الكريم، الشارقة، المنتدى الإسلامي، 2021م.

22. صبرة، محمد أحمد، القرآن في مواجهة التهم والشبهات: يعلو ولا يُعلى عليه، 2017م
23. النابلسي، محمد راتب، .آيات الله في الإنسان، موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية، 2013م.
24. النابلسي، محمد راتب.، آيات الله في الآفاق: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، دار المكتبي، دمشق، سورية، 2005م.
25. شريف، عمرو. كيف بدأ الخلق، مكتبة الشروق الدولية، مصر الجديدة، 2011.
26. الصوفي، ماهر أحمد، .آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة في السماء الدنيا والسموات السبع: الموسوعة الكونية الكبرى،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2007م.
27. العواضي، عبد الله عبده، أنوار من الذكر الحكيم. الطبعة الأولى، دار الحضارة، الرياض، 1438 هـ.
28. طلعت، هيثم. الإلحاد يسمم كل شيء. الطبعة الأولى، نيو بوك للنشر، القاهرة، 2016.
29. مجلة جامعة الشارقة." المجلد 17، العدد 2، ديسمبر 2020.
30. السنيد، عبد المجيد بن إبراهيم، 300 كلمة قرآن تُفهم خطأ.، الطبعة الأولى، دار الحضارة، الرياض، 2018م.
31. الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، الجزء 25، الطبعة الثالثة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ.
32. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،الجزء 2، الطبعة الثانية، دار عالم المكتب، بيروت، 1993.

33. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009م..
34. الشعراوي، محمد متولي. معجزة القرآن. الطبعة الأولى، القاهرة: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، 1398 هـ/1978م.
35. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 2001م.
36. الجزائري، أبو بكر جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: ومعه حاشية نهر الخير، الجزء 5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003م.
37. ابن القيم، الجامع في أمثال القرآن، تحقيق أبو أويس الكردي، مراجعة مصطفى العدوي، مكتبة ابن تيمية، 2009م.
38. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج. 1، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، الطبعة الأولى ، مكتبة أولاد الشيخ، 1421هـ/2000م.
39. البغا، مصطفى ديب، ومحيي الدين ديب مستو. الواضح في علوم القرآن. الطبعة الثانية، دمشق: دار الكلم الطيب / دار العلوم الإنسانية، 1418هـ/1998م.
40. السعدي، داود سليمان، أسرار الكون في القرآن. ط. 1، دار الحرف العربي، 1997م
41. التويجري، حمود بن عبد الله، ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والمخارق، الطبعة الأولى، 1390هـ

42. الزرقاني، مناهل العرفان، ج 2، مكتبة الشاملة
43. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، التفسير والتأويل في القرآن. ط 1، دار النفائس، 1416هـ / 1996م.
44. الزحيلي، محمد مصطفى. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، الجزء 2، ط 2، دار الخير، دمشق، 1427هـ / 2006م.
45. الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون. الجزء 1، مكتبة وهبة، القاهرة، [د.ت]
46. الرومي، فهد بن عبد الرحمن. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الجزء 2، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، 1997م
47. الحمد، غانم بن قدوري. محاضرات في علوم القرآن. الطبعة الأولى، دار عمار، 2003م.
48. الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، «مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية». الجزء 24، موقع الجامعة الإسلامية، أعدّه للشاملة أسامة بن الزهراء. [الكتاب مرقم آليًا غير موافق للمطبوع].
49. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، ج1.، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1376هـ/1957م.
50. القنوجي، محمد صديق خان الحسيني البخاري، أبجد العلوم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، 1423هـ / 2002م.
51. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج. 1، الدار التونسية للنشر، 1984م.
52. زرزور، عدنان محمد. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه. الطبعة الثانية، دار القلم / دار الشامية، 1998م.

53. ابن حسين، محمد. المسائل الكافية في بيان وجوب صدق خير رب البرية. مطبعة حجازي، القاهرة، 1934م.
54. شلباية المصري، مصطفى بن العدوي (أبو عبد الله مصطفى .(*سلسلة التفسير*.دروس صوتية مفروغة، موقع الشبكة الإسلامية.
55. منصور، عبد القادر محمد. موسوعة علوم القرآن. الطبعة الأولى، دار القلم العربي، 2002م.

الدراسات والبحوث:

56. اليحيصي، يحيى محمد صالح،مناهج المفسرين في آيات القرآن الكونية: دراسة تحليلية منهجية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جمهورية السودان، تحت إشراف الدكتور الجزولي الأمير
57. يوسف، أنور ومراد، طنطاوي جوهري ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، 1988م، تحت إشراف الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني.
58. أبو البشر، عبد اللطيف، آراء طنطاوي جوهري الاعتقادية من خلال كتابه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم): عرض ونقد، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، 2019م.
59. أبو علية، عبد الرحيم، شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة الدكتورة، كلية الشريعة، جامعة بيروت الإسلامية،2005م.
60. الوعلان، عبد المجيد بن محمد، الدلالات العقدية للآيات الكونية (دراسة جامعية)، رسالة ماجستير، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1432هـ

61. هدى هشام إسماعيل الزيدي، الضوابط اللغوية في التفسير العلمي للقرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 1425هـ / 2005م،

62. علي، محمد المهدي محمود، "حول الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في العصر الحديث." الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الأول، رجب 1392هـ / أغسطس 1972م.

63. الندوي، السيد سليمان.،مفردات القرآن،جمع وترتيب محمد فرمان الندوي، الطبعة الأولى، المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الهند، 2017م

القواميس والمعاجم

64. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، التحرير أنطوان نعمة،عصام مدوّر، ليوس عجيل، متري شمّاس، الطبعة الثالثة، دارالمشرق، بيروت،لبنان،2008 م

65. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، قاموس لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط-3، 1414هـ

66. عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج. 3، الطبعة الأولى، عالم الكتب، 2008م.

67. معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، تطبيق جوال، جوجل بلاي، 2020م.

68. الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة.

المصادر الأجنبية

69. Sha'ban, Marwan Whaheed. An Introduction to the Miracle of the Holy Quran. Translated by Abdulhakim Mohammed Rakshan Qaderi, Dar Al I'jaz, Tripoli, Lebanon, 2010.

70. Sullami , Abdurasak, *Quran Shasthra Viknjana Kosham*. Ibn Al Haytham Academy of Science and Signs, Calicut, 2022.

71. Hussein, Abdul-Raof,. *Theological Approaches to Quranic Exegesis*. Routledge, Taylor and Francis Group, London and New York, 2012.

72. Hussein ,Abdul-Raof, *School of Quranic Exegesis: Genesis and Development*. Taylor and Francis Group, London and Newyork , 2010.

73. P. A. , Wahid, *The Quran Scientific Exegesis*. Accessed 20 Oct. 2024.

74. Ibrahim, I. A., compiler. *A Brief Illustrated Guide to Understanding Islam*. 2nd ed., Darussalam, Houston, USA, www.islam-guide.com.

المواقع الإلكترونية:

1. https://www.tantawi-jauhari.net/2016/05/18/
2. http://www.darululoom-deoband.com/arabic/articles/tmp/1554261126%2005-Dirasat_03_1432_1.htm
3. https://tafsir.app/alrazi/24/46
4. https://islamiaat.github.io/pages/tafseer/tanweer/30/46.html
5. https://quranpedia.net/book/24985 www.islamweb.net
6. https://midad.com/article/220052/
7. https://shamela.ws/book/12081/37
8. https://dorar.net/hadith/sharh/66481.
9. https://www.miracles-of-quran.com/arabic/porous_rocks.html

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis entitled"**A Methodological Study of the Scientific Interpretation of Cosmic Verses in the Tafsir Al-Jawahir by Sheikh Tantawi Jawhari**" is a bonafide record of research work carried out by **Mr. NAZER.K** under my guidance and supervision in partial fulfilment of the requirements for the award of Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature and no part of this thesis hitherto has formed the basis of the award of any Degree earlier.

DEPARTMENT OF ARABIC
Date: .....
UNIVERSITY OF CALICUT

Dr. Mohammed Haneefa.P
Research Guide
Department of Arabic
University of Calicut

CU Campus

Date: 18.08.2025

DECLARATION

I hereby declare that the work presented in the thesis entitled "**A Methodological Study of the Scientific Interpretation of Cosmic Verses in the Tafsir Al-Jawahir by Sheikh Tantawi Jawhari**" is based on the original work done by me under the guidance of Dr.Mohammed Haneefa.P, Research guide, and has not been included in any other thesis submitted previously for the award of any degree. The contents of the thesis are undergone plagiarism check using iThenticate software at C.H.M.K. Library, University of Calicut, and the similarity index found within the permissible limit. I also declare that the thesis is free from AI generated contents.

NAZER.K

Dr. MOHAMMED HANEEFA. P.

Place: CU Campus

Date: 18.08.2025

A Methodological study of the Scientific Interpretation of Cosmic Verses in the Tafsir "Al-Jawahir" by Sheikh Tantawi Jawhari

Thesis submitted in partial fulfilment ofthe requirements for the **Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature**

Submitted by

NAZER.K

Under the Supervision of

Dr.Mohammed Haneefa.P

Research Guide, Department of Arabic

University of Calicut

University of Calicut

Kerala, India

2025